

المكتبة القبطية على الانترنت



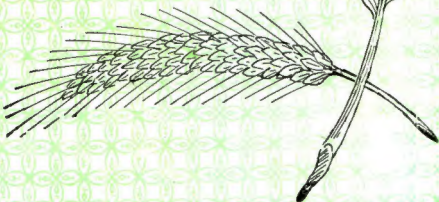


بستان الروح

الجزء الأول

طبعة رابعة

تسليفاً
الأنبياء وأسرهم
أسقف القسوس





بستان الروح

الجزء الأول

طبعة رابعة

لنسيافة
الأنبياء وأئمة
أسقف القريه

مقدمة الطبعة الرابعة

الله الذى أعطى النعمة فى كتابة « بستان الروح » ، هو الذى عمل فيه بقوة ، وصحب كلماته بروحه القدوس ، فظل البستان دائماً ، محتفظاً بنضرتة الروحية ... فيه تبدأ الروح وتستريح . وتمت ظلال أشجاره الوارفة تستظل ، وتلتقى بالقدسين والنساك الذين يحفل البستان بأسمائهم وتأملاتهم وكتاباتهم وبسبب هذا التأثير العجيب نفذت الطبعات الثلاثة الأولى للكتاب فى فترات وجيزة تدعو إلى الدهشة ...

وتلبية لاحتياجات أبناء الكنيسة فى كل مكان ، أخرجنا هذه الطبعة الرابعة ، التى نسأل الله أن يجعل الموضوعات التى يعالجها هذا الكتاب ، وكلمات النور التى يحويها سبب بركة وخلاص لكثيرين .
وللهنا - صاحب البستان الحقيقى - كل المجد والبركة إلى الأبد آمين ،

يوانس

بنعمة الله أسقف الغربية

تحريراً فى ٨ من يونية ١٩٨٦
أول بؤونة ١٩٩٧

يوم الاثنين من الأسبوع
السابع من الخمسين المقدسة

مقدمة الطبعة الثالثة

ما كانت تظهر الطبعة الثانية للجزء الاول من « بستان الروح » حتى
تفخت ، قبل أن تصل الى أيدي كل من كانوا ينتظرونها ... وبذا ظل
كثيرون محرومين من مادة هذا الكتاب الروحي الدسم .

وعلى الرغم من ظهور كتب روحية كثيرة في المكتبة القبطية ، منذ أن
ظهر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٩٦٠ ، لكن هذه الكتب جميعها
لم تستطع أن تلى باحتياجات طالب الحياة الروحية ، أو تغنيه عن هذا
البستان الروحي ... عجيب أمر هذا الكتاب !! فعلى نحو ما تدعو
الكنيسة المقدسة والدة الاله مريم « العذراء كل حين » تعبيراً عن دوام
بتوليها ، هكذا سيظل هذا الكتاب بالنسبة لحاجة كل مؤمن روحياً
« البستان كل حين » تعبيراً عن دوام الحاجة اليه !!

انه الفردوس الأرضي الذي تسعد فيه الروح وتجد متعتها مع من
تحبه ، بعيداً عن صخب العالم وهمومه وشروبه ... فيه تتقابل مع
كثيرين من آباء الكنيسة ومعلميها ونسائها ، الذين ذخرت صفحات
الكتاب بأقوالهم ... انه ينبوع حي ، مأوى نقي ، وتعاليمه أرثوذكسية
صافية .

شكراً للرب الذي جعل الطبعتين السابقتين للكتاب سبب بركة
لكثيرين ... واني اضع هذه الطبعة الثالثة بين يدي الهنا لكي ما يباركها ،
فنأني بثمر كثير ... وللهنا كل المجد والكرامة الى الأبد آمين .

يوانس

بنعمة الله أسقف الغربية

تحريراً في ٤ من يوليو سنة ١٩٧٨ (شهادة حنايا الرسول
٢٧ من مؤونه سنة ١٦٩٤ م وتوماس الشندلاني

تقديم الطبعة الثانية

لم اكن اتصور منذ احد عشر عاما حينما اصدرت الطبعة الاولى لكتاب
يستان الروح ، ان الكتاب سيحوز الشهرة التى حازها فى الاوساط الدينية
بين الاكليروس والوعاظ والاكليريكيين وخدام التربية الكنسية والشباب
بل وعامة المتدينين ... وانه بالنالى سيحقق الهدف الذى كنت اهدف اليه
من وراء اصداره ... لكن الرب بارك الكتاب بكل ما يحويه واثمر ،
بل وما زال يثمر به ثمرات متزايدة ... وعن طريق هذا الكتاب التفتت ،
والتقى بى كثيرون ممن شددتهم مادة الكتاب اليه دون ان نتعارف أو نلتقى
بالجسد ... بل وما زالت حتى هذه اللحظة اطلق خطابات من أشخاص
لا أعرفهم من مختلف أنحاء البلاد يعرضون لمشاكل تخصهم عرض لها
الكتاب وهكذا ، اشكر الله كثيرا الذى حقق بالكتاب أمنية عزيزة على نفسى
لمجد الله ولخير شعبه وكنيسته .

نفذت الطبعة الاولى بعد شهور قليلة من اصداره ، ومن وقتها وطيلة
أكثر من سبع سنين وتنهال على رغبات كثيرين ممن أعرفهم ومن لا أعرفهم
يلحون فى إعادة طبع الكتاب ... بل لقد فكر البعض ان المال هو حائق فى
سبيل إعادة طبع الكتاب ، فعرضوا مساعدتهم فى هذه الناحية ... لكنى
فى واقع الامر كنت مشغولا فى اصدار كتابى « الاستشهاد فى المسيحية »
و « الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل » ، وما أن فرغت منهما حتى عاودت
مطالعة الكتاب بقصد اضافة مادة جديدة وخبرات روحية جديدة اليه ...
لكنى اعترف انى لم استطع ذلك الا بالنسبة للثلاثة مواضع الاولى ،
اما بالنسبة لبقية مواضع الكتاب ، فقد وقفت عاجزا عن اضافة كلمة
واحدة اليها ... لقد وجدتها مستوفاة بحيث لا تقبل المزيد ...

انى اشكر الرب الذى دبر كل شئ من أجل اخراج هذا الكتاب بعد هذه
المدة فى صورته الحالية ، فقد آثرنا أن يخرج فى صورة جديدة فى كل شئ .

ومن دواعى سرورى العظيم أن تصدر الطبعة الثانية من الكتاب بعد
تولى قداسة ابينا المبارك الانبا شنودة الثالث السدة الرقسية ... لقد

قدم قداسته للطبعة الاولى واسهم بالكثير من توجيهاته في مادة الكتاب
وأبى — انكارا لذاته — أن أذكر اسمه ، وكان باسم الراهب انطونيوس
السرياني وقتذاك ... لقد مضت الايام وتوالت السنين ، اختير خلالها
الراهب انطونيوس اسقفنا للتعليم الدينى واذا رأى الرب أنه كان أميناً في
القليل الذى أئتمنه عليه ، أقامه على الكثير ... أقامه رأساً للكنيسة
المنظورة ، أباً للتساك ورئيساً للكهنة ومعلماً للمعلمين ... الرب ينفـع
الكنيسة بصلواته وجهوده فى كل الميادين .

واذا أضع هذا الكتاب بين يدي الهنا التقدير ، أسأله أن يجعله سبب
بركة لكل من يقرأه ، وله كل مجد كل حين أمين .

يوانس

بنعمة الله أسقف الغربية

تفكار دخول السيدة العذراء الى الهيكل
٣ من كيهك ١٦٨٨
١٣ من ديسمبر ١٩٧١ } تحزيراً فى



قصة هذا الكتاب

هذا الكتاب ثمرة من ثمرات الألم أولا وآخرا . الألم الذى قال فيه الرسول « وهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضا أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) . أن ذلك يرجع الى الفترة التى عدت فيها من الدير الى العالم بسبب المرض ، وانتهى الأمر بى الى الخدمة بالكلية الاكليريكية بالأنبارويس . وهناك أسند الى تدريس مادة « اللاهوت الروحى » ، الى جانب الاشراف الروحى على الطلبة ..

ولما بدأت ادرس هذه المادة ، لم أجد تحت يدى كتابا بالعربية أو حتى بغيرها من اللغات ، تتناول الفضائل المسيحية بأسهاب ، اللهم الا بعض كتب أو كتيبات ، حوت ضمن ما حوت ، شذرات متفرقة عن ذلك . كان كل همى أن انقل لطلاب الاكليريكية ، الفضائل المسيحية محددة فى اطار ، غير قاصرة على مجرد الكلام الوعظى أو التأملى .

كان ذلك من نحو أربعة أعوام . وظلت الفكرة تنمو ، والجهد ينمو معها حتى انتهت الى مجهود متواضع منذ عام أو نحو ذلك . ثم كان أواخر العام الماضى حين اضطررت أيضا الى مغادرة الدير والعودة الى العالم للعلاج من حالة مرضية حادة ، ألزمتنى الفراش نحو شهرين ونصف . كانت تلك الفترة الاخيرة بركة عظيمة لى ، اذ فيها كتبت هذا الكتاب فى صورته النهائية التى تقرأها ايها القارئ العزيز ، وشعرت خلالها بنعمة الله تتفاضل على ضعفى جدا .

انى أشكر الله من عمق قلبى على نعمته التى آزرتنى ، وبمينه التى احسست بها تمسك بيمينى فيما كنت اكتب . نعم لقد شعرت بها تتدخل فى كل مرحلة من مراحل اخراج هذا الكتاب .

والشكر اقدمه لله أيضا من أجل النعمة التى حباها احد خدامه الأمناء — الحبر الجليل الأنبا ثيوفيلس أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان) الذى أسهم بحق فى حركة الإصلاح الديرية فى هذا الجيل . لقد زود مكتبة

الدير بمئات الكتب، وعلى مقدمتها كتابات آباء ومعلمي الكنيسة التي استحضرها خصيصا من مكتبات أوربا وأمريكا . في هذه المكتبة ، وعلى تلك الكتب التي استحضرها الأنبا شينوفيلس ، تلمننا . . وعلى هذا ، فمن الحق والانصاف ان نقول، ان هذا الكتاب يعتبر أيضا من ثمرات ذلك الأسقف المصلح المستنير . الرب يحفظ حياته لمجد اسمه المبارك .

والشكر أقدمه لله كذلك من أجل آبائي رهبان دير السريان العاشر الذين آزروني بصلواتهم وعطفتهم وتوجيههم . وفي مقدمتهم أحد آباء الدير الذي أسهم بنصيب كبير في مادة هذا الكتاب ، سواء بكتاباته أو بتوجيهاته ونصائحه القيمة ، التي كان لها عظيم الأثر في اخراج الكتاب في صورته الحالية . كان ينبغى أن يذكر اسمه ، لكنه أبى ، منكرا ذاته . الرب الاله يعوضه ويكتب اسمه في السفر الخالد الذي للحياة الأبدية .

كما لا أنسى ان أقدم الشكر خالصا أيضا لاستاذنا الجليل دكتور وهيب عطا الله الذي تفضل — رغم مشغوليته الكثيرة المتزايدة — وراجع الكتاب .

وانى اذ أضع هذا الكتاب المتواضع بين يدي الرب الذي أحبنا وهدانا أسأله أن يجعله بركة لجميع الذين يقرأون فيه كلمات الروح والحياة ، وأن يؤازرنى بنعمته لاجراج الكتابين الثانى والثالث من هذا المؤلف .

وليتجد الرب فى ضعفنا ، وله كل مجد دائما أبديا آمين .

الراهب القس
شنوده السريانى

١٤ من يولية ١٩٦٠ } تفكار نياحة القديس
٧ من أبيب ١٩٧٦ } الاتبا شنوده رئيس المتوحدين



هدف الكتاب ومنهجه

هدف الكتاب :

لكل عمل هدف بوجهه ويحدد مسلكه ، وهدف هذا الكتاب يا أخانا الحبيب هو خلاص نفسك . اننا نريد أنك تريد كذلك . ولكننا نعلم أيضا أن نفسك — في جهادها الروحي — يعوزها أن تتقى أمورا ونقتنى أمورا . أما ما نتقيه فهو الخطية ، وللخطية في حياتك أسباب : مشيرات من الخارج ، وشهوات من الداخل . حرب من العالم — شيطان والجسد ، وعدم قدرة النفس على الصمود أمام كل هؤلاء . .

ولسنا نريد في هذا الكتاب أن نشفي أعيننا عن شيء ، ولسنا نريد أيضا أن نملئك . سنصورك على واقعيتك انسانا لك غرائذك وحروبك ، ونكلمك حيث أنت . فلا نتحدث اليك من فوق ، لأننا نحن بشر ضعاف مثلك ، لم نصل بعد إلى هذا الفوق . . نعم مساكين لا نهبه بصرك — في بادئ الأمر — بدرجات روحية أعلى من ادراكك . لننتهيها من بعيد وتصغر نفسك عن القرب إليها ، انما منهجنا هو أن نسير معك خطوة خطوة ، ونصعد معك السلم الروحي درجة درجة ، بطريقة طبيعية سليمة ليست فيها قفزات عجائية . فالقفزات في الحياة الروحية ذات خطر كبير ، وتقود أحيانا إلى الضد . .

نقطة البدء :

من أية نقطة نبدأ ؟ سنبدأ معك من أول الطريق ، من حياة التوبة . فالتوبة تصلح نقطة بدء لجميعنا . انها نقطة التحول في حياة كل فرد منا ، مبدأ تركنا للخطية ومسيرنا مع الله . ومن منا لم يخطئ ؟! « كلنا كفتم ضللتنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه » . اجتذبنا العالم اليه ، فسرنا وراءه وكأنا سكارى لا يحس ما نحن فيه . ثم استيقظنا أخيرا ، وشعرنا بفداحة أثمنا وندمنا عليه ، وأردنا أن نحيا حياة جديدة مع الله في نقاوة وبر ، هاتفين مع داود « أنا اضطجعت ونمت ، ثم استيقظت » . وهذه اليقظة ليست هي التوبة ، وانما هي بداية التوبة .

البعض منا قد استيقظ فعلا ، يقظة جادة ، وهو في حاجة إلى من يرشده في باقى خطوات الطريق الطويل . وبعضنا لم يستيقظ بعد ، ما يزال يغط في نوم الغفلة أو نوم الجهل أو في سكرة اللذة . والبعض قد استيقظ جزئيا

تكشفت له بعض خطاياهم فجاهد ليتوب عنها ، وبقيت خطايا أخرى لم تدركها بقطة التوبة أو لم تتكشف له بعد . والبعض بينه وبين هذه البقطة عوائق وصعاب في داخل نفسه وخارجها ، ومحتاج الى من يرشده الى الفكك منها حتى يتوب . وبعضنا لا يريد أن يستيقظ ، أو على الأقل لا يريد هذا الآن ! وبعضنا — وهذا أخطر الكل — لا يحس أنه نائم ، بينه وبين التوبة حاجز عظيم من الكبرياء ، من عزة نفس لا تريد أن تعترف بأنها أخطأت ، فطريقها كله أبيض في عينيها المتشامختين . . !

وسنفترض يا أخانا الحبيب أنك استيقظت الى ذلك ، أو على الأقل تريد أن تستيقظ ، وأنت تسأل « وماذا بعد » ؟ ماذا عن هذه الحياة الجديدة وطريقها ومساكها ؟ كيف يتوب الإنسان ؟ وكيف يحتفظ بتوبته ؟ وكيف ينمو في التوبة وكيف ينمو فيها ؟

ونحن — بنعمة الله — سنجيبك عن كل هذا، وسنحدثك بالتفصيل عن خطوات الطريق .

خطوات الطريق :

أول شيء يشغل القلب ليس هو المر الجديد وإنما مسؤولية الائم القديم . انه يفكر في كيف يتخلص من ثقل خطاياهم ومن تعذيبها له . هناك يظهر « الاعتراف » كخطوة أولى في التوبة لراحة ضمير القلب بمغفرة خطاياهم . ثم « التناول » من جسد الرب ودمه « كخطوة مكمله يمنح بها أيضا قوة الهية تثبته في الطريق . ومن هنا كان لابد لنا — بعد الموضوع العام الذي عن التوبة — أن نكتب موضوعين تفصيليين عن الاعتراف والتناول ، شارحين هذين السرير العظميين وممارستها عمليا في حياة القلبين ، وشروطهما ونتائجهما وما يتعلق بهما من أسئلة . .

بالاعتراف والتناول دخل الخاطيء الى الكنيسة تائباً . وماذا بعد هذا من الحياة الجديدة التي سيحيهاها في توبته ؟ هنا وكان لا بد لنا أن نشير الى الأساس ، أساس كل حياة روحية سليمة . فكتبنا موضوعاً عن **التواضع** ، وأذ شرحنا أهميته وشروطه وما يختص به ، عرضنا لموضوعين آخرين يمسان التواضع وهما الكبرياء والكرامة العالمية .

وضع الأساس إذن ، بقي البناء . أول ما بدأنا به هو **حياة الطهارة** ، فخطية الزنا هي — بعد الكبرياء — أخطر ما يحطم حياة الإنسان روحياً . ثم كتبنا موضوعاً عن **الفجسب** كخطية شائعة أيضاً . ثم تعرضنا بعد ذلك لموضوع آخر هو **خطايا اللسان** . فتحدثنا أولاً عن أئب الحديث والصمت ، ثم خطايا اللسان عموماً . وبعد ذلك عن أدانة الآخرين كخطية شائعة أيضاً .

وبهذا نكون قد عرضنا للتوبة عموما ، ولقوماتها ومقوياتها من احترامه وتناسول ، وللخطايا الشائعة التي تنمو طريق التسوية كالكبرياء والزنا والغضب وخطايا اللسان ، هنا ونعيد نفس السؤال « **بقي بعد البناء** » ؟ هذا البناء له ناحية سلبية ، وهذه قد عرضنا لها في هذا الجزء من بستان الروح الخاص بحياة التوبة . أما النواحي الإيجابية الخاصة بالفضائل وممارستها ، ومقومات الحياة الروحية عموما ، والعبادة وتفصيلها ، لهذه لها الجزءان الباقيان من بستان الروح ، لأن هذا الجزء لم يعد يتسع لمزيد . .

هذا الكتاب ليس لى :

ولكنى أسمع هامسا يقول « هذا الكتاب ليس لى . مالى أنا وحياة التوبة ؟ ! هذا الكلام يصلح للمبتدئين ، أما أنا فقد اجتزت هذه المراحل منذ زمان وهذه الأمور كلها عرفتُها منذ حدثتى . أريد أن أقرأ عن الدرجات العليا : عن الذنوب والرؤى والاستعلانات والأحلام والمواهب والحب الإلهى . . » !

خطير هذا الكلام يا أخى . التوبة ليست مرحلة يجتازها الإنسان ، وإنما هى حياة . طالما نحن نخطئ فنحن محتاجون الى توبة . وفى كل يوم نحن محتاجون الى مقاومة الخطيئة ، لأن حربنا لا يمكن أن تبطل ما دمنا فى العالم وما دمنا فى الجسد وما دام لنا عدو . كل ما فى الأمر أن نوع الخطيئة يختلف كلما نما الإنسان فى حياة الروح . فان كنت يا أخى لم تخطئ . فهذا الكتاب حقا ليس لك . أنه للبشر ، للذين أخطأوا والذين يخطئون . وهذه الأمور — وأن كنت تعرفها — إلا أنك محتاج أن تذكر نفسك بها باستمرار ، لئلا تكون قد نسيتها ، وأصبحت دون أن تحس — تقع فى خطايا المبتدئين ونجمع الحياتين معا : الصلاة والخطيئة . .

شبهة هى الدرجات العليا يا أخى وبهجة للعيون ، مبهرة للنظر حتى أن البعض — من تطلعهم إليها — نسوا أنفسهم . ولكن البناء لا يننى أولا من السقف بل من الأساس . حسن أن تنتهى تلك الدرجات ، ولكن عليك أن تصعد إليها من أول درجة فى السلم وهى التوبة . احذر لئلا تكون شهوة ذلك العلو الروحى نتيجة لبقية من كبرياء ما زالت مترسبة فى نفسك . كنت — وائنت فى أرض الخطيئة — تحب أن تكون عظيما فى الأرضيات ، وأذسرت الآن فى طريق المدينة المقدسة تحب أن تكون عظيما أيضا — بنفس الشهوة — ولكن بمظهر روحى !

تواضع يا أخى ، فانك لن تستطيع أن تصل الى كمال القديسين فى فصولهم وفى مواهبهم بقفزة واحدة . انهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بعد عرق كثير ودموع ، وبعد سقوط كثير وقيام . لم يصلوا الى عمل النعمة الكامل فبهم الا بعد أن تركتهم انعمة مرارا بفردهم فأحسوا ضعف طبيعتهم

وقوة عدوهم ، واعترفوا بمعجزهم امام الله والناس ، وانحنى رؤوسهم الى الأرض ، وحينئذ كلتهم النعمة بالأكاليل وهم ملتصقون بالتراب . وهكذا استراحت النعمة أن تسكن فيهم ، وأن تعطيهم النصر والمواهب ، واثقة أنهم سوف لا يتأذون بتلك النصر ولا بتلك المواهب لأنهم عارفون ضعف طبيعتهم ، متذكرون كثرة سقطاتهم . أما نحن يا أخى — المبتدئين في الطريق — فليس لنا أن نتخاطف أكاليل القديسين ورؤوسنا بعد مرتفعة واثقة بذاتها شاعرة بقدرتها ونقاوتها . ان النعمة — ونحن في حالة كهذه — لا تأتمننا على عطايها ومواهبها . فلنجلس أولا في مظلة لنبكى على خطايانا ، ونحزن على اسوار اورشليم المحطمة وابوابها المحروقة بالنار لنعش أولا حياة التسوية ، ولننشق تماها ونتضع ولا نظن أننا قد ادركنا شيئا . لنشعر دائها أننا مبتدئون في الطريق واننا لم نسر فيه شيئا . ولنفحص ذواتنا جيدا ، ونقدم على كل خطية وكل هفوة ، كل حس ردىء وكل فكر بطال . ولنقل أننا غير مستحقين لمواهب الله . وغير مؤهلين لدرجات الروح العالية ، لاننا ما نزال في دنسنا .

لنعش يا أخى هكذا ، وعندئذ سنأتى النعمة من ذاتها وتزورنا وتعمل فينا عملا . فنفرح وقتذاك ، لا بعملنا وانما بعمل النعمة فينا ، وهكذا نعطى مجددا لله . .

ومع كل ذلك الى اللقاء في الجزء الثانى من الكتاب .

احد رهبان دير السريان



فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١١	قصة هذا الكتاب
١٣	هدف الكتاب ومنهجه
١٧	حياة التوبة
١٨	ماذا تفعل الحطية
٢٢	ماذا تفعل التوبة
٢٣	الإله الرحوم الذي نعبد
٢٩	كيف أتوب
٣٩	فضائل يتميز بها التائب
٤٥	سؤالات .. هل للتوبة مراحل ... الفرح والحزن في حياة التائب
٤٧	امثلة للتائبين
٥١	أقوال قديسين وصلوات
٥٧	الاعتراف
٥٨	أهمية الاعتراف وبركاته
٦٤	عناصر الاعتراف وبركاته
٧٣	إرشادات عامة
٧٧	مرشد لحاسبة النفس قبل الاعتراف
٨٤	صلوات قبل وبعد الاعتراف
٨٥	التناول
٨٦	بالشرف وماعلية هذا السر
٨٩	كيف نستفيد من هذا السر
٩٧	ماهية التناول
٩٩	معلومات عامة عن التناول
٩٩	المواظبة على التناول
١٠٠	التناول في المناسبات
١٠١	معنى التناول باستحقاق
١٠٣	الطهارة الجسدية اللازمة للتناول
١٠٣	علاقة الكاهن بالسر
١٠٥	تسؤالات

١٠٥	التناول والصوم
١٠٥	مدة الاحتراس
١٠٧	التناول وسلامة المعتد
١٠٧	صلوات قبل وبعد تناول
١٠٩	الاتضاع
١١٠	كلمة عامة عن الاتضاع
١١٤	الاتضاع في حياة الرب وتديسيه
١١٩	الاتضاع أساس الفضائل
١٢٢	ماذا يفعل الاتضاع
١٢٨	كيف نقتنى الاتضاع
١٣٥	امور تساعد على الاتضاع
١٣٧	حياتك على ضوء الاتضاع
١٤١	موقف الاتضاع من بعض الفضائل
١٤٣	الكبرياء
١٤٤	حقيقة الكبرياء ومبادئها
١٤٩	ماذا تفعل الكبرياء
١٥٢	اسباب تقود الى الكبرياء
١٥٩	كبرياء الانسان امام ذاته
١٦١	بعض مظاهر الكبرياء
١٦٣	الكبرياء المستترة في الفضيلة
١٦٧	كيف يعالج الانسان كبرياءه
١٧٣	الكرامة
١٧٥	المسيحية وكرامة الانسان
١٨٠	لماذا اهرب من كرامات العالم ؟
١٨٣	كيف اقتنى الكرامة ؟
١٨٧	حياة الطهارة
١٨٩	شرف حياة الطهارة
١٩٠	الشباب وحياة الطهارة
١٩٣	كيف نحارب الخطايا الشبابية
١٩٨	كيف نقتنى الطهارة
١٩٨	الطرق الوقائية
٢٠٧	الطرق العلاجية
٢١٣	ما بعد السقوط
٢١٤	الاحلام والاحتلام
٢١٦	ارشادات هامة

٢١٩	الغضب
٢٢٠	نوعان من الغضب
٢٢٠	الغضب المقدس
٢٢٢	الغضب الخاطئ من جهة سببه
٢٢٣	الغضب الخاطئ من جهة طريقته ونتائجه
٢٢٤	وجوب الإبطاء في الغضب
٢٢٤	معاملة الغضوبين
٢٢٦	بعض نصائح لمن يغضبون
٢٢٩	آداب الحديث والصمت
٢٣٠	اللسان وخطورته
٢٣٤	الكلام الجيد والردىء
٢٣٩	بعض إرشادات وآداب الحديث
٢٤١	بعض آداب المناقشة
٢٤٦	الصمت
٢٤٦	لماذا مدح الصمت
٢٤٧	بعض بركات الصمت
٢٤٩	أمثلة لرجال الصمت
٢٥١	بعض خطايا اللسان
٢٥٢	الكذب
٢٥٩	الحلف
٢٦٣	النهيمة والاعتياب والذم
٢٦٦	شهادة الزور
٢٧٠	الشتمية
٢٧٢	كلام الهزل
٢٧٤	التملق
٢٧٥	النذر
٢٧٧	الادانة
٢٧٨	خطورة خطبة الادانة
٢٨٠	أسباب الادانة
٢٨٤	لماذا يجب ألا ندين
٢٨٨	عاقبة الادانة
٢٩١	كيف نتخلص من الادانة

حياة التوبة

« ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون »
(لو ١٣ : ٥)

- + ماذا يفعل الخطية ؟
- + وماذا تفعل التوبة ؟
- + إله الرحوم الذي نعبد
- + كيف أتوب ؟
- + فضائل يتميز بها التائب
- + أمثلة للتائبين
- + من أقوال الآباء في التوبة

خلق الله الانسان طاهرا قديما ، على صورته ومثاله . لكنه بعصيانته للخالق وسقوطه في الخطيئة ، تغيرت طبيعته وسقط من رتبته ، وفقد أشياء كثيرة .. فقد المردوس الذي كان يتنعم فيه بوجوده في حضرة الله ، وفقد سلامه وفرحه وسلطانه كنتاج للخطيئة .. فقد أشياء كثيرة لا تقدر قيمتها ، ولا يقيم ثمنها . ولم يبق سوى الخطيئة وآثارها ، يتلوى من أشواكها ، ويعانى من مر مذاقتها ، ويسرى في جسده زعاف سمها .. نقض بيده خيمة مسكنه فعمصت به رياح الشهوات ، وتمصرى بارادته من ثوب البر معانى من برودة الاثم ، ونأى بنفسه عن شمس البر ، فلم يستدفئ بحرارتها ، أو تكتحل عيناه برؤية نورها وضيائها ..

والآن قبل أن نستقل سفينة النجاة لنجوز بها بحر التوبة في طريقنا إلى ميناء الخلاص ، يحسن بنا أن نقف قليلا لنناقش سؤالا ضروريا هاما ..
نعرض سؤالا مزدوجا : ما هي الخطيئة ، وماذا يفعله :

ما هي الخطيئة :

الخطيئة التي نستخف بها — حتى ما بدو منها تافها — هي نعد على الله ، وتمرد عليه (يع ٢ : ١١) ، وهي عصيان ضد الله وهي صلال .. بل هي الموت عينه .. هكذا عمر الرب يسوع عن الابن ابسال : « كان ميتا فعاش ! » وكان ضالا فوجد (لو ١٥ : ٣٢) .

والخطيئة هي ضعف وانحراف ومثيل . لأن الانسان لم يستطع أن يضبط نفسه ، بل خضع لسلطان الخطيئة وعودتها .

ماذا يفعل الخطية ؟

(١) القلق وفقدان السلام :

بالخطيئة فقد الانسان سلامه وورث بدله انقلق . وهكذا يكون القلق قرين الخطيئة ، يأتي في ركبائها ويسفر معها . وعلى هذا النحو يفقد الانسان الراحة القلبية الهادئة نتيجة حلول الله في هيكله . وبعدرة أخرى يفقد سلامه الدخلى الذى هو من أعظم عطايا الله للإنسان ، ووصفه الرسول بأنه « **يفوق كل عقل** » (فى ١٧ : ٤) . قال اشعيا النبي : « **أما الأشرار فكل بحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهزأ** » . وتهدف مياهه حياة وطيبا . ليس سلام قال الهى

للإشرار » (اش ٢٠: ٥٧ و ٢١) . **فما أروع تشييبه النبي للشرير** « لا يستطيع أن يهدأ » ، حتى لو أراد الهدوء فهو لا يستطيع فالسلام ثمرة من ثمار الروح القدس (غل ٢٢: ٥) ، والقلق ثمرة من ثمار الخطيئة ، وليس شركه للظلمة مع النور . قال داود النبي « ليست في عظامي سلامة من جهة خطيئي » (مز ٣٠: ٢٨) .

ان للشرير خصما ينافعه ويقلقه ، ولا يكف عن مآزعه واطلاقه حتى يثوب الى رشده ويتوب عن خطاه ، ذلك الخصم هو الضمير الذي — حسب تفسير الآباء — أشار اليه السيد المسيح وأمرنا أن نرضيه . . . كن مرضيا بحصنك سريعاً ما دمت معه في الطريق . . . » (مت ٢٥: ٥) ، ولنا دليل على ذلك من حياة لقائين بعد أن قتل أخاه هابيل . فقد صرخ الى الله قائلاً « من وجهك اختفى . وأكون معها وهاربا في الأرض ، فيكون كل من وجدني يقتلني . . وجعل الرب لقائين علامة لكي لا يقتله كل من وجده » (تك ١٢: ٤ — ١٥) . لقد كانت تلك العلامة التي جعلها الرب لقائين ، حتى لا يقتله أحد ، سبباً في ازدياد تأنيب ضميره . . !

وهكذا نجد أن الإنسان طالما هو بعيد عن الله يظل في قلق حتى يعود اليه ، لأن الله أراد ألا يجد قلبنا مكانا يرتاح اليه الراحة الكاملة فيرجع اليه . . هكذا فعلت الحماة التي أطلقتها نوح ، فلما لم تجد راحتها في العالم صادت الى الفلك . وبونان الذي هرب من وجه الله ، مظلّت أمواج البحر وزوابعه تطارده وتقاومه ، ولم يجد سبيلاً للنجاة الا بالرجوع الى الله فطلسه وهو في بطن الحوت . . أما نقرأ عن كثير من المجرمين والقتلة الذين — بعد أن غشّل رجال الأمن في وضغ أيديهم عليهم — أسلموا دواتهم بارادتهم واعترفوا بجرائمهم حتى بعد وقوعها بسنوات . وذلك كله يرجع الى أنهم فضّلوا الاعتراف ، وما يترتب عليه من قصاص وعقاب ، عن هرب والاختفاء ، ووخز الضمير وثورته . .

والواقع أنه ليست هناك كثرة تنزع سلام الإنسان كالخطيئة، ولا مصيبة أشد هولاً من الوقوع في برائتها . لقد فقد أيوب بقره وغنمه وحمله وغلماؤه وأولاده جميعاً في يوم واحد . ولم تكن مكتته في كل ذلك كتكية داود العظيم في خطيئته . فما استطاعت محبة أيوب أن تنزع سلامه وأطمئنان نفسه ، فسمعه يقول « عربانا خرجت من بطن أمي وعرباننا أعود الى هناك . الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركا » . أما داود المسكين فسمعه يقول بعد سقطته « ودموعي أبل مراشي » . . « خطيئي أمامي في كل حين » .

(٢) الحزن والكآبة :

ويأتي مع الخطيئة الحزن والكآبة . فالفرح من ثمار الروح القدس (غل ٥ : ٢٢) **والحزن والكآبة من ثمار الخطيئة .** فالشعب الاسرائيلي في السبي

البابلي كانوا جالسين على أنهار بابل تحيط بها أشجار الصفصاف الجميلة . لكن تلك المناظر الطبيعية لم تسبهم مرارة الأسر الذي كانوا يعانونه . . بل نراهم مزجوا مياه أنهارهم بمجاري دموعهم وعوض انفسهم الطرب هلت أصوات البكاء والنحيب . . هناك على أشجار الصفصاف علقوا قيثاراتهم . . اد ليس محل للفرح في ظل الأسر ؟ على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تفكرنا صهيون » (مز ١٣٧) .

ان هذا المزمور يذكرنا « بالأسر الروحي » ويعطينا صورة للنفس التي أسرها الشيطان من اورشليم مدينة الملك العظيم (مت ٥ : ٣٥) الى بابل مدينة الزواني (رؤ ١٨ : ٢٠) ففقدت سلاحها وجرحها قاتلة في صوت أسيف « كيف تسبح تسبح الرب في أرض غريبة . . » !!

(٣) قطع الرجاء :

هكذا رأينا ان القلق والحزن والكآبة هي ثمرة من ثمرات الخطيئة . . فيها سم الموت . قد تكبر هذه الثمرة ، وقد يؤدي بصاحبها وحامها الى حد القنوط وقطع الرجاء ، فالأسحار . . ان أعلى نسبة للانتصار توجد فيها يسموه بلاد المذنبه ، او بالاحرى حيث الاناحية والمرتع الخصب للخطيئة .

(٤) اساءة العلاقة بالناس :

وان كانت الخطيئة آحرمني سلامي مع الله وعلاقتي الطيبة معه ، فهي تفعل نحو ذلك في علاقتي مع اخوتي من بني البشر . من كانت المحبة هي رباط الكمال ، الذي يحكم الرابطة بين الناس منحطيه بفعل عكس ذلك . لان الخطيئة في حد ذاتها تعد « كل من يفعل الخطيئة يفعل التعدي ايضا . والخطيئة هي التعدي » (١ يو ٣ : ٤) — هي تعد على وصايا الله ، وهي تعد على الناس ايضا . ماذا نقول في القاتل والسارق والضارب والزاني ؟ الا يعتبر بخطاياء هذه متعديا على غيره ؟! فبادا عساه يفعل مثل هذا المعتدي في علاقات الانسان بالآخرين !!

(٥) تسبب غضب الله :

والخطيئة تهيج غضب الله على الانسان . فبسببها لعن الله الارض التي خلقها واحسن تكويها فقال لآدم بعد ان اخطأ « ملعونة الأرض بسببك » (تك ١٧ : ٢) . . وسببها أحرق الرب مدينتي سدوم وعمورة بما فيها وصارتا رمادا . وجعلهما « عبرة للعتبين أن يفجروا » ، ولم تجد فيها شفاعة ابراهيم ولا سكنى لوط (٢ بط ٢ : ٦٠) . . وسببها ايضا ضرب الرب بني اسرائيل في البرية فسقط ثلاثة وعشرون الفا بعد أن زنوا مع فئات موب (١ كو ٨ : ١٠) ولو كان الأمر على خلاف ذلك ، فما الذي أبكى داود العظيم ليلا ونهارا حتى صار ييل فرائشه بدموعه يمزح شرابه بعبرات عينيه . . ؟!!

وهي تحرم الإنسان من معونة التقدير . فبنو اسرائيل الذين سار الرب امامهم ، واعطاهم غلبة على شعوب وامم تفوقهم عددا وعدة ، تخطى منهم بسبب خطية فرد واحد منهم هو عاخان بن كرمي ، فاتهمزوا امام قرية حاي الصغيرة (يش ٧) . فالخطية تفصل بيننا وبين الهنا فلا تصل صرخاتنا اليه « ها ان يد الرب لم تقصر عن ان تخلص ، ولم تثقل اذنه عن ان تسمع ، بل ان اثمكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع » (اش ١٥٩ و ٢) . وقال داود النبي « ان راعيت اثما في قلبي فلا يستمع لي الرب » (مز ١٨: ٦٦) . وبالتالي هي : تمنع عنا خيرات الرب وعطاياه « اثمكم عكست هذه وخطاياكم بمنعت الخير عنكم » (ار ٢٥: ٥) .

(٦) تجلب العار والأمراض :

ولا شيء يجلب العار للنفس ، والفشل في الحياة ، مثل الخطية « فالبر يرفع شأن الأمة ، وعار الشعوب الخطية » (ام ٣٤: ١٤) . وان اردت ان تعرف قوة هذه الكلمات ، فانظر الى الزناة والسكيرين والمدمنين على المكيفات والمخدرات ..

وبالإضافة الى ذلك ، فقد تسبب أمراضا للجسد كما يتبين ذلك من كلمات رب المجد في انجيله المقدس . فمثلا نجده يقول لمريض بيت حسدا الذي مكث مريضا ، ثبسي وثلاثين سنة « ها انت قد برئت . فلا تخطيء أيضا لئلا يكون لك اثر » (يو ٥ : ١٤) .

(٧) تجلب الخوف :

واخيرا فان الخطية نزل الانسان وخط من قدره . فهي تورثه الخوف (رؤ ٨: ٢١) . والخجل (تك ٢٥: ٢ ، ام ٥: ١٣) ، وتفقدته سلطانه حتى على ذاته فيصبح مستعبدا للمعادن السيئة التي لا يملك التحرر منها . ويتملكه الخوف من اقل الأشياء وانته الكائنات كالحشرات الضئيلة والحشرات الحبيرة ، بعد ان كان حيا في الفردوس مع الحيوانات التي تعرف الان باسم الحيوانات المفترسة دون ان نساله منها اذى . بل كانت جميعها خاضعة له بموجب السلطان الربى الذي ناله من الله (تك ٢٦: ١) . لكن الانسان تخطى عن هذا السلطان طواعية بسقوطه في الخطيئة ، وهكذا بدأ الخوف يعرف طريقه الى الانسان . كتنا حياة التسوية نجاهد لنصل الى حالة البر التي كان عليها آدم قبل السقوط .. وهكذا سمعنا عن قديسين كثيرين تأسوا مع الوحوش .

ماذا تفعل التوبة ؟

التوبة هي رسالة المسيحية . . فيوحنا المعمدان ، الذى هيا الطريق أمام المسيح دعا الناس الى التوبة (مر ١ : ٤) . والرب يسوع نفسه كرز بالتبجيل التوبة . وهكذا أوصى تلاميذه أن ينادوا فى الناس بالتوبة « توبوا لأنه قد اقترب منكم ملكوت الله » .

ان كلمة « **مطابقة** » هي كلمة يونانية ، وتعنى التوبة . . وهى فى اصلها اللغوى تعنى تغيير القلب وتغيير اتجاه الحياة . . وهكذا نجد أن التوبة هى المفهوم المسيحى تعنى الحياة الجديدة ، او جدة الحياة . . هكذا عبر بولس الرسول عن هذا المفهوم بقوله « ان كان أحد فى المسيح فهو خليفة جديدة . الاشياء العتيقة قد مضت . هو ذا الكل قد صار جديدا » (٢ كو ٥ : ١٧) . فالمسيحية تنادى بالجدة فى كل شيء ، وتعلم الا يجعل أحد رهبته جديدة على ثوب عتيق ، او يجعل خمرا جديدة فى زقاق عتيق (١٦ : ١٧) . . وكلمات رب الجدة هذه تلقى ضوءا على المفهوم التوبى . . بها تغيير كامل شامل للحياة كلها ، وليس مجرد وضعه على ثوب عتيق . .

هكذا فهم القديسون التوبة . . وسيمون بارووع النعموت . . فقالوا عنها مثلا انها : صلح مع الله ، ومعمودية . . وسفير للخطايا ، ومحو للآثام ، ورجوع الى الله . انها تصلح . . بسببه انصحيه . . وبسبب ما هدمته المعصية . تجدد قلب الخاطيء . . وليس الآثم حله البر . انها تطرد عنا أعمال الظلمة وقوات الشر . . تساق المريض بالخطية . . ويقوم الموتى بالذنوب والآثام . هي بحر يعمسل جميع الدسسين ويطهرهم . . انها تجتذب من الطرقات الى الملكوت ، ومن السياجات ندخل الى عرس الخن . .

بالخطية يخسر كل المواهب والفضائل والنعم . والتوبة تعيدها اليها . طريق التوبة طريق امين . وهى باب مفتوح للخلاص لا يفلق اذ هو مصدر الله الحنون « من يقبل الى لا اخرجه خارجا » (يو ٦ : ٢٧) . التوبة تهدى غضب الله . نقصد رحمت اهل فيسوى معد ان ندم الملك والرعية . والاباء والأمهات والأبناء . ناثرين الرماد على رؤوسهم ، لابسين المسوح ، جالسين فى التراب .

الإله الرحوم الذي تغنى

(١) رحمة الله يتغنى بها الأنبياء والرسل

تستند مكرة النوبة على صفة الرحمة في ذات الله . هذه الصفة التي اهتم الله بتثبيتها في عقول البشر ، الذين يعرف ضعف طبيعتهم ، عن طريق مواعيده المتكررة الثابتة الاكيدة في كتابه المقدس . وهكذا نغنى بالرحمة الانبياء والرسل والقديسون ، مبشرين البشر بها . فقال الله قديما لشعبه « الرب اله رحيم ورؤوف ، بطيء الغضب وكثير الاحسان والودء . حامط الاحسان الى الابد . غافر الاثام والمعصية والخطية » (خر ٣٤: ٦-٧) .

اما داود العظيم ذو القيثارة الملائكية فقد تغنى في كثير من مزاميره بمراحم الله الواسعة الكثيرة . بل بلغ به التحمس في أحدها ان أخذ يحث نفسه ان تشترك معه وهو يشدو لحمة العذب . بقوله « باركي يا موصى لرب وكل ما في بطنى ليبارك اسمه القدوس .. الذي يعمر جميع دنوبك الذي يشمى كل امراضك .. الذي يكللك بالرحمة والبر » **الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة .** لا يحاكم الى الابد ولا يسد سبيل تدبر . لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يحاربنا حسب اثمنا . لانه مثل ارتفاع السموات فوق الارض قويت رحمته على حنئمه . كمعد المشرق من المغرب أعد عنا معاصينا كما يقتراف الاب على البنين يبارك الرب سبب حنئمه . لانه يعرف جيلنا يذكر لنا تراب نحن » (مز ١٠٣) . وفي موضع ثان قال مسحا « الرب حنان ورحيم ، طويل الروح وكثير الرحمة . الرب صالح لكل ومراحمه على كل اعماله » (مر ٨٠: ١٤٥) . وفي موضع ثالث قال « رحمتك يارب قد ملأت الارض » (مز ١١٩: ٦٤) ، وفي موضع آخر يقول مباحيا الله « رحمتك امام عيني » (مز ٢٦: ٣) وتسمو الرحمة ويرتفع قدرها في نظر الس والملك حتى تغدو في بصره انها اهم من الحياة فيقول « **لان رحمتك افضل من الحياة** » (مز ٦٣: ٣) .

اما يونان النبي الذي اندر مدينه بيوى بالدمار بسبب خطايها ، منجده وقد تضايق من غرط مراحم الله ، قال في تنهيد وثأوه « آه يارب . اليس هذا كلامي اذ كنت بعد في ارضي . لذلك نادرت الى الهرب الى ترشيش ، لاني علمت انك اله رؤوف ورحيم ، بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر » (يون ٢: ٤) .

وهكذا عدت مراحم الله العظيمة مادة لتأمل رجال الله القديسين على نحو ناملهم في طبيعته وما فيها ، فيقول ارميا النبي « أردت هذا في قلبي : من أجل ذلك أرحو أنه من أحببت الرب إنما لم نفن . **لأن مراحمه لا تقول هي جديدة في كل صباح** . كثيرة أمانتك » (مراثى ٢١:٣-٢٣) . وكأني بهذا النسي كان يرى ويلبس هذه المراحم الجديدة في كل صباح . تلك كانت التعبيرات في العهد القديم .

أما في العهد الجديد ، عهد الفداء والخلاص والنعمة ، فوجد الرسل وهم يتحدثون عن الفداء والخلاص يبرزون رحمة الله في هذا الفداء المجاني ، والخلاص الذي صنعه الرب لنا . ولا عجب في ذلك فعمل الفداء كله قائم على أساس رحمة الله . فلولا الرحمة ما كان فداء و خلاص ، « فقد أحبنا بلا سبب » من أجل رحمته الكثيرة . ونجد هذه الفكرة واضحة في كتابات كتبة العهد الجديد ورجاله .

فذكرنا أبو يوحنا المعمدان بعد أن امتلأ من الروح القدس نسمعه يقول عن ابنه يوحنا ممتنسا « وأنت أيها الصبي نبي العلى تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه . لنمطي شعبه معرفة الخلاص بشفرة خطاياهم . **باحشاء رحمة الهنا التي بها افتقنا المشرق من الملاء** ، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت ، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام » (لو ٧٦:١-٧٨) وبولس الرسول يقول « الله الذي هو غنى في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ، وبحر اموات بالخطايا أحبانا مع المسيح » (أف ٢:٤) . وقال أيضا « لا بأعمال في مر عملهم بحر بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » (تي ٣:٥) . ومعلمنا بطرس يقول في رسالته « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حتى بقيامه يسوع المسيح من الأموات » (١ بط ٣:١) .

٢ - الرحمة وعملية الفداء :

لكن ما علاقة الفداء القوية برحمة الله ؟

إن هذا يتعلق بقصية العمران عامه . فلولا رحمة الله ما كان غفران ، وما أفلحت نوبه . فأننا اتوب من أجل الحصول على غفران خطايي ، فلو لم يغفر الله لي خطايي فما فائدة التوبة ؟ فلنأكل ونشرب ونلهو لأننا غدا نموت .

واكن كيف يغفر الله لي ذنوبي وآثامي ؟ إلا يكون في العمران تناقض مع وصايا الله التي نهت عن الخطية . وتوعدت غا عليها بالعقاص والعقاب ؟! أو بعبارة أخرى ، إلا يكون في الغفران تناقض مع عدل الله الذي يقتضى بأن « أجرة الخطية هي موت » (رو ٢٣:٦) ؟!

كان يمكن أن يكون كذلك لو لم يكن لرحمة الله دخل وعمل . مآرجه
 مطهر وتتقدم . وتتقابل مع عدل الله في طريق انقصاص . وهذا ما يصوره
 داود النبي تصويراً بديعاً بقوله « لان خلاصه قريب من حاتميه . ليس
 المجد في أرمدا **الرحمة والحق البقيا** . البر والسلام لناثما » (مز ٨٥ : ٩ .
 ١٠) . ورحمة الله لم تلغ عدله . ولم يطل عمله . لكنها أوجدت خلا
 وهذا الحل قائم في ان الله بموت فداء عن الانسان الذي أخطأ . الله غير
 المحدود يتخذ جسداً مثلنا ليعدي الانسان الذي استحق عقاباً غير محدود
 نتيجة تعديه وصيه الله غير المحدود . ذلك الفداء الذي لم يكن ممكناً لملك
 أو رئيس ملائكة أو نبي أن يتمه .

٣ — الله الرحوم يعد بالمغفرة للتائبين :

نستطيع القول في ثقه ويقين . اما الآن في عصر الرحمة ، التي
 ما بعدها رحمة . الرحمة التي احملت الاهتاب والنعيرات حتى الموت .
 فنقبل اليه تائبين . ناديين . معترفين بخطايانا . مقرين بأثامنا ، واثقين
 من صدق مواعيده ، وانه ما زال هانحاً احضائه ، منادياً الجميع
 « تعالوا . واما اريحكم » . « من يقل الى لا اخرجه خارحاً » (يو ٦ :
 ٣٧) . هو مستعد أن ينسى خطايانا ويترك أثامنا ، ويتغاضي عن جهالاتنا،
 ولا يعود يذكرها ، بل يطرحها في بحر النسيان « من هو اله مثلك غافر
 الاثم ، وصافح عن الذنب لبقية ميراثه . لا يحفظ الى الابد غصه قائه
 يسر بالرائه . يعود برحمنا . يدوس آثامنا وتطرح في اعماق البحر جميع
 خطايهم » (ميخا ٧ : ١٨ ، ١٩) .

ما أكثر مواعيد الله التي تشجعنا لنقبل اليه تائبين . لقد وعدنا بأن
 ينسى كل خطايانا الماضية لنصبح معه وبه وفيه خليفة جديدة . قال الرب
 بلسان حزقيال النبي « اذا رجع الشرير عن جميع خطايه التي فعلها
 وحفظ كل فرائضه ، وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا . لا يموت . كل معاصيه
 التي فعلها لا تذكر عليه . في بره الذي عمل يحيا . هل مسرة أسر بموت
 الشرير يقول السيد الرب ، الا برحوسه عن طريقه فحيا . واذا رجع
 البار عن بره وعمل اثماً ، وفعل مثل كل الرحاسات التي بفعلها الشرير .
 اميحيا ؟ كل مرة الذي عمله لا يذكر في خيانتته التي خبها . وفي خطيته
 انتى أخطأ بها يموت » (حز ١٨ : ٢١ — ٧٤) . وقال بلسان اشعيا
 النبي « ليترك الشرير طريقه ورحل الاثم افسكاره ، وليب إلى الرب
 غيرحمه ، والى الهنا لأنه يكثر الغفران » (اش ٥٥ : ٦ ، ٧) . وقال
 القديس بطرس الرسول « توبوا وارجعوا لنمحي خطايكم ، لكي تأتي
 اوقات الفرج من وجه الرب » (١ ط ٣ : ١٩) . وهو لا يشاء أن
 يهلك اساس ، بل أن يقبل الجميع الى التوبة » (٢ مط ٢ : ٩) .
 مبالها من اقوال الهية تريح السوس المتعة وتدخل الطمأنينة الى القلوب
 الواجفة .

ولكن الدرة الكريمة التي تزين تاج الرحمة الذي توج به رب المجد هلمة الخطاة ، هي اقواله وامثاله التي تركها لنا ناطقة بحبه ، معلنة رحمته داعية الجميع للتوبة . ومن هذه الامثال ما اورده القديس لوقا الانجيلي في الاصحاح الخامس عشر من بشارته .

افتتح البشير هذا الاصحاح بالكلمات الآتية : « وكان جميع العشارين والخطاة يدبون منه ليسمعوه . فغذمهم الفريسيون والكتبة قائلين : هذا يقبل خطاة ويأكل معهم . فكلهم بهذا المثل قائلا .. » (لو ١٥ : ١ - ٣) . اما الامثلة التي ضربها رب المجد ردا على تغمر الفريسيين والكتبة في تلك المناسبة ، مرهنا على حبه العميق للخطاة ، فهي ثلاثة : مثل الخروف النائه (الضال) ، ومثل الدرهم المفقود ، ومثل الابن الضال (الشاطر) . وكل مثل من هذه الامثلة ناطق بحبة الله للخطاة السعيدين وحده عليهم مصوره عجيبة ، تدعو الى كثير من الدهشة ، وتحمل الانسان في النهاية على الاسلام لدعوة التوبة ، وهو يقول في صوت متهدج من غرط الخجل « يا رب ماذا تريد ان افعل » (اع ٩ : ٦) . لكن دعنا نأخذ من احد هذه الامثلة وهو الخاص بالابن الضال (لو ١٥ : ١١ - ٣٢) .

٤ - مثال الابن الضال :

فالابن الذي ترك بيت ابيه . هو يتار لندرس ابي يترك الله وبيته ذلك الابن سامر الى كوره بعيد حدث بدم مائه يعيش بمرف ، وهناك احتاج . فاشتعل برعى الحماير ، واشبهى ان يملأ بطنه من الحبوب ... هذه كلها صصور لما تقود اليه الخطية والبعد عن الله . هذا الابن بمجرد ان شعر بسوء ما آل اليه حاله ، قام ليرجع الى ابيه ويعتذر له طالبا الصفح . وهذه بشير الى طريق التوبة وخطوانها . يقول السيد المسيح عن ذلك الابن « مقام وجاء الى ابيه ، واذا كان لم يزل بعيدا ، رآه ابوه فغضب ، وركض . ووقع على عنقه وقبله » . ما اقوى هذه الكلمات ، وما اروع هذا التعبير ، الذي اراد الرب ان يصور به حبه الشديد للخطاة وحنوه عليهم ..

« واذا كان لم يزل بعيدا رآه ابوه » . على اي شيء يدل هذه الكلمات ، الا على الانتظار ؟ الاب من عاطفته الابوية ، ينتظر ابنه الذي تركه في غير ايم . وطالب بما يحصه من بل في غير محل !! فان كان هذا هو حال الاب الجسدي الذي تشوب حياته الفئس مكم تكون مشاعر الاب السماوي نحو اولاده ؟ !! وهو الذي يوحنا في موضع آخر من الانجيل المقدس بقوله « فان كنتم وانتم اشرار تفرغون ان تعطوا اولادكم عطايا حيدة ، فكم بالحري ابوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه » (مت ٧ : ١١) .

ثم ما هي نتيجة رؤية الأب لابنه الضال ؟ « تحزن ، وركض ، ووقع على عنقه ، وقبله » . كل هذه الخطوات من جانب الأب نحو ابنه تمت قبل أن يسموه الابن بكلمة اعتذار واحدة لابيه ، أو حتى يقدم دليلا على ذلك . . وربما كانت هذه الخطوات من جانب الأب أيضا أمرا لا يتناسب معه . إذ كيف يركض (يجرى) الأب ، ألم يكن هذا جديرا بالابن الشاب ، واليقين به ؟! لكنها المحبة التي نسي كل الإساءات وتمحو كل السيئات . ولن ذلك الأب الجسدي أظهر حبا بهذا المقدار نحو ابنه الذي تمرغ في حماة الائم . مكم يكون حب الله لابنائه ، الذين اقتنصهم عدو الخير لارادته ، وقيدهم بقيود الظلمة ، وأذلهم تحت سلطانه ؟! ألا يحنو عليهم ، ويفكهم من قيوده ، ويحررهم من عبوديته ، ويمتعمهم بينوته ؟! ألا يفعل ذلك وهو القائل بنفمه 'الابن الظاهر' لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى . . لأنى لم آت لأدسو اسراراً بل خطاة الى التوبة » (مت ٩ : ١٢ و ١٣) .

كانت هذه المشاعر من جانب الأب ، فماذا فعل الابن نحو أبيه ؟ كان الابن وهو معد في الكورة العبيدة ، قد تعاهد مع نفسه أن يقول لابيه معذرا حينما يلقاه « يا أبى احطب الى السماء وعذامك . ولست مستحقا بعد أن ادعى لك انا . اجعلنى كأحد أجراك » . وحدث لما تقابل مع أبيه أن مل بنفس هذه الكلمات ، لكن الأب لم يدعه يقول العباره الاخيرة منها 'اجعلنى كأحد أجراك' . وهذا التصرف من جانب الأب له أهميته ودلالته في علاقتنا بالله فنحن لا نفقد بنوتنا للأب السماوى ، مهما ارتكبنا من معصي وشور . ولذا فالكنيسة المقدسة لا تعيد المعمودية — التي بها نرسمة البتوة — حتى في حالة رجوع الانسان المريد عن الايمان . ومن قد كان عليا الانسى ابدا أننا أبناء الله ، **فعلنا** لذاته ، وقدم فيه الالهى نسب لهذه البتوة « عالمين انكم افتديتم بأشياء ثغنى ، بغضة أو ذهب . . من دم كريم كما من حمل بلا عيب دم المسيح » (١ بط ١٨ ، ١٩) . كلمة « امانا » هي الكلمة الشجيه ذات النغم العذب التي يلذ للرب — عنها غمر تلاميذه أن يكرروها « مى صلبتم فقولوا امانا الذى فى سموات » (لو ١١ : ٢) .

ثم ماذا بعد هذا فى هذه القصة ؟ ماذا بعد ان قدم الابن المتبرد توبة واعتذرا ؟ لقد صدر أمر الأب لعبيده « اخرجوا . الحلة الاولى والبسوه ، واحملوا حانبا فى يده ، وحذاء فى رجله . وقدموا العسل المسمن واذبحوه فكلوا ونفسحوا . لأن ابنى هذا كان ميثا فعاشى وكان ضالا فوجد » . كان الابن عربانا من جراء الخطية (تك ٣ : ٧) ، فكساه ابوه . وهذا به فعله التوبة ، إذ تلبس الائم حلة البر كما يقول القديس اشعيا الروحانى . . وحين نسال أنفسنا « ألم يكن الابن الاكر الذى عاش فى طاعة أبيه ، حقيقا بها ؟! » . لكنها أحشاء الرافات التي للاباء ، فالابن المريض يتمتع

بعطف أبيه أكثر من بقية إخوته ، وهكذا مريض الروح يتمتع بعطف الأب السماوي أكثر من التسعة والتسعين الذين لا يحتاجون إلى الطبيب (أو إلى شفاء) . أما الخاتم الذي جعلوه في يده ، فهو علامة العهد بين الأب وابنائه ، أنه لا يموت يذكر تعدياته . لقد كان كل اهتمام الأب أن يكسو عرى ابنه . لكي يعود له مظهر الابن في بيت أبيه وكأنه لم يفعل شراً .

إن الابن لم يقدم لأبيه سوى مشاعر صيغت في كلمات ، أما الأب فعوض هذه خلع عليه من خسرانه . وهكذا نحن في علاقتنا مع أبينا السماوي ليس لنا سوى مشاعرنا القلبية نقدمها في عبارات وعبارات . نقبلنا إليه وبقينا من قبض غناه ، ويهبنا عطايا روحية ، ومواهب قدسية ، عوض ما خسرناه بالخطية . .

فانظر يا أخى إلى مراحم الهنا التي لا يعبر عنها ، وحبه عليك ، ومحبه لك ، واشتياقه إلى خلاصك ، حتى في الوقت الذي تهينه وتغيبه وتكون سببا في التجديف على اسمه المبارك العظيم . .



كيف أتوب ؟

١ - حساب نفسك :

الخطوة الأولى في طريق التوبة هي محاسبة النفس . اجلس مع نفسك وحاسبها على نحو ما فعل الأمن الضال . استعرض حالات شقاك وسعك وقلبك وفقدان سلامك ، وقل لذاتك « كم من أجر لابي (السموى) يعضل عنه الخبز » النعم الروحى « ، وأنا أهلك جوعا (روحيا) .. ما الذى سلبنى سعادتى وراحتى وفرحى وسلامى .. ؟ ما الذى جنبته طوال ليل حياتى المظلمة نتيجة امعالي الاثيمة ؟ ان كنت صريحا مع نفسك ، وامسا مى محاسبتها فستكون الخاتمة ، وقفة خاشعة امام الله ، وصلاة خرجة من قلب ملؤه الخجل ، ووجهها منكسا الى أسفل ، وعينين دامعتين ، وبدا تفرغ على الصدر فى ندم ، وشفتين ترددان نفس كلمات ذلك الابن يا ابي اخطأت الى السماء ..) .

والحق ان حساب النفس يعتبر - ولا شك - من المفومات الاساسية لحياة الروحىة . تكلم عنه قديسون واناضوا فى اهميته . فنحن قد نخجل من مكاشفة الآخرين بمكنونات دواخلنا ودقائقها ، لكننا لا نخجل من انفسنا . وقد لا نتقبل فى رضى تأنيب الآخرين ولومهم ، او فى القليل توجيههم ، لكن نفوسنا لن تتماهل منا حين يلومها ومقرعها ونقسو عليها ..

ولا تقتصر منافع حساب النفس على الناحية السلبية ، اى نواحي مراجعة الاخطاء ، بل ايضا تمتد الى النواحي الايجابية ونعنى بها الفضائل . نفس الانسانىة من شأنها ان تمر عواطفها المقدسة بسهولة بسبب ميول الجسد الرديئة ، ما لم ترتق مرارا باجتهاد وتغصب انها كالطائر الذى اذا توقف عن تحريك جناحيه اثناء طيرانه لا يستطيع ان يرتفع الى اعلا .

حاسب نفسك اذا لتعرف اخطاءها وعيوبها ونقائصها . ومتى عرفتها ووقعت عليها . فلم نفسك وانها بقسوة . نحن نهدف من هذا العمل الى التغلب بانفسنا على عيوبنا والتخلص من اخطائنا التى نستعبد لها . استعرض الظروف التى صاحبت خطية معينة مثلا ، والاشخاص والمواقف التى ساعدت على الوقوع فيها .

مثال :

مثلا اذا كنت تغضب كثيرا ، فقل لنفسك وانت تحاسبها : لماذا عصيت و(فلان) يكلمنى اليوم ؟ ماذا قال لى ؟ ماذا فى كلامه ؟ ألم يكن

ممكنا أن آخذ كلامه ببساطة ؟ وهب أن كلامه يدعو للأناره ، فإن الاحتمال
 إذن ، والسيد المسيح احتمال كثيرا ؟ وهل الإهانة التي ظننت أنها لحقتنى
 كالأهانات التي احتملها ابن الله ؟ هل أنا تلميذ أمين للرب الذي قال «ليس
 التلميذ أفضل من معلمه .. يكفى أن يكون التلميذ كمعلمه والعبد كسيده » ..
 أن سبب غضبى على « فلان » هو ضعف محبتى له ، فلم آخذ كلامه بمحبة ،
 ثم تسرعى فى الكلام ... الخ » . وهكذا فى كل ضعفات الإنسان .
 والفرض من ذلك لكى تعالج نفسك بنفسك ، فتسد منافذ الخطية التى تنفذ
 منها اليك فلا تتعرض لها ، وايضا لكى تتدرب على الاعتماد على نفسك
 والتدقيق فى حياتك الروحية حسبما يقول الرسول « فانظروا كيف تسلكون
 بالتدقيق » (اف ٥ : ١٥) .

تحذير

أن تذكرنا لخطايانا أمر جيد يطلب لنفوسنا خشوعا . لكن نريد أن
 ننبه الى أمر قد يستغله عدو الخير لمضرتنا ... يحدث أحيانا حينما يتذكر
 الإنسان خطاياه ليندم عليها ، أن إبليس يحاول اقتياده بالفكر ثانية الى جو
 الخطية التى يريد تذكرها ليقدم عليها ، ويستغنى فيه المتأسر القديمة .
 وقد يحدث هذه الحالة بوضوح فى خطايا الشهوة الجنسية والغضب
 والحق والحد الباطل . ولذا تصلى الكنيسة المقدسة فى القداس الإلهى
 « طهرنا من كل دنس ، ومن كل غش ، ومن كل رياء ومن كل فعل خبيث ،
 ومن تذكارات الشر الملبس الموت ... » . مسرود انتباهك الى هذه الحرب
 الجديدة اقطع هذه الأفكار . وإن كان الشيطان سيحاربك عن هذا الطريق
 فاتركه نهائيا واستخدم وسيلة أخرى تطب لنفسك ندما وخشوعا ..

متى تكون محاسبة النفس ؟

- + أما أنسب الاوقات لحساب النفس من أجل بونا الروحى فهى :
- + عقب الخطية مباشرة حتى نندم عليها ونقوب عنها .
- + آخر كل يوم حتى نصفى الحساب اليومى ونندا فى اليوم التالى
 صفحة جديدة .
- + قبيل النوجه للاب الكاهن للاعتراف . حتى يكون اعترافنا كاملا
- + فى نهاية كل أسبوع باعتباره وحدة زمنية ، نأخذ عقبه يوم راحة
 للجسد . وحذا أن تقترن راحة الجسد براحة الروح .
- + فى نهاية كل عام . فإذا كنا ننعمه الرب قد سلكنا فى خوفه ذلك
 العام وشعرنا بمعونته فى حياتنا نهف شاكرين « كللت السنة بجودك
 وآثارك تقطر دسما » (مز ٦٥ : ١١) . وإذا كانت حياتنا غير مرضية ،
 ونبت الشوك فى حقلنا الداخلى ، وشجرة حياتنا حملت ورقا ولم تعط
 ثمرا ، نذكر الصوت الصارخ فى البرية « والآن قد وضعت الفأس على أصل

الشجرة ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار » (مت ٣ : ١٠) فنتضرع الى الرب فى تذلل وانكسار قائلين « يا سيد اتركها هذه السنة ايضا » (لو ١٣ : ٨) . وقد ذكر القديس غريغوريوس النزينزى (الثيولوجوس) عن المسيحيين القدامى انهم كانوا يمارسون حساب النفس السنوى فى عيد الظهور الالهى (الفطاس) ، اى فى تذكار عماد السيد المسيح ، لانهم كانوا يجددون فى ذلك اليوم ما عاهدوا الله به فى يوم عمادهم .

تنتهى بصلاة :

وعلى اى حال ، يجب علينا فى نهايه جلسة حساب النفس ان نرفع صلاة الى الله ، اما معترفين بذنوبنا وضعفاننا طالبين الغفران والعون ، واما شاكرين معونه ونعمه طالبين ان يسندنا الى النهايه لكى نخلص . حتى فى حالات حساب النفس عقب الخطية مباشرة ، يمكننا ان نرفع القلب الى الله اما فى ندم وتوبة . واما فى شكر وحمد ، حتى لو كنا فى الطريق العام وسط الزحام . .

٢ - فكر فى عواقب الخطية :

فكر فى عواقب الخطية التى سبق الكلام عنها فى صدر هذا الموضوع ، واعلم انها تهين الله جدا . وتهيج غضبه عليك ، وتفصاك عن الهك ، وتحرمك سلامك ، وتورثك القلق . وان لم يكن الامر هكذا ، فما الذى ابكى القديسين على خطابهم السالفة ، ومن هؤلاء داود النبى ، الذى وهو ملك عظيم ، كان يبكى بكاء كثيرا ، بل بلغ به الامر الى حد انه تعب من تنهده ندما ، وكان يعموم كل ليلة سريره ، ودموعه يمل فراشه ، وساخت من الغم عيناه (مز ٦ : ٦ ، ٧) . كل ذلك فعله داود من اجل خطية ارتكها ، وهو المزمع الحلو ، صاحب العود والقيثارة ، وكان دائما يقول « خطيتى امامى فى كل حين » (مز ٥١ : ٣) . اما نحن فلانالى مخطايانا ، وحينما نشعر بصيق نفسى نحاول ان نسرى عن انفسنا بوسائل مصطنعة مسكنة ، فنذهب الى اماكن اللهو والتسلية ، وكال حريا بنا ان نفنش ثواتنا ونثوب الى رشدنا ونرجع عن غينا ونكتشف المخطايا الرابضة عند باب قلوبنا . . . تفكر خطاياك وجهالات صباك وابك عليها ان امكنت ذلك ، لندمواك تفصل دنوبك . يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « انظر ذاتك ايضا فانك متى تذكرت خطيتك فאלله لا يذكرها ، وان سببتها فאלله لا ينساها » .

٣ - الراحة والخلص هما فى المسيح وحده :

كن على يقين ان الراحة الحقيقية والفرح الكامل ، والسلام الذى يفوق كل عقل ، لا ولن يحصل عليه انسان الا بالمسيح وفى المسيح الذى قال « تمالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الاحمال وانا اريحكم »

(مت ١١ : ٢٨) . وهو الذى أعطى تلاميذه سلامه الكامل ، وتركه لهم ولكل المؤمنين باسمه ، عطيه دائمة مقدسة تفوق عطايا الدنيا كلها « سلاما أترك لكم . سلامى أعطيك . ليس كما يعطى العالم أعطيك أنا » (يو ١٤ : ٢٧)

ضع فى قلبك ان الخلاص من الخطية ومن سلطانها انما هو بالمسيح وحده . بالايمن باسمه . والايقان بقسوه ومعوسه . والرحمه فى رحمته . وباستخدام وسائل الخلاص التى رسمها لنا فى كنيسه .

اد « ليس متحد غيره الخلاص . لان ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى الناس به ينسبى ان ينخلص » (ا ع ٤ : ١٢) . مهما جاهدنا بقوتنا الذاتية ضد الخطية . ومهما احكمنا مفكيرنا للنخلص من مبولنا المتحرفة ، وكبح جماح شهواننا . ملن نستطيع ذلك بدون السيد المسيح الذى قال « بدونى لا تقدرون ان تفعلوا شيئا » (يو ١٥ : ٥) . فبايك ان نتكل اذن على ما نظن انه قد ينفعك . اياك ان تعتمد على ارادتك أو حكمتك أو معرفتك الروحيه . ان هذه كلها — دون الاتكل على ذراع الله القوية — لا تنفعك . اجعل الله كل شيء فى حياتك . وتذكر كلمات المرتل « ان لم يبين الرب اليك مسايلاتع البنوؤور . ان لم يحفظ الرب المدينه فباطلا يسهر الحارس » (مر ١٢٧ : ١) . فما ان لم يس الرب ساء حياى الروحيه ، وان لم يحرس مدينه اورشليم الداخلية (القلب) فباطل هو كل جهادنا وسهرنا على خلاص انفسنا .

٤ — تأمل فى تفاهة العالم وبطلانه :

انظر يا اخى الى العالم فى تفاهته لا فى غروره . واعلم انه باطل الاباطيل الكل باطل . اسنعمل العالم ولا تدعه يسنعملك . واحبسا فى العالم ولا ندعه يحيا فى قلبك . لقد سنك الى هذا العالم كثيرون ، منهم ملوك ورؤساء وعظماء . لكن ان هه الآن ؟ هل اذا ذهبت الى المقابر تستطيع ان تميز عظام الملك من عظام رعيته ، أو عظام السادة من عظام عبيدهم ، أو عظام الحكماء والفلاسفة من عظام السوء والجهلاء ؟

ايك يا اخى ان تلهيك امجاد العالم الزائلة وغروره الباطل عن الاهتمام بخلاص نفسك . متهمل امر خلاصك ويؤجل موتك . ان امجاد العالم الزائلة هى الفخ الذى ينصه لك عدو الخير . فقد تحاسر ابليس وتقدم الى رب المجد محربا . وراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه جميعها . . . اما ان رب مقد انتهره بقوله « اذهب يا شيطان » (مت ٤ : ٨ ، ١٠) . ان غرور العالم يشبه المصاح الذى يجذب اليه الفئراش الجبيل ، فيجوه حوله وهو يرمض طرفه ، ثم ما يلبث ان يسقط فى داخله فيحترق لوقته . . . ما أوع ما قاله الأب صاحب « انطلاق الروح » فى شعره النمكى . مشيرا الى ذلك معنى الغبى .

سأهضم في المخازن ثم ابني
وأغرس لي غراديسا كبارا
وأسعد بالحياة ومشتهاها
واسى معبدا لآمال ضخا
وماذا بعد هذا ليت شعري ؟
وهذا المال يا ويحي عليه
وأفنى مثل مسكين فقير
ونسمة قبره ستهب حولى

واجمع فضنى وأضم تبرى
بأثمار وأطيار وزهر
وانعم في رفاهية وخير
أقدم فيه قربانى وشكرى
سألقى الموت بها طال عمرى
سأترك كل أموالى لفقرى
وأرقد مثله في جوف قبر
ولا تفريق بين غنى وفقير

٥ - أعرف قيمة نفسك :

لو عرفت قيمة نفسك لما أهملت أمر خلاصتها ولما توانيت عن
حصولها . ان نفسك لهى اسمى وأثمن من العالم وما فيه .
« قل رب المجد » ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه .
لو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه ؟ (مت ١٦ : ٢٦) ، فكأن .
لعالم كله لا يساوى خسران النفس ! ان نفسك ثمنها دم المسيح ابر
حك على الصليب لأجل خلاصك . ومن العجيب حقا ، أنه يوجد .
سأذل وأحقر لديهم من نفوسهم في نظره . فمضى تلوث أهديتهم سحير
يسرعون بتنظيمها ، وإذا انشقت ثيابهم يبادرون برسختها . أما نفسك
سأهم . ويقوم طريقته ، فأبر لا يلبس له ولا يهتمون به . ماذا ندم
حتى : ' اننا الآن في زمن الرحمة ، وغدا — في السماء — سننصح
من العدل ... ان أنت أهنت العدل ههنا يمكنك الانجاء الى الرحمة .
انك يا اهاب الرحمة على من تلجئ حينئذ ؟ !

٦ - لا تؤجل التوبة :

لا تؤخر التوبة أو تؤجلها ، فكثيرون ممن هم في الجحيم الآن ، اسفلوا
من هذا العالم على أمل التوبة في مستقبل حياتهم ، ولكن الموت عاجلهم
وباعثهم ولم يمهلهم . احذر ان تشابه الخمس المذارى الجاهلات الثلاث .
سأرسى ولم يكن مستعدات . فأغلق الباب وبقيت خارجا ، وعيث صحت
سأخر وقرع الباب قائلات : « يا سيد افتح لنا » فقد كان الجواب
حق أقول لكن انى ما أعرفكن » (مت ٢٥ : ١١ ، ١٢) . وذلك الفنى
سأحسب كورنه . فلم يفكر في أمر خلاصه بل فكر في توسيع مخازنه
سألمس نفسي يا نفسي لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة .
سأرحى وكلى واشرسى وأفرحى » (لو ١٢ : ١٦ — ٢٠) . نعم كان
سأمنى خيرات كثيرة . لكن لم تكن له سنون كثيرة ! فقد كان صوته
سأمنى تلك الليلة ممرعا « يا غبى ، هذه الليلة تطلب نفسك منك »
ان ذلك الإنسان لم يستحق ان يسمع من الله سوى كلمة « يا غبى » .

يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تي ٢ : ٣ ، ٤) . وقد أطلب من الله طلبات خاصة فلا أحظى باستجابتها ، لأنه يرى أنها ليست لخلاص عسى ، حتى لو كانت تلك الطلبات للحصول على فضائل معينة مثلا ! . فقد يكون طلبى للفضائل قبل الاوان من وقت يرى الله فيه أنى فى حالة روحية لا تسمح لى باقتلها . فتكون النتيجة وقوعى فى الغرور والمجد الباطل ، وهذا ما لا يشاؤه الله . أما الطلبة التى من أجل خلاص النفس من يرفضها الله أبدا ، اذ هى ارادته . قال القديس مار اسحق « ليس شيئا محبوسا لدى الله ، وسريعا فى استجابته ، مثل انسان يطلب من أجل زلاته وعمراتها » .

البنس الذى تكلمنا عنه ، والذى قد باتى به عدو الخير ، هو نتيجة ذكر خطايانا وبشاعتها . لكن هناك نوعا آخر من اليأس قد باتى به علينا الشيطان ، فى بدء طريق التوبة والجهاد ، وهو ان يصعب لنا الطريق ويضع أمامنا العقائل ، ويحاربنا بالملل والصجر . . كل ذلك حتى يأس من أول الطريق . لكن لنعلم جيدا ان طريق الملكوت ليس مفروشا بالورود والرياحين . كفى وصف المسيح له . ان بانه صيق ومسلكه شاق وكرب (مت ٧ : ١٤) . هى بداية طريق المسوبة والحياة مع الله يرجع كثيرون الى الوراثة . بعد اخرج الرب بنى اسرائيل بدراع قوية من مصر ، ولكن ما ان وصلوا الى ارضهم حتى عاودهم الشيطان الى ارض العمودية بها فيها من خيرات جسدية ، سمسوا الثوم والكراب . من العمودية ، من طعام الملائكة فى ظل الحرية فى البرية !

هناك مبدأ هام من المشيئة الروحية هو مبدأ « التفصيص » ويتصدد به ان لا يترك الانسان دابة الى راحتها وحريتها . فلو خلدت ذواتنا الى الراحة لما صلح ولا صمب ولا هدت الى ميدان روحى . قال السيد المسيح « ملكوت سموات يعص والعاصبون يحتفظونه » (مت ١١ : ١٢) . واكد هذا المعنى القديس بولس الرسول فى قوله « لم تقوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) . وبقدر ما نفصص انفسنا لحياة التوبة والصلاح والجاهد بقدر ما نلتينا معونة الله . قال القديس مارس اسحق « بقدر ما يشقى الانسان ويجاهد ويفصص نفسه من اجل الله . هكذا معونة الهية ترسل اليه وتحبط به ، وتسهل عليه جهاده وتصلح الطريق قدامه . . » .

لكن لا يستمر الامر هكذا تسلسلا فى كل طريق الملكوت ، بل ان مواعيد الله تشجعنا ، وتعزياته الخفية ، وصوته الصادر من داخلنا يؤازرنا ويقوينا ، بل باتى الوقت حينما يرى الرب تمسكنا به وقهر مبولنا من اجل حبه ، ويرفع عنا الحروب والقتالات . قال القديس مسكاريوس الكبير « لانسان الذى يرجع الى الرب . . كل ما يفصص نفسه لاجله ويعمله وهو منكلم بقلب نافر غير راض . سوف يأتى عليه يوم عمله برمى

وتقول « .. وما أروع التشبيه الذى أورثته القديسة مسفرنيكى « جهاد عظيم وتعب يلقى المتقدمين الى الله فى البداية ، وبعد ذلك فرح لا ينطق به ، كمثل الذين يلتمسون ان يوقدوا نارا ، ففى أولها تدخن وتدمع عيونهم ، وغيا بعد ينالون المطلوب . ولانه قد قيل أن الهنا نار آكلة ، فلتسكب دهن العبرات لتشتعل النار الالهية داخلنا » .

٨ — كل الخطايا قابلة للغفران :

لا توجد خطية غير قابلة للمغفرة مهما بلغت فظاعتها وشناعتها ، طالما للانسان نية التوبة . قال رب المجد « الحق اقول لكم أن جميع الخطايا تغفر لبني البشر والتجارييف التى يجفونها . ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الابد بل هو مستوجب دينونة ابدية . لانهم قالوا ان معه روحا نجسا » (مر٣ : ٢٨ — ٣٠) .

والتجديف على الروح القدس ، الذى لا يغفر ، والذى ورد ذكره فى هذه الآية ، ليس هو خطية مجردة ، بقدر ما هو حالة روحية معينة يصل فيها الانسان الى الفساد الطوعى والعناد والمقاومة المقصودة للمعصية الصريحة ونتائيات الضمير الشاهد بتثيir الروح القدس فى القلب .. فهو والحال هذه ليس كخطية الزنى أو القتل أو السرقة مثلا
الانسان أبشع الخطايا ، وقد يتكلم بجهالة ضد ابن الله . يستند فيه بعض ايمان على نحو ما كان عليه بولس الرسول قبل نعمة الروح القدس .
يفعل وتأثير الروح القدس الذى يقوده الى التوبة .
عمل الروح القدس وتأثيره ، ويعتمد اخذها صوب صهره الذى يؤمنه ، فهو يحرم من الغفران حرمانا ابديا ، اذ ليس كل وسيلة لارشاده ونائبه ، لأن مهمة الروح القدس اثارة القلوب وارشادها ثم اقناعها بالحق ...
« ومنى جاء ذاك الروح القدس ييضب العنبر سلى خطيه ... » (يو ١٦ : ٨) .
فالروح القدس هو الذى يبكس على خطاياى موب ...
الروح القدس فى داخلى — اى جددت عليه — فسوف لا أتوب ، وبالتالي لا تكون لى مغفرة . قال ملار اسحق السريانى « ليست خطية بلا مغفرة الا التى بلا توبة » .

٩ — ولكن احذر التهاون وتذكر الدينونة :

بعد أن تحدثنا اليك طويلا يا اخانا عن « مراحم الله الواسعة » ومحبه للخطاة واستمداده لقبولهم مهما كانت خطاياهم ، نود أن نسر اليك ملاحظة هامة :

اياك أن تفهم خطأ مراحم الله الواسعة .. اياك أن تطمح فى مراحمه أكثر من اللازم وتقول انه محب للبشر وشفوق ولن يعاقب أولاده ، لئلا

بصريح بصرك وفكرتك عن رحمة الله حافظا لك على النهاون ، ودافعا
 سميت في حياة التراخي والشر . فكما أن الله رحوم فهو عادل أيضا
 . ١٤٥ : ٩ »
 . أن يكون الله رحوما وليس عادلا ، فإن هذا يتنافى مع كماله الالهي .

قال القديس يوحنا ذهبى الفم « قل لى يا من لا تؤمن بالعقاب العتيد ،
 . سى جلب الطوفان المخوف فى زمان نوح البار ، وأغرق ساكني الدنيا
 ناصه . . . من أرسل البروق والصواعق على أرض سدوم وعمورة وأحرق
 سبع مدن من أولئك القلعة مضاجعى الفكور وأبادهم جميعا . . . من أغرق
 مروع وحشوده فى البحر الأحمر ، من أباد الستمائة ألف من اليهود فى
 عربة . من أحرق محلة أبرام ، من أمر الأرض أن تفتح فاهها وتبتلع قوزح
 ابن وإبرام أحياء ، من قتل فى أيام داود سبعين ألف نفس ، من قتل
 فى الآشوريين حمسه وثمانين ألفا فى ليلة واحدة ؟ غاي جواب لك ترد به على
 حبه حكها ؟ » . **أياك أن تطمع فى رحمة الله بتطرف وبفهم خاطئ** . استمع
 فى قول السيد المسيح وهو يخاطب أولئك الذين أخروه عن الجليليين الذين
 خط هيرودوس دباهم بذبائحهم والثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج
 فى سلوام « أن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ١٥) .

قلنا قبلنا أما الآن فى زمن الرحمة وغدا سنكون فى زمن العدل ،
 . إنسان بين طريقى الله فى معاملة البشر فى الحالىين !! فقد تجسد الرب
 « وأتى الى عالمنا وصنع فداء أبديا لبنى البشر ، وسيأتى أيضا دفعة
 . فى محله ليدين الأحياء والأموات ويعطى كل واحد كبحو أعماله .
 . محبه لأول » أعطى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس . .
 . وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٨٧٠٢ . . لم يكن
 . يعرفه . أتى كراع بطلت الخروف انضال لكن فى مجيئه أثنائى سيأتى
 . للارض كلها . سيأتى فى محله ومجد أبية يحيط به ملائكته وقديسوه .
 . سوف لا يكون فى معارة حضرة ومروود للبهائم ، وسوف لا يكون محكما عليه
 . أحد الاتمه . مصوبوا بين لصين . بل سيأتى حامسا على مسر حكمه العادل
 . م محبه الأول كان لا يديح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ، قصة
 . صوصه لا يقتصف وغبيلة مدحبه لا طمى . لكن حبيب سيأتى فى مجده
 . سى بصوب أنوق وانعود وتساقط الكواكب وتزعرع فوات السموات ،
 . حشر العنصر محرقه بصحيج . فى مجيئه الأول كان طويل الروح ،
 . سب على الخطاة . لا يدينهم وهو الدينان ، حتى أنه قال للزانية « ولا أنا
 . سبك » (يو ٨ . ١١) ، وقال لمن سأل أن يقول لآخيه أن يقاسمه المراث
 . ب إنسان من أقامى عليك قاصبا أو مقسما » (لو ١٢ : ١٤) . احتمل
 . خمسين وسمع الثائنين وسامحهم ، لكنه فى المحيئ الثانى سيأتى دينا
 . عادلا يعطى كل واحد حسب عمله .

في مجيئه الاول جاء خُفَا (عريسا) ، خطبنا لذاته ، وقال لكل نفس في
 محبة ووداعة بلسان داود النبي « اسمي يا ابنتي وانظري وامجلي لك
 وانسي شعبك وبيت أبيك » فان الملك قد اشتهى حسنك « (مز ٤٥: ١٠ و ١١)
 شبهنا بالعذارى اللائى ينتظرن العريس ، وقدم في سبيل ذلك مهرا غاليا —
 دمه الفكى الكريم . لكن في مجيئه الثانى سيأتى كملك غاز ، فاتح منتقم من
 قوم عصاة متمردين ، سبق أن أرسل لهم رسل خير وسفراء سلام ، لكنهم
 طردوا كل هؤلاء ولم يسموا لهم بل قتلوا من قتلوا واهلكوا من اهلكوا . .
 هذا هو المجيء الثانى ، مجيء الرب للدينونة ، يوم اعلان الحكم « تاتى ساعة
 فيها يسمع جميع الفن في القمور صوته . فيخرج الدين معلوا الصالحات الى
 قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٢٨: ٥) .
 في ذلك اليوم لا يدري ماذا يفعل فاعلوا الاثم « ملوك الارض والعظماء والاغنياء
 والامراء والاقوياء وكل عبد وكل حر اخفوا أنفسهم في المغاير وفي صخور
 الجبال ، وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا واخفينا عن وجه الجالس
 على العرش وعن غضب الخروف لانه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع
 الوقوف » (رؤ ١٥: ٦ — ١٧) . لكن شكرا لله الذى اطلال اناته علينا واعطانا
 فرصة لنصنع اثمارا نطبق بالتوبة ، ورفع الفأس في حنو من اصل الشجرة ،
 وتركها هذه السنة ايضا . فلنفتد الوقت لأن الايام شريرة ، ولننتبه الى
 ذواتنا ، ونستيقظ من غفلتنا ، لان نهار حياتنا قد بدأ يميل . .

.. ولا البر الجديد يخففها . يحدث هذا لصاحب النفس الحساسة
 وادبسه المرهفه والضمير اليقظ . بل انه كلما يمر به الزمن ، وتفتح امامه
 آفاق جديدة من حياة القداسة ، تزداد خطاياه حينئذ بشاعة في عييه ، ويشعر
 في نفسه . بمرارة اكثر وتندم اشد ... هذا الانسان صاحب النفس المسخية ،
 لا يسمح للبر الجديد ان يعطى خطاياه ويسلبه انسحاقه ، بل هو على العكس
 يسقط حصياه على هذا البر الجديد فيغطيه ، او يضعضعها جانبا بيه وبينه
 ...

**طوباه ذلك القديس النائب الذي يجلس الى نفسه كل يوم . يذكر خطاياه
 ويذكر ذنبه عليها ، ويعترف بها مرة اخرى امام الله . ويكي من اجلها قدامه ،**
 طوباه من يذكر خطاياه كلما مدحه الناس او مدحه الشيطان او مدحه نفسه .
 طوباه من اتخذ من اعماله الجديدة ايضا مادة لانسحاق جديد ، شاعرا ان
 خطاياه ليست من اعمال زمن غابر قد مضى ، وانما هي متجددة كل يوم ،
 تصح في كل يوم الى توبة جديدة وتندم جديد ...

**طوباه ذلك النائب النامي في التوبة ، الذي يفتش دائما في نفسه ويكتشف
 ضعفاتها ويعرضها امام الله . طوباه لانه ليس فقط لم يمس خطاه . وانما**
 على العكس — يكتشف امامه كل يوم خطايا جديدة لم يكن يعرفها ، فيماضي
 وفي حاضره . طوباه ذلك الانسان الذي يصلح موارينه الروحية ، ويزن نفسه
 من جديد فيجد نفسه انه ما يزال يتقصا وفي الموارين الى فوق . طوباه كلما
 اكتشف له فضيلة جديدة ، في وصية او في سيرة قديس ، انه لا يكتم ، دريب
 به عنها مستقلا ، بل يقيس ايضا عليها ماضيه فيكتشف بعضا من مبه
 ...

**مضبوط هو ذلك القديس المبارك الذي يدرك ان انسحاق النفس ليس هو
 فضيلة للمبتدئين ، تلازمهم في الايام او الشهور الاولى من حياتهم في التوبة ،**
 ثم يفسح مجالا لفضائل اخرى كلما دخلوا في حياة الصلاة والتأمل والرؤى
 سريرة والذهش والاستعلانات ! طوباه ان اخذ الانسحاق رمقا له
 في كل يوم على الارض وعاش عمره في « حياة الانسحاق » . ان مولس
 يقول بل يذكر خطاياه — مع انها عن جهل ، وبدافع غير مقدسة — حتى
 ان حنط الى السماء الثالثة ورأى اشياء لا ينطق بها . بعد سنوات
 ص ... آت وعجائب وقوات « وفي « معاصر الرب واعلانياته » ، يعود
 ... ادى لست اهلا لان ادعى رسولا لاني اضطهدت كنيسة الله +
 ... ٩ ...

٢ — الدموع :

الانسان النائب دموعه حاضرة باستمرار . كلما يقف امام الله ييكي ،
 وكلما يذكر خطاياه ييكي ، بل ان رأى خطايا غيره ييكي ايضا . في وحده ،

من قراءته ، في مطلباته ، في مزاميره ، وفي أحاديثه أحيانا . . في كل ذلك
 نموعه منسكبة . ان داود النبي يرى ان دموعه لم تفارقه حتى في رقده
 (مز ٦) ، بل وفي طعامه أيضا « لقد أكلت الرماد مثل الخبز ، ومزجت
 شرابي بالدموع » (مز ١٠٢) .

ليست هي دموع الخوف ، وإنما هي دموع الحساسية ، دموع القدم
 والتسبور بالنقص . دموع محب شعر انه أهان حبيبه وأحزنه . ومع ان
 الخطية غفرت ، الا ان النفس الحساسة لا تستطيع ان تتصور كيف وصل
 بها الحد ان فعلت ذلك ، ويعصرها الخزي والندم فتبكي . . يستطيع الانسان
 ان يفكر قبل ان يعمل العمل ، فان لم يعجبه فهو ما يزال حرا بإمكانه ان
 يرمسه ولا يعمل . أما ان كان قد عمل العمل وانتهى الامر ، وليست أمامه
 بعد حرية لا للتفكير ولا للاختيار ، فليس أمامه اذن — ان كان العمل خاطئا —
 لا ان يبكي . . . بكاء العاجز الذي لا يستطيع ان يرد عملا قد عمل ، يمكنه
 ان يعتذر ، أو يطلب الصفح ، أو يغطي الخطأ بعمل آخر فاضل ، أو يعالج
 النتائج السيئة أو . . الخ ، ولكن لا يمكنه ان يمنع ذلك العمل من ان يعمل ،
 بعد عمل وانتهى الامر . وحينما تنفلق جميع الأبواب هكذا أمام الانسان ،
 سفتح حينئذ أمامه باب الدموع ، فيدخل منه لعله يجد فيه بعض العزاء .

كثيرة هي الدموع التي سكبها القديسون . سرهم ملأى بها . بعضها
 دموع حب ، وبعضها دموع فرح ، وبعضها مشاركة وجدانية ، وبعضها
 دموع توبة وعن هذه نتكلم . من أمثلة الحساسية الجميلة في حياة التوبة
 ما رواه القديس العظيم الأنبا بنبوده عن نفسه . قال « عندما كنت صغيرا ،
 وجدت خيارة ملقاة على الأرض وقعت من الجمالين ، فالتقطتها وأكلتها وكلما
 سرت هذه الحادثة أبكى » حدث ذلك وهو طفل في العالم ، ثم كبر وثرهف ،
 « إرداد في العمة جدا ، وصار رجل معجزات ، وخلف القديس العظيم أبا مقار
 كبير في رعاية وأبوة الاستيظ ، وصار شيفا في الفضيلة وأبا لكثيرين ، ومع
 ذلك » كلما يذكر تلك الحادثة يبكي « . . .

٢ — اتخاذ المتكا الأخير :

الانسان المنسحق في الداخل ، هو منسحق في الخارج أيضا . لأن
 مشاعره الداخلية لا تد أن تظهر في تصرفاته . في داخله يعرف بقينا انه خاطيء
 وحسن وأقل من الناس جميعا . خطاياه — في نظره — ثقيله جدا ، أثقل
 من حطاب الناس كلهم معا لذلك فهو لا يبين أحدا ، بل كله يرى خطيئة
 لسان ، يشتمى لو كانت خطاياه خفيفة هكذا وليست في شاعتها التي
 يفتسر منها ضميره . واذ هو يدرك انه أقل من الناس جميعا . تراه يتخذ
 دائما المتكا الأخير بينهم شاعرا انه لا يستحق أيضا هذا المتكا الأخير ، لأنه
 لا يستحق الاتكاء اطلاقا مع الناس ، « اد لو » عزرا حقيقته لنسدوه من بينهم
 واشمئزوا منه .

لذلك اذا دعى الى اجتماع او حفلة خاصة او جلسة روحية لبعض من اولاد الله المباركين ، يلبى الدعوة وهو خجل من نفسه ، يقول ، فى داخله « من انا حتى اجلس مع هؤلاء القديسين ؟! مبارك هو الرب الذى لم يكشف لهم خطاياى ، والا كانوا يتحاشون لقيائى » . وهكذا يدخل الاجتماع فلا يجلس فى المكتات الاولى بل يزوى فى مكان لا يطمع فيه احد ، ومع ذلك يشعر انه يشوه جمال تلك الجلسة الروحية بوجوده ، ويخجل اليه انه نشاز او شيء غريب ، فيويغ نفسه قائلا « اشاول ايضا بين الانبياء ؟! » ...

وان ذهب الى الكنيسة يعتريه تردد كبير قبل ان يدخل واخيرا يدخل فى خوف كما يدخل السارق متسللا الى بيت . ويقف فى ركن غير ملحوظ وهو يصلى قائلا « لا يحل غضبك يا رب على هذا المكان المقدس بسببى » ومع انه لم يجلس فى الصفوف الاولى ، ولم يصل الى الجراة التى تساعده على دخول المذبح . ومع انه لا يخطر على باله ان يقف على منبر او يرفع صوته بلحن . الا انه فى مكانه الاخير يظل خائفا لئلا يراه احد معارمه القدامى ، فيتعجبوا من وجوده فى الكنيسة . ويهمس الواحد منهم فى اذن اخيه « كيف يجرؤ هذا الشرير ان يدخل الى هنا ؟! » ...

هذا « المتكأ لآخر » صحبه فى كل مكان وفى كل تصرف . فمثلا اذا تكلم الناس ، يصمت ، هو كغير مستحق للتكلم . وان دعى لبدء رايه او اتاه فكر بهذا ، يجيبه هائبا قويا من اعماقه قائلا « كيف أنكم عن الصالحات وأنا انسان شرير ؟ الصمت افضل » . وان اضطر للكلام ، يكون آخر المتكلمين وهو يحتج على دأبه بقوله « من ان حتى أنكم ؟ » ، ويبدو معنى هذه العبارة واضحة فى حديثه وفى أسلوبه ...

فى مصرفاته كلها ، يقدم غيره على نفسه . ويبعد عن كل موقف فيه كرامه . ويعطى الكرامة لكل واحد . يحترم الكل ، ويعامل الكل بشوق ، سواء فى ذلك يصغير او الكبير جاعلا نفسه آخرهم جميعا . . يقول لنفسه فى تأكيد . كل هؤلاء سيدخلون مكوب السموات قلى ويكون درجهم اعلى منى . . . هذا لو وجدت مسحت . كون معهم هناك » . حتى الخطاة يحترمهم ايضا . لا يديهم بل يحبو عليهم مشقت . لانه جرب الخطية وعرف شدتها وقسوتها . ويشعر ان هؤلاء فى حضنهم افضل منه لانهم لم ينحدروا الى الدرك الذى انحدر اليه فى خطيته .

قد يقول الناس عن هذا الشخص انه متواضع ولكنه فى الواقع لا يفعل ذلك حبا فى فضيله الواضع ، وانما تشمورا منه بعدم الاستحقاق . ولذلك ان احب الناس او تحاسوه ، قد لا يحسن ذلك ، وان احس لا يضطرب فى الداخل وانما يقول نفسه « عادى هو هذا التصرف وحسن ، وان لا استحق سوى هذا » . .

ولذلك يحصل أيضا على فضلة الاحتمال لأن كل ما ياتيه من ضيقات أو آساءات يشعر في عمق قلبه أنه مستحق له ومستحق لأكثر منه ويقول في نفسه « هذا من أجل خطايي » . وهكذا لا يستاء من شيء ولا يقضب من أحد ، بل يهتف مع اللص اليمين « نحن بعمل جوزينا » . ودائما يجلب الملامة على نفسه ، واثقا أن خطاياهم هي السبب في كل شيء . . .

٤ - الاتضاع :

هذا الإنسان المنسحق النفس ، الشاعر باستحقاقه لكل لوم ، الذي يلوم نفسه باستمرار ، طبيعي أن يسلك بتضاع . لا يستطيع أن ينتفخ في شيء أو على أحد . ولا يكلم أحدا بسلطان . لا يمدح نفسه ، ولا يتحدث عن أعمال حسنة له ، لأنه يعرف لنفسه أعمالا أخرى شنيعة ، ولا يرى من العدل أن يعطى الناس فكرة غير صحيحة عن نفسه ، بأن يظهر لهم ما هو حسن ويخفى ما هو رديء . . . كلما حورب بالتحديث عن نفسه ، وبأن يقص على الناس خبراته الروحية الجديدة ، وتعزيات النعمة له . يقول « وهل أستطيع أيضا أن أخبرهم عن باقي حياتي وأظهر لهم بحاسبي كلها ؟ ! » . وكما أنه يرغب أن يمدح نفسه ، كذلك لا يقبل مدحا من أحد ، ولا يسعى إلى ذلك . وفي ذلك يقول لنفسه « أن من كان مثلي خاطئا لا يستحق مديحا من أحد ، والا فهو مرأى يظهر للناس بغير حقيقته » . . . وهكذا أيضا لا يبرر ذاته في شيء . ولا يدامع عن نفسه في كل ما يوجه إليه . مهما كان مظلوما . وأن حورب من الداخل يقول لنفسه « لماذا أحزن واحتج أذ نسب إلى هذا الشر الذي عمله ، بينما لم أحزن ولم أحتج عندما نسبت إلى فضائل ليست في وأعمال حسنة لم أعملها ؟ وماذا يكون هذا الشر — أن عرف عسى — إلى حوار الشرور سرية التي اقترفتها في حبي ؟ وأن كنت في هذه المرة بالدات لم ارتكبت هذه حمية التي ينسبونها إلى ، فقد ارتكبتها قبل ذلك مرات في حياتي ، فوصفي بهس ظلما ولا تجنيا . حقا انسى بعمل جوزيت » .

٥ - الحرص :

أن الإنسان النائب ، الذي جرب الخطية وعرف ضعفاتها وعنفها ، كما عرف أيضا ضعفه أزماءه وعجزه كثيرا عن مقاومتها ، تراه يحرص كثيرا في سلوكه . . . يخاف جدا من السقوط . لذلك يحرس من الصعائر التي تبدو بعيدة بوافه لا يعثر ولا تسقط . مثلا تقوده في الكنايس التي « كل قتلها فوب » . ٤١ — في توبته لا يشعر أبدا بأنه أكبر من الخطية ، بل على العكس يشعر أنه ضعيف عن مقاتلة أصغرها . لذلك يهرب من الخطية ومن كل طرقها وكل أسبابها . ومن كل الطرق المؤدية إلى طرقها .

عمل هذا الحرص الشديد كان أحد العوامل الأساسية التي جعلت قديسي آتوية المشهورين ، لا يعودون إلى خطاياهم القديمة مرة أخرى بعد توبتهم .

٦ - امتزاج فضائله جميعا بروح التوبة :

الفضائل معروفة في أسبابها ومظاهرها . ولكن فضائل التوبة مميزة بروح خاص ، تميزها دائما بالانسحاق والشعور بعدم الاستحقاق ... مثال ذلك الصوم . كثيرون يصومون . أما الثائب فصومه من نوع خاص . هو لا يصوم ليكتسب فضيلة الصوم ، ولا ليظهر جسده ويذله فحسب ، إنما هو أيضا يشعر أنه لا يستحق الطعام . هو يقول لنفسه أحيانا « كثيرون فعلوا أعمالا هذه ، وهم الآن في السجون ، لا يتمتعون بالحرية كما لا يجدون ما يأكلون ، وأنا هنا حر وأمتع بالطعام ! وما ذلك إلا لسبب واحد وهو أن أخطائي مخفأة ... رهؤلاء المسجونون أفضل مني : أولا لأنهم شهروا في خطاياهم ، أما أنا فمرايى أخفى خطاياي . وثانيا لأنهم نالوا عقوبتهم ههنا ، أما أنا فلم أنل أية عقوبة . فلا أقل أذن من أن أحرم نفسي من بعض ملاذ الطعام ، بكنيتها ما أخذته من لذات الخطية الدنسة » ... هنا تحضرنا قصة وردت في سستان الراهبان عن جندي تاب وتنسك . فلما عرف موضعه قصده الناس وأكرموه . فلما وجد أنه صار في راحة ، ترك ذلك المكان وهو يقول لنفسه : فلنمض حيث نأكل طعام البهائم ، ما دينا قد فعلنا أعمال البهائم !

وما قتلناه عن الصوم ، نقول مثله أيضا عن الزهد والتجرد والدموع ، والصلاة ... الخ .



نَسْأُؤُ لَا بُدَّ

١ - هل للتوبة مراحل يجتازها التائب ؟

أن كان بعض القديسين التائبين — من أمثال أوغسطينوس وموسى . . . سود قد تابوا بصورة فجائية وكاملة ، نتيجة مؤازرة النعمة لهم حسبما رأى . . . من حسن استعدادهم القلبي ، لكن الأمر الشائع أن للتوبة مراحل يجتازها

● المرحلة الأولى وهي مرحلة الندم على الخطية على نحو ما ذكرنا سابقاً .

● يدخل التائب بعد ذلك في مرحلة الصراع مع الخطية . . . ليس معنى ذلك أن الشيطان لا يقربه ولا يحاربه ، بل أنه يحاول معه محاولات يائسة ، يحرص له تذكارات الخطايا السالفة ، ونصب له فخاخاً جديدة ، ويحاول بكل ما يستطيع أن يربط هذا التائب بحياته السابقة . . . وعلى التائب أن يكون يقظاً من الشيطان في هذه المرحلة ، ويلقي بذاته في الأوساط الطاهرة ، ويربط نفسه . . . فهو من جهته له حيل للخطية ، وأن كان ينأى بنفسه عنها . . . هذه المرحلة هي التي عبر عنها الرسول بولس بقوله « الحسد يشتتني ضد الروح ، الروح يشتتني ضد الجسد . وهذان يقاوم كلاهما الآخر » .

● إن ثبت التائب في المرحلة السابقة ، ينتقل إلى مرحلة جديدة ، وهي مباراته على الخطية عقلياً . . . ونعني بذلك اقتناعه فكرياً بخطأ الخطية وكل وسائلها والطرق المؤدية إليها . . . وهذه الخطوة نصر له على الخطية ونجاح .

● لكن ليس معنى الاقتناع العقلي بخطأ الخطية وتجنبها وتناطحها السيئة . . . بل أن يخلص منها كلية ويهانها . . . قد يكون هناك ثمة صراع في داخله . . . من القلب ، حيث ترمض كل الشهوات الخاطئة التي استعبد لها عمره . . . ويحتاج التائب في هذه المرحلة إلى جهاد من نوع خاص وتدريب روحي يدرّب ذاته عليها بإرشاد الأب الروحي .

● كل هذا لا يعنى بالضرورة أن هذا الانسان النائب قد وصل فى جهاده الى كمال التوبة ... فكمال التوبة هى كراهية الخطية والتنافر معها ، وهو ما يعبر عنه معلمنا بولس « كونوا كارهين الشر » ان كراهية الشر تلقاها ، وسافر الانسان معه ، وعدم الاجذاب اليه . هو كمال التوبة ...

٢ - الحياة مع الله تتسم بالفرح ، وحياة التوبة ندم وحزن على الخطية ... كيف يتلازمان فى حياة النائب ؟

لا تتعارض بين الفرحة والحزن فى حياة النائب .. انه يحزن فى رجاء ، وفى نفس الوقت يفرح برجوعه الى الله .. ان الرجاء فضيلة مسيحية كبرى الى جانب الايمان والمحبة (١ كو ١٣ : ١٣) . ومفروض أن حزن النائب وندمه على خطاياہ السالفة يمتزجان بالرجاء . ومن شأن الرجاء أنه ينشئ فرحا وسلاها وهدوءا .

ان حزن النائب ينصب اساسا على انه أهان الله ، وقابل حبه الفائق بجحود ونكران ... لكنه فى الوقت نفسه يضع امامه مواهب الله بقوله للخطاة وفرحه برجوعهم ، وترسم امامه الصورة الحية الدائمة التى قدمها الانجيل للمسيح المخلص الذى ما أتى ليدعو أبرارا بل خطاة الى التوبة ... كل هذه الامور التى تبرر امام النائب محبة الله الفائقة ، تجعله ينفذ عنه بشاعر الحوم غير الداء ، لأنه لا حوم على المحبة (١ يو ٤ : ١٨) .

ومضلا عن ذلك فان المرح الذى يغمر قلب النائب بالدم ، يأتيه نتيجة احساسه انه قد وصل الى الله معلا ... الله الذى كشف له داته ، وبكتفه بروحه على خطاياہ ، وانا امامه طريق الحياة الحقيقى ..

واذ يقرأ كلمات القديس بولس الرسول - الذى كان قبل مجدفا ومضطهدا ومفتريا « كلما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا » ، يدوب قلبه داخله امام محبة الله وحنانه ، وكيف انه قابل شروره باحسنات وانعامات ... وهكذا تمتلئ عيناه بدموع غزيرة ، لكنها فى هذه الحالة دموع تجمع بين الانسحاق من حب الله ، والفرح بخلاصه المعجيب ...



أَمْثَلَةٌ لِلتَّائِبِينَ

١ — داود النبي والملك (٢ ص ١١ ، ١٢) :

وتمت علينا داود الملك على امرأة تستحم ، فما لبثت الخطية أن أسكرته
— بعد يقاومها ، فاستعبدهتة بلا شفقة وأسقطته في تلك الجريمة الشنيعة ،
حصه الرمي والقتل . فتدخلت مراحم الله العجيبة ، وأرسلت ناثان النبي
سب داود فاستيقظ داود واعترف بخطيئته في اتضاع وانسحاق ، فقبل الله
دينه الصادقة بالصمغ والعفوان . وأعلن ذلك ناثان النبي أيضا بقوله « الرب
— مثل عنك خطيئتك لا تموت » . ومع كل ذلك بكى داود كثيرا على هذه الخطية ،
وكان يبل فراشه بالدموع ويصرخ قائلا « خطيئتي أمامي في كل حين » . هكذا
— داود وكان صادقا في توبته ، وأحب الله داود وقبله . . .

٢ — القديس موسى الأسود (القرن الرابع) :

بدأ حياته قاتلا ولصا بل رئيس عصابة لصوص ، وختمها قديسا عظيما
باسكا ، بل مرشدا لربوات من القديسين وطالبي الرب . . . شاء الرب الإله
حسن أن يعرفه داته . مبينا كان منطلقا دات مرة في وادي الطرون — ربما
عمر من حفظة الأمن الدين كانوا يتعقبونه — وجد نفسه وحها لوجه امام شيخ
رعب قديس . ويبدو أنه قد سئم حياة القتل والنهب . . أخذ قلبه يفتح لكلمات
شبح . عزم على التوبة ، وقرر المقاء في البرية (شبهت بوادي الطرون)
وشتاق الى حياة الرهبنة . تقدم الى مر هذه القس ايسيدوروس واعترف
حصه . بدأ حياة الجهاد ، وكان عنيف في جهاده ونسكه . محاولا بذلك أن
يعوس ما عليه في حياة الاثم والشرور ، فكان مرشده كثيرا ما ينصحه بأن يخفف
من جهاده ضد الشياطين . . . تتلمذ على يديه كثيرون فيما بعد ، وكان دائم
حسب في البرية كلها . وما زال جسده يرقد الى جانب جسده مرشده في تابوت
: حد دير البرموس . . .

٣ — القديس اوغسطينوس (٣٥٤ — ٤٣٠ م) :

من اعظم معلمى الكنيسة شرقا وغربا . وهو الكاتب والمؤلف والفيلسوف
— وهو ايضا الأسقف والقديس ، الذي فاقته توبته آئله السالفة ،

وقد أسسه جهالات شبابه . كتبت أمه من المسيحيات النقيبات جدا . لثقته أصول المسيحية والحياة الروحية في مهده . لكن ما كاد ينهي دروسه الإعدادية على أبدى أسيدة وثنيين ، حتى كان قد نسي مبادئ الدين ولم يبق منها سوى أضواء ضئيلة أحدثت نقلا شئنا مشينا من عقله وقلبه . ثم كانت قراءته لكتب فلاسفة وشعراء الوثنية تأت على ما تبقى . . . ومن ثم انحرف انحرفا شديدا ونزع بعنف في حياة الشهوة والرني ، حتى أنه بعد توبته قال عن نفسه في كتاب اعترافاته « لقد كنت أخجل من عدم فعل الشر موقاحة خالية من الحياة » . . . لكن الأم النفية لم تهدأ وأخذت تسمى حلف ولدها من مكن إلى مكان دارفة العبراب السحبية حتى أن القديس امبروسيوس الذي شاهدها تبكى مرة بحرقه قال لها « ثقي يا امرأة انه لا يمكن ان يهلك ابن هذه الدموع » .

عرف طريق الرب في سن الثالثة والثلاثين وبدا حياة التوبة والدموع . .

توهمت والدته بعد أن مرحب به بوجه شرير بطنها . . أما هو فباع أملاكه وورخ ثمنها على الفقراء ونزهب وبدأ حياة أسكت والصلاة والدرس والتأليف وخدمه الله والكنيسة . رسم قسما وأسقفا على إحدى مدن شمال أمريكا ، وسار أعظم فلاسفة المسيحية ومن أشهر مفسري الكتاب المقدس . كما جاهد في سدول الدفاع عن الإيمان والرد على الهرطقة وكان حجه للعقيدة في عصره . وما زالت خدمته سيرة من أسس سبي آن . ولعل أشهرها كتاب : لاعترافات الذي ما زلت أمرا في سيرة سيرة . . . « لقد خاضنا لك يا الله ، وقلوبنا سنظل قلقة حتى يروح فيك » .

٤ - القديسه باثيسه (القرن الرابع) .

ولدت في منوف من أدوين عيسى تقيين ، مسجبت على موالها في حياة النقوى ، فلما توفيا جعلت رلها مأوى للعرباء والمساكين ، وظلت تنفق مالها في هذا السبيل حتى نعد . أحبال عليها قوم أردباء ، واستمالوا مكرها حتى حولت بيتها إلى ماحور للمساد . استقبلت فيه كل راعب في الحطه . سمع صرخها شيوخ الرهبان في نريه شيهيب فحزنوا جدا ، وظفوا القديس يوحنا القنصير أن يقصدها ليلطس نفسها من الهوة التي تردت فيها . مما أن رآها حتى قال لها « لماذا أسهبت بالسداد المسيح ، وأنت هذا الأمر الرديء ؟ » فاستمدت وداد قلبها من تأثير كلماته . أما هو فماتحنى إلى الأرض باكيا . فقلب له « ما الذي أمكأك ؟ » . أحبها « لأنى أعين الشياطين يلعب على وحبك . فلهذا أنا أكي عليك » . فمالت له « هل لى توبه » . أحبها « نعم » . وبكى ليس في هذا المكان . فمالت له « خذنى إلى حيث شئت » ففعل لها « تعالى » منهضت مسرعه حلمه حتى دخل الأثناس البرية . ولما أمسى الوقت قال لها « أرقدى ها » واسحى هو بعيدا عنها . وفيها هو يصلى في نصف الليل ، شاهد عمودا من نور نازلا من السماء متصلا بالأرض وملئكة الله

حاملين نفسها . اقترب منها فوجدها قد فارقت الحياة . فالتقى ذاته على الأرض وصلى إلى الله طويلا لكي يعرفه مآلها ، خصوصا وأن الحياة لم تمتد بها لتقدم ثمار التوبة الصالحة . وفيما هو يصلى سمع صوتا قائلا « أن توبتها قد قبلت في الساعة التي تابت فيها أكثر من الذين تابوا منذ سنين كثيرة ، ولم يظهروا حرارة توبتهم مثلها » . وبعد ما وارى جسدها التراب مضى فأعلم شيوخ البرية بما جرى فمجدوا الله . والكنيسة القبطية تعيد بتذكار نياحتها في الثاني من شهر مسرى .

٥ — القديسة مريم المصرية (النصف الأول من القرن الخامس) :

خرجت من بيت أبيها وقصدت الاسكندرية في سن الثانية عشرة من عمرها كى تحيا في تلك المدينة الصاخبة حياة الاثم والفجور . استمرت سبع عشرة سنة تتمرغ في حياة الخطية ، اسقطت خلالها شبابا كثيرين باغراءاتها ... ودأت يوم اصرت سفينة مزدحمة بالمسافرين إلى الشام ، ولكى يعيد ركابها عبد الصليب في اورشليم . فوجدتها فرصة سائحة لاشباع شهوتها الدنسة .

وفى اورشليم حاولت الدخول الى الكنيسة كما يدخل سائر المسيحيين سنرك من خشبة الصليب المقدسة فشعرت أن يدا غير منظورة تمنعها من لدخول وتقضيها . كررت هذه المحاولة دون جدوى ... تخشعت نفسها فنخنت تتأمل قبح سيرتها ... بكث امام ايقونة للعزراء ، وقطعت عهدا امام الله بنذر بقية حياتها لعبادته في البرية ، أن سمح لها بالدخول والتبرك من الصليب المقدس . وفعلت لها ما ارادته .

اصرفت من تلك الكنيسة وقصدت كنيسة اخرى ، حيث اعترفت على أنها وتزوجت بالأسرار المقدسة ثم انطلقت الى برية الاردن ولها من العمر سبع وعشرون سنة ... عاشت هذه القديسة القاتبة في تلك البرية سبعة وأربعين سنة ، في عبادات شاقة ونسك زائد ، مقاتله الشيطان الذى كان حاربها بأفعالها القديمة ... وقد سلكت في سيرة السواح ، واعطاها الله روح سوءة ومعرفة الغيب . ولم تر خلال تلك العزلة انسانا حتى التقى بها في آخر سنة من عمرها الاتبأ زوسيم القس الذى وقف على سيرتها ودونها . وناولها من الأسرار المقدسة قبل وفاتها .

٦ — الشماس حبيب فرج (+ سنة ١٩٤١) :

وهذا انسان عرفناه عن قرب ، وكان يخدم في صفوف مدارس الاحد . بدأ حياته بعيدا عن الله ، واسبل اليه نصسا باره بفيه ، دون بحط يده في مفكرته الخاصة تاريخ وساعة نياحته !! بدأ حياته شابا عنيدا بمصرنا عن الدين . ثم في ذلك شان اى شاب ممن عاشوا في العالم والعالم ... ظل أجسد

الشباب يلج عليه ان يحضر دروس الكتاب بكنيسة الانبا انطونيوس بشبرا ، ولكنه كان يرفض في اصرار . واخيرا قبل الذهاب على الا يفتقده أحد ، فيما بعد اذا لم يرد المواظبة على الاجتماع .

تأثر بالكلمات التي سمعها في الكنيسة ورأى في الليل رؤيا عجيبة : السيدة العذراء وقد اخذته الى الجحيم ، ورأى من فيه يتلون وييسكون فانزعجت نفسه وطلب ان يخرج من ذلك المكان سريعا . ثم اخذته الى الفردوس ، وهناك رأى الآباء الأبرار منيرين ، وبدأت العذراء تعرفه بهم : هذا ابراهيم ، وهذا داود النبي ... وهذا الانبا انطونيوس ... الخ . رأى هؤلاء القديسين جالسين على كراسي نورانية عجيبة ولاحظ ان أحد هذه الكراسي شاغرا لا يجلس عليه انسان ، فسأل باندهاش « ومن الذي ترك كرسية هكذا .. وكري من هذا ؟ ! » . اجابته العذراء « الا تعرف كرسى من هذا ؟ ان هذا هو كرسيك ان انت تبعمت يسوع ... » .

انتهت الرؤيا واستيقظ من نومه اكثر ما يكون حبا واشتياقا واضطرابا لهذا الكرسى الذى ينتظره ، وظل طوال حياته القصيرة يصلى من اجل الوصول اليه ... بدأ حياة التوبة والجهاد الروحي العنيف . التحق بعد فترة بوظيفة في وزارة الاشغال بطريقة معجزة ، وظل بها حتى انتقل الى السماء . وقد تمجد الله فيه بحياة مقدسة تقوية ، واظهر فيه بعض الآيات . كان يشاهد أحيانا نور يحيط به وهو يصلى بمفرده في غرفته الخاصة ، وكانت يداه المبسوطنان الى أعلا تريان كأنهما شموع موقدة ... واخيرا رقد وانضم الى آباءه وهو في سن السابعة والعشرين .



١ — مار انطون السريتي :

تعالوا يا احيائي ، هلموا يا اباي واخوتي . يا رعيه الاب المختارة ، يا جند المسيح الموسومين . تعالوا اسمعوا قولا يخلص نفوسكم . هلم نتجر ما دام الموسم ثامنا . تعالوا نجد حياة أبدية . هلم نبتاع خلاصا لنفوسنا . املاوا أعينكم دموعا ، فللوقت تنفتح أعين ذهنكم . تعالوا جميعا : أغنياء وفقراء ، رؤساء ومرتضىوسين ، شيوخا وشبابا ، بنين وبنات . . كل من يريد أن ينجو من العذاب الدهرى ، ويرث الملك الأبدى . . .

لننصرع مع داود النبي قائلا « اكشف عن عيني لأتأمل عجائب من شريعتك » ، « أتر عيني لئلا أنام الى الوفاة » ، ولنهتف كما هتف الأعمى « يا ابن الله ارحمى » . فان منعنا قوم وانتهرونا حتى نصمت ، فلنصرخ نحن أكثر ولا نضجر من الصراخ الى أن يفتح يسوع — المعطى النور — أعين قلوبنا . تقدموا الى المسيح ، اقتربوا منه واستضيئوا فلا تخزى وجوهكم . . .

لننتب يا اخوتي ما دام لنا وقت ، فقد سمعتم قول المسيح « انه يصير فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب » . ايها الخاطيء لم تتواني ، لم تياس أن كان يصير فرح في السماء اذا تبت ، فممن تخاف ؟ ان الملائكة يسرون وانت تتواني ! سيد الملائكة هو الكارز بالتوبة وانت تهرب ؟ الثالث الطاهر المسجود له يستدعيك وانت تنهد . . . !

في تلك الساعة كل أحد ينال حسب عمله . كل واحد يحمل حمله ، وكل واحد يحصد ما زرع . كلنا نقف عراة قدام مرش المسيح ، وكل يجيب عن نفسه . . . في تلك الساعة لا يستطيع أحد أن يغيث أحدا . لا أخ اخاه ، ولا والدون أبناءهم ، ولا اولاد آباءهم ، ولا اصدقاء خلانهم ، ولا رجل قرينته . .

لم لا نستعد ولدينا وقت ؟ لم نتهاون بالكتب المقدسة وبكلمات المسيح ؟ او نظنون أن اقواله واقوال قديسيه لا تعيننا في ذلك اليوم أن لم نحفظها ونعمل بها ؟ . . . قد سمعتم ما يقوله الرب للتلاميذ الذي يسمع منكم يسمع مني ومن يخالفكم يخالفني . ولما موضع آخر يقول من يخالفني ولا يسمع اقوالى انا لا ادينه ، لكن له من يدينه . القول الذي قلته ذاك يدينه في اليوم الاخير . .

طوبى للذين عطشوا وجاعوا فانهم هناك سيثبعون ، وويل للشبابى فانهم هناك يجوعون ويمعشون . طوبى لمن افتتروا وبكوا فانهم هناك يضحكون ويمزون ، وويل للذين يضحكون الآن فانهم هناك سينوحون ويكون

بلا غتور .. طوبى للذين رحموا ، فانهم هناك سرحبون ، وويل لمن لا رحمة لهم ...

الذى انحدر من حضن الآب ، وصار لنا طريقا للخلاص يعلمنا التوبة بصوته الالهى قائلا : « ما جئت لادعو ابرارا بل خطاة الى التوبة » وايضا « لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى » . فان كنت انا الذى اقول هذه الاقوال فلا تسمعنى اطلاقا ، وان كان الرب نفسه يقولها فلم تتهاون بحياتك متوانيا عنها ؟ ! ان عرفت ان لذاتك جراحت من الافكار والافعال غير مشغبة فلماذا تتوانى عن جراحتك المكومة ؟ ممن تخاف ؟ ! أمن الطبيب ؟ انه ليس قاسيا ، ولا عديم التحنن والرحمة . انه لا يستعمل دواء غير مقبول وكاويا لانه يداوى بالكلام فقط . ان شئت ان تتقدم اليه فهو مملوء خيرية وتحننا . جاء لاحلك من حضن الآب . من اجلك تجسد لتتقدم اليه ملا خوف . من اجلك تأنس ليشفى جراحتك الخفية ، وبمحبة جزيلة يدعوك قائلا : ايها الخطيء تقدم وابرا بسهولة . اطرح عنك ثقل الخطايا . قدم تضرعا . ضع على قبيح جراحتك دموعا . لأن هذا الطبيب السماوى الصالح يشفى الجراحات بالدموع والتنهيد ! هل تعلم ايها الحبيب فى أية ساعة يأمر الطبيب السماوى فيخلق باب مداوته ؟ اطلب اليك ان تتقدم وتحرص ان نرا ، فانه يشاء ان يفرح بتوبتك الموكب السماوى .

الى متى ايها الصديق تخدم الجسدانيات الحاملة الموت وتتعب لها ؟ والى متى تحتل العدو وتكمل كل حين ما يسره ويؤثره ؟ تمسك بمشورتى فتحيبك وظهر نفسك مع جسمك . تقدم الى المخلص بقوة حارة .. حد عن العقرب الذى عرفت لدغته . اهرب بحرص من الحية التى اختبرت سمها ، لأن من يصدم الحر رجله مرتين فهو اعمى واحرق لا يصر ما يجب ان يهرب منه . انظر الى نينوى المنقمة بالردائل ، كيف امر الله بسرعه دمارها وسقوطها . فلما عاين المنعمين لابسين مسوحا ، وفي الرماد والجوع والصوم والنوح والبكاء والدموع مرتعدين ، تراعى ورحم وخلص ، اشفق ونعطف وحل بصلاحه النعمة التى توعدهم بها ، احتمل ان يكون نادما افضل من ان يظهر قاسيا ..

٢ — مار يوحنا سابا (الشيخ الروحانى) :

ايتها الرحمة الفائقة ، ما اومرك ؟ ! يا من اعطيت لنا نحن الموتى بالخطايا رحما مقدس الذى هو التوبة ، يلد نبيين جددا من عتقاء ، اطهارا من احساس ، منيرين من مظلمين . من لا يعجب من رحمتك يا ربنا ، ومن لا يعترف لنعمتك ، يا من اتيت الى الميلاذ لقلنا من بطن التوبة على شبهك كشبه مريم والدتك . السبح لك يا ابا الكل ، يا من اعطينا اما جديدة بالميلاد الجديد . وان كنا بصوتنا قد تنحسنا بكل نثر لكنها تجلى وتطهر وتحسن ، وتعطى تحت اطرانها مثل المربية . اولئك الذين ولدوا منها حتى يصلوا الى عندك محبوبين واحياء ..

كما أن آدم الجسداني من حواء يولد له بنون يشبهه لعالمه الجسداني
 كذلك المسيح أبو العالم الروحاني ، من المعمودية والتوبة ، يولد له بنون يشبهه
 للعالم الروحاني ، كما ينادى لهم رأس حياتهم « توبوا فقد اقترب منكم ملكوت
 سموات » . فكيف نجدها (التوبة) أن كانت قريبة ؟ يا أبنا ارنا ايها ..
 لها على الباب اللطيف الضيق ، وكل من يصبر لصعوبته المظلمة ، ويخرج
 منه يلقي لوقته ملكوت النور ويتمتع . وذلك الباب الذي لدخل الحياة ، فإنه في
 أي بلد يوجد داخلكم وبابها هذا هو التوبة ... التوبة هي أم الحياة ، وطوبى
 لمن يولد منها ، فإنه لا يموت . وكما ينادى المسيح لخواصه بالتوبة ، كذلك
 يبعد الشيطان الناس عن سماع هذا النداء ، وبالمكر والهلل يغطي قلوبهم .
 التوبة هي ترياق لأوجاع الخطية القاتلة ، وعذاب عظيم للشيطان مضادها .
 بها تخلص وتمتق المسبيين الدين سبوا بشره ، واتعابه التي تعبها في سنين
 كثيرة ، تضعيها التوبة في ساعة واحدة ...

إنها التوبة التي تجعل الزناة بتولين كما تجلي التوراني الذي علاه
 الصدا . أنها من الممخور الى البرية تجتلب لعمل الملائكة (الزهنية)
 والمضيئون الذين احتقروها تركتهم فنزلوا الى الجحيم السفلى . هي تدخل
 محادع الزانيات وتجتلب الزناة وتلدهم من حضنها بتولين للمسيح ... هي
 شمع الشجرة التي أثمارها سم الموت وتغرس شجرة الحياة بفردوسنا ...
 ب ترور الاموات ، وكل من يلمح الموت ودنا من احضانها شقت الموت
 وأخرجته من جومه .. هي نار تحرق الزوان ، ومياه تربي الزروع المقدسة ...
 هي شفيعا المسبيين ، ماذا تقدموا وسألوها تنهض لحايتهم وتمتدح عنهم . فمن
 ذا الذي لا يحبك أينما التوبة يا حاملة جميع التطويات الا الشيطان ، لأنك
 غيمت غناه ، واضعت قنياه ، وجعلته فارغا من الارث الذي سباه ...
 - ث هو ممفضك بالحق لأنك دائما مدسينة . فما من انسان وقع بين يديه
 ولحقته ، وصار غريسة لغذائه : وما من انسان دعاك وهو بين أسفانه ،
 ولا وتكرين اسنانه وتخلصينه ... وما من انسان اصطاده وأنت بميدة
 ودعاك ، الا وبسرعة لحقت به وخلصته . من أجل هذا هو (الشيطان)
 يعضك لأنك بالأكثر أبغضته .

ليس من تمسك برجائك ونزل الى الجحيم ، ولا من صعد الى السماء
 دونك ، من يرى الله بفكره ؟! من تمسك برجائك ووقع في يد الشيطان ؟!
 من تظهر ولم تكوني أنت التي غسلته ؟ من الذي سقى زرع من مطرك ولم
 يحصد منه أثمار الفرح ؟ ومن صبغ وجهه كل ساعة بمطرانك ولم يبصر الله
 من فيه ؟ من اتخذك شفيعا ولم تفتح أمامه أبواب خزائن الله ؟ أنت خلصت
 - ود من الخطية ... صدر الحكم على أهل نينوى بالهلاك ولكنك تجسرت
 وتمت وخلصتهم .

مباركة أنت يا أم الففران (التوبة) يا من اعطانا ايك الآب الملوء رحمة .
 لا يفضبك اذا طلبت اليه ، لأنه اعطاك أن تكوني شفيعا للخطاة . لا يفلق
 بامه أن سألته . لقد سلم لك مفاتيح الملكوت ..

صلوة لتقرير العزم على الحياة مع الله

أيها الآب القدوس الذى لا تشاء أن يهلك احد ، بل أن يقبل الجميع الى
 حياة ، أشكرك لأنك أطلت أنسائك على ، واحتلمتنى فى شرورى الكثيرة ،
 وأنيت بى الى هذه الساعة ... كم مرة عاهدتك يا الهى أن أحيا فى طاعتك ،
 لا أهين جلالك الاقدس ، ومع ذلك كسرت هذا التعهد وحدثت عن وصاياك ...
 أيها الاله الرحوم يا من أعلنت عظم محبتك للخطاة فى شخص ابنك يسوع
 مسيح ربنا ، هبنى نعمة أن أرضيك وأحيا فى طاعتك الى النهاية ... قونى
 يا الهى لماذا ضعيف امام اعدائى الكثيرين المحيطين بى .. أنت تعلم يا ربى كل
 شئ .. أنت تعلم انى احبك ، وان كان حبى ضعيفا .. لا سلام يا الهى بعيدا
 منك ، ولا راحة الا فى الحياة معك ، ولا امان ولا دوام لشيء مما فى العالم ،
 مهده كلها تزول ... لكن مبارك أنت أيها الاله الامين فى محبتك ، الذى ليس
 يسهل تغيير ولا ظل دوران ... أيها الآب السماوى ، فى ضعفى وشقاوتى
 وضائشة افكارى ، استودع نفسى لتعميتك القادرة أن تخلص الى النمام الذين
 يتقدمون اليك ... أسلم نفسى بين يديك واثقا بحمايتك لى ، مؤمنا بأنك قادر
 أن تحمظ وديعتى الى ذلك اليوم . اختتم يا الهى على تعهدى هذا بالبركة ،
 وحفظنى بلا دنس ولا عثرة فى يسوم ظهورك ، ولك كل مجد من الآن والى
 أبد آمين .



الاعتراف

« وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون
مقرين ومخبرين بأفعالهم » (اع ١٨: ١٩)

- + أهمية الاعتراف وبركاته .
- + عناصر الاعتراف الثلاثة .
- + ارشادات عامة .
- + صلوات قبل وبعد الاعتراف .

أَهْمِيَّةُ الْإِعْتَرافِ وَبَرَكَاتُهُ

والآن بعد أن تحدثنا عن حياة التوبة ومقوماتها وبركاتها وممارستها ،
نأتى الى الخطوة العملية الأولى لها وهى الاعتراف .

لسر الاعتراف بركات جزيلة وأهمية بالغة فى تقويم النفس وبنیان الحياة
الروحية . ومن ثم فقد حرصت الكنيسة المقدسة على ممارسته بدقة وأمانة
منذ العصر الرسولى (أع ١٩ : ١٨) . ففضلا عن الأسانيد والأدلة الكتابية
فى الكتاب المقدس التى توجب ممارسته ، فقد ورد ذكر ممارسة الكنيسة له
فى كتابات آباء الكنيسة القديسين الأوائل من أمثال القديسين ديوناسيوس
الأريوباغى تلميذ بولس الرسول ، واكليمنضس الرومانى تلميذ الرسل ،
وايريناوس واثناسيوس الرسولى وباسيليوس الكبير ويوحنا ذهبى الفم . كما
تحدث عنه ايضا مشاهير علمائها من أمثال ترطليانوس وأوريجانوس ..

وليست مهمتها ونحن نتناول هذا الموضوع ، أن نثبت سر الاعتراف من
الناحية العقيدية ، فليس هذا فى دائرة بحثنا لكننا نتحدث عنه فقط من الناحية
الروحية ، من جهة نفعه للمؤمنين ، وكيفية ممارسته للتمتع ببركاته .

وإذا كانت الكنيسة فى عصورها الأولى الزاهرة — تلك العصور التى
كان الايمان فيها حارا ، والحياة هينة بسيطة خالية من التعقيد الذى نلمسه
الآن ونحيا فيه — فقد حرصت على ممارسة الاعتراف من أجل نفعه الجزيل ،
فكم يكون الاحتياج اليه الآن فى هذا العصر الذى تعقدت فيه الحياة ، وتشابكت
بصورة مزعجة ، وبردت محبة الكثيرين من كثرة الاثم !!

وحينما نقول أن لسر الاعتراف بركات جزيلة وأهمية بالغة ، فلسنا
نتحدث نظريا . فكل الدين يمارسونه بأمانة ودقة ، يعرفون قدر هذا الكلام وصحته .

اننا جميعا نلمس فوائد الاعتراف وآثاره العميقة والبعيدة المدى فى
حياتنا : نفسيا وروحيا واجتماعيا ، وحتى جسديا ...

١ - من الناحية النفسية :

إن الطبيعة البشرية نفسها تعلمنا ذلك . فالنفس بطبيعتها تشر بمحاجتها إلى الأعضاء بما في داخلها والاعتراف بأخطائها ، وترتاج إلى ذلك . والضمير أنها وجد في الإنسان ليحركه إلى التوبة ولا يرتاح ولا يهدأ إلا بعد الاعتراف بما صدر عن الإنسان من خطأ فبالاعتراف نتخلص من متاعبنا النفسية وهومنا . أن السحابة الداكنة المملوءة ماء ، بقدر ما تهطل مطرا بقدر ما يصفو لونها . هكذا الإنسان ، فاته بالاعتراف ، تصفو نفسه بعد أن تلقى عنها ما تعلمه من متاعب وهوم

هكذا - في وسط عالمنا المليء بالمشاكل التي لا حصر لها في كمها ونوعها ، نجد في الاعتراف خلا على لسان آباء اعترافنا ، تلك المشكلات التي ترسب في النفس ، وتترك فيها عقدا ، يكون لها أسوأ النتائج وأبعد الآثار في حياة الفرد ، فيفقدوا نافر من المجتمع ، غير متوافق ولا منسجم معه . وقد تتزايد هذه العقد النفسية تعقيدا ينتج عنه أمراض عضوية غامضة وخطيرة . ونهستريا في بعض صورها قد تتسبب عن أمثال هذه الحالات . كما قد تصل المسألة إلى حد الانتحار للمخلص من الحياة . أما الإنسان الذي يتمتع بسلامة صحته النفسية ، فاته ينسجم مع المجتمع ويتكيف معه ، فيبدو مرحا سعيدا في حياته ، مقبلا على عمله في نشاط .

٢ - من الناحية الروحية :

(أ) ننال بالاعتراف ما لا نستطيع أن فناله بدون ، حتى لو قدبنا كل موب وقطعنا كل اوصالنا فنال به - في المسيح - صفحا عن زلاتنا وغمرنا لخطايانا وجهالاتنا تلك الخطايا التي تورثنا القلق والخوف والارعاج وما إلى ذلك من النتائج السيئة التي تحدثنا عنها في موضوع سوبه ، فنسأهل بذلك للحياة الأبدية التي هي أئمن من العالم وكل ما فيه .

(ب) وفضلا عن ذلك فانتا - بممارسته - نسأهل للتناول من جسد رب - الذي يهبنا شاتا في المسيح « من يأكل جسدي ويشرب دمي فحسب في وأنا فيه » (يوحنا : ٥٦) . وبدونه لا نسأهل لهذه النعمة حسب وصية الرسول (١ كو ١١ : ٢٨) .

١ ح - والاعتراف - باعتباره تنقية للنفس - يهين النقاوة والطهارة ويدمعي إلى التقدم في حياتي الروحية عن طريق التدقيق في حساب النفس وتعالجات الروحية التي يقدمها إلى الأب الكاهن ، وبذا يسير المعترف قدما في حياة الروحية من قوة إلى قوة .

(د) وثمة فائدة روحية أخرى للاعتراف . فإن كشف افكارنا لأب اعترافنا يفيدنا في طردها والتخلص منها . ولا يوجد شيء يفرح أعدائنا الروحيين مثل عدم كشف افكارنا لأبائنا اعترافنا ، لأنهم بهذه الوسيلة يظفرون بمن كان هذا حاله ، اذ يشددون عليه القتال ، بعد أن يروه وحده دون معين يسنده . وقديما قال الحكيم « ويل لمن هو وحده أن وقع ، اذ ليس ثان ليقممه » (جا ٤ : ١٠) . قال الأب يوحنا كسيان « من يكشف افكاره لمرشده لا يمكن انخداعه » . وقال ايضا « أن الخطية تشد طالما هي مخفية في القلب . فمتى كشفت زالت حتى من قبل أن يجيب الأب الروحي عنها بشيء . فكما أن الحية الكامنة في وكرها أو تحت حجر مني كشف منها فرت هاربه ، هكذا ابليس الحية القديمة ، فإنه متى كشف عنه يولى هاربا ، لكونه أبا الظلمة ولا يحتل الدور . وبما أنه منكبر ايضا ، فإنه اذا أشهر خدامه ومكره الدفين يفتاظ كثيرا ثم يولى هاربا لكبريائه » ...

فكر عن القديس مقاريوس الكبير أنه قابل الشيطان داب مرة وهو يسير في البرية فسأله عن حاله مع رهبانه ، فأجابه الشيطان « سيئة وتعيبة جدا ، لأن كل فكر خبيث أهجس به لهم يكشعونه الى مرشددهم ، ما عدا راهبا واحدا هو (فلان) ، فإنه صاحبي وفي قبضة يدي أتلاعب به كيفما شئت » ... فانطلق القديس ليفتقد ذلك الاخ الذي ذكره له الشيطان ، ونسحه كثيرا الا يكتم افكاره بل يكشفها لأبيه ، فقبل الراهب نصيحته وعدل عن خطئه . . . وحدث أن تقابل القديس مع ذلك الشيطان مرة ثانية وسأله عن حاله مع ذلك الراهب صاحبه ، فأظهر غيظا عظيما قائلا « انه لم يعد الآن صاحبي ، بل عدوي » .

(هـ) وبالاعتراف يعطينا الرب حلا لمشكلاتنا وعلاجاً لضعفاتنا ، من أجل انضاعنا . جاء عن أحد الآباء الرهبان المصريين أنه صام مدة طويلة ليعطيه الرب حلا لمشكلة كانت تشغله . ولما لم يظفر بالإجابة . عزم أن يتوجه الى أحد الشيوخ ليسأله فيها ، مما أن خرج من باب قلبه ، حتى التقى بهلاك منعه من مواصلة عزمه ، وأعطاه الإجابة عن مشكلته ، ثم قال له « أنك استحققت من الله حل هذه المشكلة من أجل انضاعك — الذي به عزمت على النوجه الى فلان الشيخ لسؤاله — أكثر من ذلك الصوم وتلك الصلاة الطويلة » . ويوضح لنا ذلك ، ما جاء في الإنجيل المقدس بمصدد معجزه شفاء العشرة البرص (لو ١٧ : ١١ — ١٤) . فقد قال لهم السيد المسيح « اذهبوا واروا أنفسكم للكنهه . وفيما هم منطلقون طهروا » . هكذا يرى أن الله يسر بخضوعنا لأناس مثلنا أمامهم الله نوابا عنه . ونراه يطهر مسرته ورضاه عن ذلك بالعجائب التي يفعلها بهم . فما أحرانا أن نسارع بكشف افكارنا لأبائنا اعترافنا ، أو بعبارة أخرى نشكو أعدائنا لأبائنا ، متسهمين بالطفل الذي حينها يضايقه أحد ، بجوابه قائلا « سأشكوك الى أبي » .

و) وهناك فائدة روحية عميقة لا يجب أن نغفلها حينما نتحدث عن الاعتراف ، تلك هي التلمذة الروحية . اتنا بسماع العظات والدروس الروحية قيمة نستفيد دون شك ، لكن الحياة المسيحية قائمة على التلمذ . لقد كانت وصية السيد المسيح الأخيرة الى رسله القديسين « اذهبوا وتلمذوا جميعا » .. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩-٢٠)
 ثم رسم السيد المسيح لنا هذا الطريق عمليا ، بأن اتخذ له تلاميذه ، ثم ترك وصيه لكي نتممها . أن لحياة التلمذ بركات كثيرة . فالفضائل الروحية لا تبنى بالقراءة عنها في الكتب ، أو الاستماع الى متكلم يشرحها ويبين فوائدها ومركبتها ، بل تحتاج الى تلمذ على يد معلم هو الاب الروحي ، كما يتلمذ الصبي الصغير على يد صانع ماهر فيتعلم منه . قال الاب يوحنا كاسيان : « تأملنا العلوم البشرية والمهن العملية التي لا تفيد الا امورا جسدانية ، لا تكسب الا بتعليم المعلمين وارشاد المرشدين ويتسلم الخلف عن سلف بالخضوع لهم ، مع انها امور حسية نراها بأعيننا ونلمسها بأيدينا . من عقل بعد هذا يظن ان الامور الروحية المناسبة لخلاص النفس ونموها في كمال لا تحتاج الى مرشد يرشدنا اليها ويعلمنا ما ينبغي فعله في شئها ، وهي امور خفية روحية غير منظورة » !!

٣ - من الناحية الاجتماعية :

واذا كان الاعتراف يريح الانسان نفسيا ويخلصه من العتد النفسية . اخطاء الروحية التي قد تجعله غير منسجم ولا متوافق مع المجتمع الذي يحيا فيه ، فمعنى ذلك انه بالاعتراف سيصبح متكيفا مع المجتمع ، مرصا وسعيدا في حياته ، مقبلا على عمله بنشاط . وكنيجة لذلك ، سينضاعف شحجه بالضرورة .

٤ - من الناحية الجسدية :

وللاعترااف ايضا مركبات لأجسادنا فنحن نتعلم من الانجيل المقدس ان بعض الامراض التي تصيب الانسان قد ترجع الى الخطية كما في حالة مريض ست حيدا (يو ٥ : ١٥) . وبناء على ذلك فالكنيسة تعلم ان المريض الذي يدرس سر مسحة المرضى يجب ان يعترف اولا بخطاياه . حتى ينال البرء من مرضه .. هذان الناحية الدينية الكنسية . والعلم الحديث ايضا يؤكد ذلك بعد ان توصل الى ما للمتاعب والصدمات النفسية من تأثير على صحة الانسان علمه . ومن ثم فقد نشأ فرع جديد من فروع علم الطب يعرف باسم « الطب النفسي الجسدي Psycho Somatic Medicine » وهو يدرس الآن في كليات طب بلادنا ، واتجاهه واضح من اسمه .

الاعتراف والحال هذه ، يعالج الجسد كما يعالج الروح : يحل المشين ببقود المعادات السيئة ، ويعالج من ضاقت صدورهم بالعقد النفسية، والذين تملك عليهم الاوهام المختلفة ، والشواذ الذين قعدوا عن الانتاج الصالح والفهم الصحيح ، والتوافق مع المجتمع . وفي كلمة واحدة ، انه يحل الانسان من نتائج الخطية المرة ، ويحله من ربطها ...

وحسبنا ما تفعله الحكومات والهيئات المختلفة من تعيين الاخصائيين الاجتماعيين في معاهد التعليم والمؤسسات الاجتماعية لعلاج انحرافات النشء والشباب ، عن طريق الجلسات الفردية أو غيرها من الطرق والوسائل العلمية .. وحسبنا أيضا انتشار العيادات النفسية في عصرنا الحالي ، وتقديم العلاج النفسي تبعا لازدياد حالات المصابين بالامراض النفسية في عصر المدنية .

ان هذا الذي بدأ العلم الحديث ان يعرفه ، عرفته الكنيسة بل مارسته منذ زمان بعيد . فقبل ان يعرف التحليل النفسي بأكثر من ثمانية عشر قرنا ، عرفته الكنيسة واستخدمته في سر الاعتراف . ولم تكن معرفتها نتيجة أبحاث قامت بها ، بقدر ما كانت نتيجة تنفيذ وصايا الله الذي خلق الانسان ويعرف خبايا نفسه وملاجها ...

واذا كان العلم الحديث يعالج بما توصل اليه من معرفة وكشف ، فإن الكنيسة تفوقه ، لأنها فضلا عن خبرة رجالها فهناك عمل الله الخفي والجانب الروحي في ذلك السر المقدس الذي تمارسه .

نعم ، ليس الاعتراف مجرد علاج نفسي ، والا كان أشسبه بالعيادات النفسية التي يقوم بالعمل فيها أطباء أو أخصائيون قد يكونون غير متدينين أو غير مؤمنين إطلاقا . وإنما الاعتراف سر كنسي خطير ، يشمل ضمن فوائده الكثيرة هذا العلاج النفسي . يكفي أن هذا السر تصحبه مغفرة الخطايا بالحل الذي يقبله المعترف من الكاهن .. وهذا ما لا تستطيع كل عيادات العالم النفسية أن تقدمه لمرضى واحد ، مهما كان أطباؤها ذوي علم وخبرة ومؤمنين ومتدينين ...

واجب الكنيسة :

وان كان للاعتراف هذه الاهمية ، فإنه يترتب على ذلك مسؤوليات خطيرة تواجه الكنيسة ازاء مشاكل أبنائها ، خاصة الشباب والأحداث منهم .. و يترتب على هذه المسؤوليات واجبات حتى يأتي الاعتراف بالبركات التي تحدثنا عنها ..

لقد سار التقليد في كنيسنا على ألا يسند حق مباشرة سر الاعتراف لكل كاهن ، بل لمن توافرت فيه شروط معينة تؤهله لقيادة آخرين وارشادهم .
 وكان الأسقف حينما يلمس أن كاهنا وصل الى حالة تسمح له بالاستماع الى الاعترافات واعطاء النصائح ، يصدر له تخويلا بذلك . **فليس بالضرورة أن كل كاهن يصبح ابا للاعتراف .** وان كان عامل السن له اثره في شخصية 'اب الاعتراف من جهة الخبرات والمعرفة الروحية التي تكون قد توفرت له ، كن ومع ذلك فانه لا يمكن أن يكون كاتبا بذاته للاهلية لسماع الاعترافات ، وما يستلزمه من اعطاء نصائح وارشادات روحية ، ما لم يتوفر معه المعرفة الدينية والخبرة والدراية الروحية . **ومعنى ذلك أن المؤهل لأب الاعتراف ليس هو كبر السن وحده ، بل الخبرة والدراية الروحية ، بالإضافة الى المعرفة الدينية . . .**

قال الانبا انشعيا (القرن الرابع) في تعاليمه للمبتدئين » أن مسالك شيخ عن افكارك فاكشفها له بصراحة متى تأكدت أن له امانة ويحفظ كلامك .
 ولا تنظر الى كبر السن بل اعتمد على من له علم وعمل وتجربة ومعرفة روحانية ، فللا يزيدك سقما بدلا من أن يهبك شفاء » . وقال الاب والكاتب **يوحنا كاسيان (القرن الرابع م) » أن انبا موسى اوصانا بالا نكتم افكارنا %**
 بل نكشفها لمشايع روحانيين لهم معرفة وتمييز ، وليس لمن طال عمره وشباب شعره . لأن كثيرين تصدوا اهل كبر السن وكشفوا لهم عن افكارهم ، وحيث أنه لم يكن عندهم معرفة ، فعوض العلاج طرحهم في اليأس » .

لقد أن الوقت لأن تعيد الكنيسة لهذا السر قدسيته وأهميته . عليها أن تعد دراسات خاصة — بكلياتها اللاهوتية مثلا — للخدام كهنة وشمامسة ، لتزويدهم بالملم اللازم والخبرات الروحية ، وتعطى في نهايتها اجازة مدارسين . وعليها أيضا — في المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية — مثلا — أن تؤسس مراكز للاعتراف ، ينقطع الكهنة الذين يخدمون فيها للاعتراف وما يترتب عليه فقط ، ويعنون من أعباء الخدمة الأخرى . فبالاعتراف بالصورة الحالية التي يمارس بها أثناء القداسات في الكنائس يفقد كثيرا من مزاياه . .



نتنقل الآن للحديث عن الاعتراف ذاته ، وكيفية ممارسته . وسوف لا نتناول جانب المعرفة ، انما حديثنا قاصر على دور الماعترف في الاعتراف . يمكننا أن نميز في سر الاعتراف ثلاث مراحل متميزة :



عناصرة الاعتراف الثلاثة

أولاً بين وبين نفسي

لزوم التوبة :

قلنا في بدء حديثنا عن الاعتراف ، انه الخطوة العملية الاولى للتوبة . ومعنى هذا أن التوبة من القلب ، والشعور بالندم الشديد ، ينبغي أن تسبق الاعتراف وتلازمه . فلا معنى للاعتراف بلا توبة ، فسر الاعتراف في الكنيسة يسمى أيضا سر التوبة . وقد تكلمنا عن ذلك بأسهاب ونحن نعالج موضوع «حياة التوبة» . فهو — والحال هذه — ليس مجرد عبارات تتلوها على مسمع الأب الكاهن، حتى لو كانت هذه العبارات تعبر عن الحقيقة — وإنما هو توبة . أن بعض الناس ممن يريدون أن يتناولوا من السر المقدس ، يتقدمون الى الأب الكاهن أثناء القداس طالعين منه الحل ، وعندها يسألهم الكاهن عن مدى استعدادهم يقولون « الحمد لله لا يوجد شيء » ، أو يقولون « لقد تناولنا الاسعوط الماضي ، أو منذ ثلاثة أيام » مثلا . وكان الانسان يحيا ولا يخطيء!! أو كان الانسان لا يخطيء في مدة ثلاثة أو أربعة أيام .. !!

قال القديس كبريانوس (القرن الثالث) مؤنبا الذين يتقدمون للتناول دون توبة صادقة بقوله « كيف تعطى لهم الافخارستيا وهم لم يصنعوا توبة ، ولم يصنعوا بعد اعترافا ، ويد الاسقف أو الكاهن لم توضع بعد عليهم » (رسالة ٩ عد ٢) . قد يحدث بالنسبة لمن يتناولون باستمرار وفي فترات متقاربة جدا أنهم لا يمارسون الاعتراف يوميا . وطبعاً نحن لا نتكلم عن هذا الصنف من الناس ، إنما نتكلم عن الذين لا يبالون بالاعتراف كلية .

إن أولئك الذين يقولون « الحمد لله لا يوجد شيء » ، إنما يضلون أنفسهم . هؤلاء إما يحفون خطاياهم ويكذبون على الحق ، وإما لا يعرفون أنفسهم مع الأسف ويكذبون على الله . قال يوحنا الرسول « أن قلنا انه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا .. أن قلنا اننا لم نخطيء نجعله كاذبا وكلمته ليست فينا » (١ يو ١ : ٨ ، ١٠) . وعلى أية الحالات فإن أمثال هؤلاء الناس لا تفهمهم صلاة التحليل التي يصلّيها لهم الأب الكاهن دون اعتراف . نهذه الطريقة فضلا عن كونها خاطئة شنيعة واستهانة بالسر العظيم الرهيب،

فإنها لا تنفد المعترف الا خطية جديدة ، تنضم الى سلسلة خطاياہ السابقة ،
 الا وهى التناول بدون توبة !! ولنتلذذ جميعا ان صلاة التحليل دون اعتراف ،
 ودون توبة صائفة ، لا وان نهينا غفرانا لخطايانا . والا لو صح هذا الامر لاختفى
 الاعتراف بالتدريج . . . ولاصبح نوال مغفرة الخطايا امرا هينا وسهلا ، ويمكن
 الحصول عليه دون كثير عناء . فيكفى لماجن او مستهتر — لم يعرف الله وم
 يدخل باب التوبة الضيق — أن يحنى هامته تحت يد كاهن حتى يحصل على
 مغفرة خطاياہ ، وهذا ما لا تعلم به المسيحية . ما أكثر الذين يتخفون من
 خطاياهم مائة للافتخار دون خزي او مبالاة !! وعلى ذلك يجب أن يكون
 اعترافنا معبرا عما تخطج به قلوبنا من توبة وندم وخجل « فإنه من فضلة
 القلب يتكلم الغم » (مت ١٢ : ٣٤) . وهكذا حينما ينظر الله الى توبة قلوبنا
 يهبنا غفران آثامنا . قال سليمان في صلاته بعد أن اتم بناء بيت الرب « فاسمع
 أنت من السماء مكان سكناك ، واغفر واعط كل انسان حسب كل طريقة كما
 تعرف قلبه . لأنك أنت وحدك تعرف قلوب بنى البشر » (٢ اى ٦ : ٣٠) .

وعلى ذلك فالتوبة ركن اساسى فى سر الاعتراف . ينبغى أن يتقدم المعترف
 للاعتراف وكله شعور بأنه قد أخطأ جدا فى حق الله الذى أحبه ، لذلك فهو
 يتقدم بنفس منسحقة مرة ليعتذر عن آثامه ، عازما على تركها نهائيا ، وعدم
 العودة اليها ، طالبا من الله المعونة والقوة . فالتوبة يليق بها الحزن وتوجع
 القلب ، قال داود النبى « لأننى اخبر بائسى واغتم من خطيئى » (مز ٣٨ : ١٨) .
 وقال ارميا النبى « سمع صوت على الهضاب بكاء متضرعات بنى اسرائيل .
 لأنهم عوجوا طريقهم . نسوا الرب الهنا » (ار ٣ : ٢١) .

جلسة مع نفسك :

والاعتراف الكامل المصحوب بالتوبة والندم ، يحتاج الى استعداد قبل
 التوجه للاعتراف . وينحصر هذا الاستعداد فيما نسميه « حساب النفس »
 الذى تحدثنا عنه فى موضوع التوبة . . اجلس وحاسب نفسك حسابا قاسيا
 دقيقا . قارن بين معاملة الله النبيلة لك واحساناته اليك ، وبين جحودك
 ونكرانك . قارن بين حياتك وحياة الآباء القديسين . . تفكر قول الرسول
 بطرس « ان كان البار بالجهد يخلص فالفاجر والخطيئ أين يظهران »
 ١ بط ٤ : ١٨ — وقل فى داخلك : نعم أين أظهر أنا الخطيئ ؟ ! ان كل
 هذه المشاعر ستعطيك روح انسحاق ، وستصغر نفسك فى عينيك ، وستجدد
 منك الشعور بالحاجة الى نعمة الله . وحساب النفس فضلا عن أنه يهبنا
 شعورا بالانسحاق ، فإنه يذكرنا بخطايانا ملا ننساها . من أجل هذا كان
 داود النبى، بعد سقطته، يردد قوله « خطيئى امامى كل حين » (مز ٥١ : ٣) .

هذا ان كنت يقطا وتعرف اخطائك . ولكن يحدث أحيانا أن تغيب عنا
 معرفة خطايانا ، أما بسبب النسيان نتيجة عدم محاسبة أنفسنا والاعتراف
 سررات طويلة، وأما بسبب تهاوننا فى حياتنا الروحية، مما يقلل من حساسيتنا

الروحية فأصبحنا نعمل الحطية دون أن نشعر ، أو لاي سبب آخر . ويلزم في هذه الحالة أن نصلى اليه لكي يكشف لنا عن أخطائنا . ابتهل الى الروح القدس وأطلب منه أن يشرق عليك بنور سمته قائلا مع القديس اعسطينوس « الهى امنحنى ان أعرف من أنت ومن أنا » . وحينئذ ، الله المتحن الذي يشاء خلاص كل أحد — الذي قال عنه القديس مارافرام السريانى انه يتعطش لدموع الندم الراجع اليه — سوف يعطيك أن تذكر خطاياك وتعرفها . ولمساعدتك على الاعتراف ، وضعنا قائمة أسئلة تفصيلية في آخر هذا الموضوع ، يمكنك الرجوع اليها .

ان كنت كثير النسيان ، أو ان خشيت من النسيان ، فلا مانع من تدوين ما تسمم أن سمعته به أولا بأول هي ورقة صغيرة ، ولا مانع أيضا من إبراز هذه الورقة أثناء الاعتراف للاستعانة بها . وان خشيت من وقوع هذه المذكره في يد انسان آخر ، يمكنك كتابتها بطريقة رمزية . وطبعاً ما يكتب في هذه الحالة يكون اشارات تذكرك ، وليس تفصيلات . وبعد الاعتراف مزقها ، نصك خطاياك قد مزق أيضا . . .

جلسة مع الله :

وحينما نشعر بخطاياك ونقلها عليك ، وحينما تصغر نفسك في عينيك ،
اعلق الباب وحاجج في دجى الليل يسوعا
واملا الليل صلاة وصراعا ودموعا

وفي صلاتك قدم له بدمك مزوجا بالدموع . واعترف له بكل ما فعلت بالتفصيل . نعم ان الله يعلم بالحطية قتل أن ترتكبها ، ولكن في الاعتراف اقرارا بالاثم وشعورا بالذنب . قال داود السي « لما سكت بليت عظامي من زميرى اليوم كله . لأن يدك ثقلت على نهاري وليلا . تحولت رطوبتي الى يبوسة القبط . اعترف لك بخطيتي ولا اكتم اثمي ، قلت اعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي » (مز ٣٢: ٣-٥) .

وفي صلاتك تكلم مع الله بالتفصيل واجعل حديثك بلغة المتكلم المفرد لا الجمع ، مان ذلك يشعرك أكثر بذنك ، وبوقفك عريانا وجها لوجه أمام الله . عوض أن تحتفى في غيرك . وتشجع بنقائص الآخرين ! فحينما نصلى بمفردك لا نصلى قائلا ممثلا « سامحنا يا الله واغفر لنا خطايانا . أنت تعرف يا رب أننا خطاة وكثيرا ما نضعف ونسقط . . الخ » بل صل قائلا « سامحنى يا الهى واعمر لى خطابى ، أنت تعرف يا ربى أنى خاطيء ، وكثيرا ما أضعف واسقط . . الخ » . فما الد وأوقع الصيغة الثانية على سمع الله ، وما أوغر التعزيات ومشاعر المسكة التي تملأ القلب بعد رفعها !!

الخجل :

من الامور التي تعطل الكثيرين عن الاعتراف (الخجل) . الخجل من
سهر خطاياهم امام الكاهن . لكن غيب ن منحطى هذه العقبة ، فان هذا
سبب لحياننا الروحية . مما دمت ما اذى لم نخجل من الله عند ارتكاب الخطية ،
من ان من خجلك امام ذاته في وقت الاعتراف . **الخجل ، ولو انه قاس**
ومتعب ، الا انه مفيد لك : يشعرك ببشاعة الخطية ، ومقدار حقارة الوقوع
بها ، ويشعرك بأنها عار ومقصر . وكل هذه المشاعر لازمة لك . فيحسن
ب سالم من خطيتك ، طالما تلذدت بها قليلا . لان مثل هذا الالم يوجد شيئا
من التوازن في التعامل مع الخطية . من اجل هذا قال الاء القديسون أن سر
اعتراف لجام قوى يكبح جماح الانسان ويمسحه عن العوده الى الخطأ . قال
حكيم ابن سيراخ « لانسح من الاقرار بخطاياك » (سي : ٢٦ : ١) .

نه من نخجل ، ولماذا نخجل ؟

ربما يكون الانسان — في جهالته — سقط في بعض الخطايا التي يستبشع
سهر الاب الكاهن . لكن اعلم ان خطيتك ليست الوحيدة التي سيسمع منها
اب الكاهن لأول مرة . فاب الاعتراف طالما سمع خطايا كثيرين ، وربما
سخطيتك مألوفة لديه . . وعلى اى حال فان الاعتراف حينما يجلس
يعترف فان اب الاعتراف بعنم مقدما انه لا بد سيسمع شيئا غير سليم وغير
سهر .

وقد يؤدي الخجل ببعض الأفراد الى التساؤل عما اذا كان من المحتم على
الانسان ان يعترف على كاهن ، ولماذا لا يعترف على الله راساً ؟ وننضم
كبرياء ايضا الى الخجل . لكن في محج — تردد نفس هذه المزاعم . فالتكبر
يحول ان يظهر امام الناس قديسا ورعا تقب . ويهمن ان يكون له صورة
سقى ، حتى لو أنكر في اعماقه قوتها !! ومعتقد ان ما أوردها عن أهمية
لاعتراف في صدر هذا الموضوع فيه بعض الرد على هذا التساؤل والتهاكك .
انها خدعة من الشيطان يريد بها ان يمنع عنا بركات كثيرة نحصل
سبب . فيما لو ولجنا باب الاعتراف — فلا نسمع اليه ادر . ونندع عنا كل
اعتبارات — سواء كانت خطايا غير ذلك . ولكن اهمية الوحيد هو
حصول على النعم العظيمة التي لن نحصل عليها بدون الاعتراف كما سبق
لذكرنا . فليس احد طاهرا من دس ولو كانت حياته يوما واحدا على الارض .

كيف تعترف ؟ :

١ — حينما نجلس امام الاب الكاهن . احرص ان تكون لك دالة عنده .
وانكر انك مقدم على انعام سر رعيه يحدد حياتك ويلدك من جديد . لذا

انس علاقتك به وانكر انه نائب الله ، وكيله الذى يحاسبك على خطاياك ،
لا تذكر خطاياك كشخص يقص قصة او يروى خبرا ، انما بالمرور عدة .

٢ — اعترف بكل انواع الخطايا : خطايا العمل ، والقول ، والفكر ،
والحس ... واعلم ان كل خطبة لا تعترف بها تظل باقية مهما تحسنت حالتك
فيها بعد . ستظل تثقلك حتى لو صرت قديسا . وبالجمله فرغ قلبك من
الخطية . قال الوحي الالهى على لسان ارميا النبي ، مخاطبا كل نفس
« اسكبى كمياه قلبك قبالة وجه السيد » (مرا ٢ : ١٩) . انه تشبيه دقيق
يوضح كيف يجب ان نفرغ قلوبنا ونحن نعترف بخطايانا . فالاتاء الذى فيه زيت
او غسل مثلا بعد ان يسكب منه ، لابد ان يبقى فيه اثره . واذا كانت فيه خمر
او خل مثلا لابد ان تبقى فيه الرائحة ، اما الماء فلا يخلف اثرا او رائحة هكذا
حينما نفرغ قلبك اثناء الاعتراف يجب الا تبقى فيه شيئا من الخطايا

٣ — اهتم بتفاصيل الخطية التى يظهر فيها لون من البشاعة حتى تظهر
امام ابيك الروحي على حقيقتك . فمكان الخطية ، وزمانها ، والشخص (لا
نقصد الاسم) الذى اخطأت معه ، او اليه ، كل ذلك له تأثير على مقدار اثمك .
اما ان تعترف اعترافا عاما (غير تفصيلي) فهذا لا يجديك كثيرا .

فمثلا اذا اعترفت قائلا « يا ابي : انا لم اصل كما ينبغي ولم احب الآخرين
كما يريد الله ، ولم اناول من السر المقدس بالاحترام اللائق . . » ، فمثل هذا
الاعتراف لا يمكن ان يستدل به الكاهن على معرفة حال نفسك . ان جميع
القديسين الذين على الارض وفي السماء يمكن ان يقولوا مثل هذا الكلام .
فمهما ساء الانسان في الفضيلة فهو يعتبر ذاته مقصرا في تنفيذ وصايا الرب .
لكن يفيدك ايراد تفاصيل الخطية ، لانه يترتب عليها تقديم العلاج المناسب
لضعفك . . . فمثلا هناك فرق بين قولك « مظرت يا ابي نظرة شريرة » ، وبين
قولك « وكانت هذه النظرة في الكنيسة » . . . وقرق بين قولك « افكارى
تحاربني من جهة فتاة واشعر بالميل اليها » ، وبين قولك « وهذه الفتاة معي في
منزل واحد ، بل وفي نفس المسكن » . ففي الحالة الثانية يعتبر الامر خطيرا ،
ويحتاج الى علاج من نوع خاص . وقرق بين قولك « انسان كلمنى كلمة مزاح ،
فانما غضبت عليه لاني فهمتها فهمها ردينا » ، وبين قولك « اني غضبت من انسان
قال لي كلمة مزاح ، وانا فهمتها فهمها خاطئا لانني اكراه هذا الشخص ولا اطيق
كلامه » ، بينما لو انسان صديق لي قال لي هذه الكلمات ما كنت اتضايق
منه » . ففي الحالة الثانية تكشف هذا التفصيل عن خطية اخرى كامنة في
القلب ، وهي البغضة ، وعننا نشأ الغضب .

وهكذا ترى ان الاهتمام بتفاصيل الخطية ، يظهر الخيول والمعادنات
والعواطف الرديئة ، وبواسطة هذا الايضاح تستكمل صورتك الداخلية في
نظر الاب الكاهن . ان الامر على هذا النحو يحتاج الى علاج خاص ، ومن
نوع معين . فذكر التفاصيل امر مفيد للمعترف ، لان عليه ستعرف نصائح
وارشادات الكاهن وحلوله لمشاكلك .

٤ — **اهتم أيضا بمدة الخطية :** هل الخطية التي تعترف بها مستمرة عندك وتلح عليك ، أم ارتكبتها مرة واحدة أو أكثر ؟ وهل أصبحت عادة مملكة عليك ، وتبد صعوبة في الاقتلاع عنها ؟

٥ — **اهتم كذلك بمشاعرك أثناء فعل الخطية :** هل كنت متلذذا أم ناعرا متضايقا ؟

٦ — **لا تحاول أثناء الاعتراف أن تلقي نفسك الإغذار ، وأن تشب سقطنك للآخرين .** لا تهون من أمر الخطيئة . لا تجلس أمام الكاهن ونقل له « الشيطان ضحك على في كذا وكذا كذا .. » وهكذا تظهر الشيطان مدانا بكى تبدو أنت بريئا !! لا تنس أن أية خطيئة انما تفعلها بإرادتك وحك . لا تقل مثلا « أن شخصا ضايقتي ، وأنا اضطررت للثورة والغضب » . وإذا كن هو ضايقتك بالفعل ، فابن صبرك وأبن المحبة التي تحتل كل شيء .

٧ — **كن أميناً في اعترافك ، ولا تحاول أن تلبس خطيئتك ثوبا آخر بسبب الخجل .** فمثلا انسان — حينما سئل عن ديانتة — انكر انه مسيحي . هذا الانسان في اعترافه أمام الكاهن ذكر هذه الخطية على انها (كذب) لقد اعتبر انكار اعترافه بايمانه كذبا ، ولمرق كبير بين الخطيئتين !!

٨ — **اهتم بالنواحي الإيجابية في اعترافك :** لا تنظر الى النواحي السلبية فقط ، انما ادخل في حسابك النواحي الإيجابية لحياتك الروحية . لا تعترف فقط بالاختفاء التي فعلتها ، وانما أيضا بالفضائل التي قصرت في التحلى بها . فقد قال يعقوب الرسول « من يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل **هناك خطية له** » (يع ٤ : ١٧) . أنت كمسيحي يجب عليك أن تنمو روحيا حتى تصبح انسانا كاملا ، وتصل الى قياس قامة ملء المسيح (١٣ : ١) . فان كنت لا تنمو ملا مد من وجود خطية رابضة تمنع نموك لان النمو هو سنة الحياة ... **والقصود بذلك أن تحاسب نفسك على ضوء الفضائل المسيحية** كالمحبة مثلا في كل تفاصيلها التي تحدث عنها بولس الرسول في (١ كو ١٣) ، وكواجبات العبادة ، وكانكار الذات ، والطهارة « طهارة الجسد والحواس والقلب والفكر » الى آخر الفضائل التي يجب أن تتحلى بها ، ثم اكتشف مدى تقصيرك واعترف به ..

٩ — **ولا نظن ان اعترافك يقتصر على الناحية الروحية بمعناها المفهوم لدينا ، دون نواحي حياتك الاخرى .** فالمسيد المسيح يأمركم بالكمال « كونوا كمالين » (متى ٥ : ٤٨) ، ويأمرنا بالامانة « كن امينا الى الموت » (رو ٢ : ١٠) . وطبعاً الكمال والامانة في كل شيء . فالطالب الذي يقتصر في دراسته يجب أن يعترف بهذا التقصير كخطيئة . وكذلك الموظف الذي لم يكن امينا في استغلال وقته لصالح الهيئة التي يعمل بها .

١٠ — **اعترف بالخطايا حتى لو كنت تعرف علاجها .** او بعبارة اخرى : اباك الا تعترف ببعض الخطايا التي قد تعرف علاجها ، أما لتكرار وقوعك

فيها ، وسماع نصائح كثيرة عنها من أب اعترافك ، وأما لاطلاعتك ومعرفتك بطرق علاجها . لأن الاعتراف بالخطايا يتضمن اقرارا بالضعف أمام الله بحضور نائبه أى الكاهن . ان الشيطان كثيرا ما يحارب الإنسان بمثل هذا الفكر ، قائلا له « ان أب اعترافك سيقول لك كذا وكذا بخصوص هذه الخطية وأنت تعرف الاجابة فلا داعى للاعتراف بها » . **علينا أن نداوم الاعتراف بالخطية حتى نربأ منها . ان الانسان لا يمكن أن يكون قاضيا صالحا فى أموره الخاصة . ان مياه انهار سوريا والعراق كانت ارق والطف من مياه الاردن لكنها لم تكن كفاء لشفاء نعيان السرياني مثل الماء الذى وصفه انثسح النبى لشفاؤه (٢ مل ٥) . ان الله يمنح كلام الاب الروحى قوة ونعمة خاصة من أجل نفع اولئك الذين يقبلون على الاعتراف بايمان ..** ثم ان الاعتراف ليس مجرد العلاج ، واتما أولا لنوال الحل والمغفرة ، ولا مغفرة بدون اقرار بالخطية .

١١ - يجب أن تصارح أب اعترافك بكل ما فى نفسك حتى لو كان من جهته . فلو ان عدو الخير اعترك فى تصرف معين لابيک الروحى ، عليك ان تذكره له فى لهجة مؤدبة ، وتستفسر منه عنه . فان كان مثلاً مسرعاً فى ممارسة هذا السر ، فصارحه ايضا وقل له ان هذا لا يريح نفسك .

١٢ - استمع جيدا لنصائح ابيک الروحى ، واقبلها . واذا اتعبك شيء منها فصارحه بذلك ، كالمريض الذى يصارح الطبيب بأنه استراح الى الدواء او لم يسترح .

ثالثا الحل من الخطية

صلوات التحليل :

بعد ما تكون قد اعترفت أمام ابيک الكاهن اعترافا كاملا بكل خطاياك ، اركع فى خشوع وقل له « حللى يا أبى من خطاياى التى اعترفت بها ومن المسترة ايضا » فربما تكون هناك خطايا سببت أن تذكرها . وحينئذ سيمد الكاهن يده بالصليب ، ويضعه على رأسك ، ويصلى عنك صلاة التحليل . ومن المفيد أن ندون هنا صلوات التحليل ، ونأمل ما فيها من طلبات ومعانى روحية جميلة ، حتى حينما تحنى هامتك أمام ابيک الروحى تشعر بقوة الكلمات التى يتلوها ...

وتنقسم صلاة التحليل الى ثلاثة طلبات : التحليل الاول والثانى والثالث :

✽ التحليل الاول : « نعم يا رب يا رب الذى اعطانا السلطان ان ندوس الحيات والمقارب وكل قوة العدو ، اسحق رؤوسه تحت اقدامنا سريعا ، ويدد عنا كل معقولاته الشريرة المقاومة لنا ، لانك انت هو ملك كلنا ايها

المسيح الهنا ، وانت الذى ترسل لك الى فوق المجد والاكرام والمسجود ،
مع ابيك الصالح والروح القدس المساوى لك الآن وكل اوان والى دهر
الداهرين آمين » .

✽ التحليل الثانى : انت يارب الذى طالطت السموات وميزت

من اجل خلاص جنس البشر . انت هو الجالس على الشاروبيم . . .
والناظر الى المتواضعين . انت ايضا الآن يا سيدنا الذى نرفع عين سوبنا
اليك ، ايها الرب . الغافر آثامنا ، ومخلص نفوسنا من الفساد ، نسجد
لنعمتك الذى لا ينطق به ، ونسألك ان تعطينا سلامك ، لانك اعطينا كل
شيء . اقتننا لك يا الله مخلصنا ، لاننا لا نعرف احدا سواك . اسمك القدوس
هو الذى نقوله . **ردنا يا الله الى خوفك وشوقك** . سر ان نكون فى تمتع
خيراتك . وعبدك (. . .) الذى احنى رأسه تحت يدك ارفعنا فى السيرة ،
وزينه بالفضائل . ولنستحق كلنا ملكوتك الذى فى السموات بمسرة الله ابيك
الصالح . هذا الذى انت مبارك معه مع الروح القدس . . .

✽ التحليل الثالث: ايها السيد الرب يسوع المسيح، الاس الوحيد، وكلمة
الله الاب ، الذى قطع كل رباطات خطايانا من قبل الامة المخلصة المحيية،
الذى نفخ فى وجه تلاميذه القديسين ورسله الاطهار وقال لهم : اقبلوا الروح
القدس ، من غفرتم لهم خطاياهم غفرت لهم ، ومن امسكتموه عليهم امسكت .
انت الآن ايضا يا سيدنا من قبل رسلك الاطهار ، انعمت على الذين يعملون
فى الكهنوت ، كل زمان ، فى كنيسك المقدسة . ان يعمررو الخطايا على
الارض ، ويربطوا ويحلوا كل رباطات الظلم . الآن ايضا نسال وبطلب من
صلاحك يا محب البشر عن عبدك (. . .) وضعفى ، نحن الخاضعين برؤوسنا
امام مجدك المقدس، ارزقنا رحمتك، واقطع كل رباطات خطايانا . وان كنا
أخطأنا اليك فى شيء ، **بعلم او بغير علم ، او بجزع القلب ، او بالفعل ،**
او بالقول ، او بصفر القلب . انت يا سيد العارف بضعف البشر . كصالح
ومحب البشر ، اللهم ائعم علينا بغفران خطايانا ، باركنا ، طهرنا . حللنا .
وحالل عبدك (. . .) . املأنا من خوفك ، قومنا الى ارادتك المقدسة
الصالحة . لانك انت هو الهنا . والمجد والكرامة والعر والسجود . . .

ملاحظات عليها :

يشعر المعترف الخاضع برأسه ، انه لبس خاضعا برأسه تحت يد
انسان بل تحت يد الله ، اذ يقول الكاهن فى التحليل الثانى « **وعبدك** . . .
الذى احنى رأسه تحت يدك » .

ويعلم الكاهن المعترف انه لا يتم هذا السر الا بموجب السلطان الالهى
بقوله « . . . انعمت على الذين يعملون فى الكهنوت . . . ان يغفرو
الخطايا . . . » .

وفي التحاليل الثلاثة لا يطلب الكاهن من الله من المعترف وحده ، بل عن
ضممه أيضا .

ويطلب الكاهن من الله لأجل المعترف لكي يهبه نعمًا وبركات روحية
كثيرة :

* أن يقطع جذور الشر من نفوسنا « اسحق رؤوسه تحت اقدامنا
سريعا » ورأس الشيء هو بدؤه .

* أن يعطينا سلامه الذي نفتداه بالخطية ، فالخطية تأتي على سلام
الانسان كما تأتي النار على الهشيم .

* أن يملأنا الله من خوفه . ونحن نلاحظ هنا ، أن الكاهن حينما طلب
لأجل السلام قال « اعطنا سلامك » ، وحينما سأل لأجل خوف الله قال
« املأنا من خوفك » . قال القديس الانبا انطونيوس أب الرهبان « رأس
الحكمة مخافة الله . كما أن الضوء إذا دخل الى بيت مظلم طرد ظلمته واناره ،
هكذا خوف الله إذا دخل قلب انسان طرد عنه الجهل ، وعليه كل الفضائل
والحكم » .

* أن يرد اليها الشوق الى الله « ردنا يا الله الى شوقك » .

ان تذوقنا للروحيات يتغير نتيجة الخطية كما يتغير طعم الطعام الجيد
في فم المريض ، ويغتر شوقنا الى الله تبعًا لذلك ، ولذا يطلب الكاهن انيه ان
يمجد اليها هذا الاشتياق فننجذب اليه « اجذبني وراءك فنجري » (نش
١ : ٤) ، ولا ننجذب للخطية ...

اما نتائج صلوات التحاليل هذه فهي :

* مغفرة لخطايانا بالكيفية التي وقعنا فيها « بعلم او بغير علم » .

* مغفرة لخطايانا بانواعها التي فعلناها « بالفعل او بالقول » .

* مغفره لخطايانا التي وقعنا فيها تحت مختلف الظروف « بجزع القلب
او بصفره » .

* ثم بركة ، وطهارة ، وحل من كل قيود الخطية وسلطانها ...

بعد صلاة التحليل تؤكد ان الرب رفع عنك خطايك . تذكر كلمات ناثنان
النبي الى داود بعد اعترافه بخطيئته « الرب ايضا قد نقل عنك خطيتك »
(٢ صم ١٢ : ١٣) .

نقدم في محبة وخضوع وقبل الصليب الذي في يد الاب الكاهن .

إرشادات عامة

١ - ما بعد الاعتراف :

يحسن أن تنصرف بعد الاعتراف بمفردك تتلبل في كم صنع بك الرب ورحمك ، وتستفيد من حالتك الروحية ، وتختزن لمستقبلك ما يفيدك . من الأخطاء التي يقع فيها بعض الشباب أنهم يذهبون الى الاعتراف جماعات ، ويتقضون الوقت الذي يسبق الاعتراف في سمر وحديث وربما فكاهة أيضا كأنهم لا يشعرون بالندم على الخطية . ثم يخرجون بعد الاعتراف بنفس الصورة يتحدثون أثناء الطريق في أمور تحتاج الى اعتراف آخر . . !

يجب على المترف أن ينفذ كل وصايا ابيه الروحي بدقة وامانة كاملة ، فهي كاللواء الذي يصفه الطبيب للمريض . فلا فائدة من زيارة المريض للطبيب بدون استعمال الادوية التي يصفها له ، وبدون اتباع نصائحه . وهكذا أيضا لا فائدة من تردد المترف على الكاهن المترف بدون تنفيذ الادوية الروحية التي اثار بها عليه .

لا تليس أن سقطت ثاقية بعد الاعتراف ، بل انهض واعترف وجدد المهد مع الله ثاقية « لأن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم » (ام ٢٤ : ٢٦) . والله العارف بضعف طبيعتنا وضع أن سر الاعتراف تعاد ممارسته ، حتى قبل اليه نادمين معترفين في كل مرة نسقط فيها . أن باب التوبة يظل مفتوحا على مصراعيه و يفلق أبدا حتى نهاية حياتنا ، وطوبى للإنسان الذي يدخل منه . .

٢ - اب الاعتراف الواحد :

تعلم الكنيسة بوجوب انفاذ اب اعتراف واحد لا يتغير ، يستمر معه المترف الا اذا حالت موانع خاصة كالسفر أو أي أمر آخر . وفي هذه الحالة يجب على المترف أن يستلذن اب الاعتراف ، وينال منه السماح بالاعتراف عند اب آخر . من أجل هذا يجب التدقيق جيدا قبل اختيار طبيبك الروحي . اطرح كل الاعتبارات جانبا ، ولا يكن أمامك الا فائدتك الروحية . واياك أن تنهز من اب اعترافك نتيجة دافع غير مقدس ، أو هروبا من مواجهته لتلك غائل في مغالبة الخطية . . أما أولئك الذين ينتقلون بين آباء الاعتراف ، يعترفون في كل مرة أمام اب جديد ، فهؤلاء لا تفرهم الكنيسة على ذلك ، وهو خطأ كبير يجب أن يظلموا عنه لمنتمهم الروحية .

٣ - تغيير اب الاعتراف :

يحدث في بعض الاحيان ان المعترف لا تجدى معه العلاجات الروحية التى يقدمها له اب اعترافه .. وهنا يتساءل **المعترف** « هل يمكننى ان اغير اب اعترافى ، ام ان ذلك ممنوع كنسيا ؟ » .. الواقع ان اب الاعتراف — كما ذكرنا — هو بمثابة الطبيب . قد لا يستريح مريض لعلاج طبيب معين استمر معه فترة من الوقت ، فيضطر الى ان يتوجه لطبيب آخر .. بل كثيرا ما يحدث ان الطبيب المعالج نفسه يشير على مريضه بالتوجه الى طبيب بالذات .. وادا كان الهدف الاسمى من الاعتراف هو مصلحة المعترف الروحية ، فيمكنه ان يغير اب اعترافه ، بل يحدث ان بعض الاءاء يشيرون على بعض ابنائهم ممن لهم مشاكل خاصة من نوع معين بالانتقال الى آباء آخرين ، لعل هؤلاء بنعمة خاصة يمكنهم قيادة هذه النفوس الى الله واراحتهم من مشكلاتهم ...

على انه فى حالة الرغبة فى الانتقال من اب اعتراف الى آخر ، ان يستأنز المعترف من ابيه الروحى بأن يفعل ذلك . وهذا من قبيل التادب واللياقة والذوق ...

لكن قد يترتب على طلب الاذن مشكلة اخرى ، يتعرض لها المعترف بسبب الخجل من ابيه الروحى الذى تعب معه واحتمله فى كل ضعفاته ... كيف يواجه بهذا الطلب ؟

ان طلب الاذن امر يتمشى مع الذوق وروح البنوة فى الكنيسة ، لكنه لا يدخل فى نطاق الحل الكهنوتى ... فاذا كان المعترف من النوع الخجول جدا ، واذا كان هذا الامر سيسبب له اشكالات فى حياته الروحية ، فلا مانع من تغيير اب الاعتراف دون مفاتحة الاب الروحى بذلك .. ويمكن فى هذه الحالة الاستعاضة عن اللقاء الشخصى برسالة مكتوبة رقيقة ، يوضح فيها ظروفه ويطلب السماح والصلاة لاجله .

وثمة تساؤل يبرز فى حالة تغيير اب الاعتراف .. هل فى هذه الحالة يلزم الاعتراف بكل الاعترافات السابقة التى اعترف بها المعترف امام ابيه السابق ؟

لقد نال المعترف حلا كاملا عن كل خطية اعترف بها امام ابيه الروحى السابق ... لقد غفرت له جميع الخطايا التى اعترف بها نادما ، فلا حاجة ان يعترف بها او ببعضها ثانيا الا فى حالة واحدة .. حينما يكون لبعض هذه الخطايا الماضية علاقة بخطاياها الحالية ... او يكون من قبيل اعطاء ابيه الروحى الجديد صورة كاملة عن حياته يلم بها ويتمكن من علاجه على اساس سليم ..

٤ - الخطية التي نسيها أو التي جدت :

ماذا يحدث لو سهى عليك أن تعترف بخطية معينة لأب اعترافك ثم تنكرتها بعد ذلك أو لو فعلت خطية بعد اعترافك وقبل تناول ؟

لا تتشكك ، فإما أن تعترف بها قبل تناول لأحد الآباء الكهنة الموجودين بالكنيسة حتى لو لم يكن أب اعترافك ، وإما أنك تتناول بعد أن يصلى لك الكاهن صلاة التحليل وعندما تقابل أب اعترافك تذكر له ذلك .

وعلى أى حال ، فإن هذا الأمر يكون حسب توجيه أب اعترافك . لكن يريد أن نلفت النظر إلى أن الأمر يتوقف على نظرتك وتقديرك لهذه الخطية التي استجبت ، أثبتة هي أم خفيفة . وعلى العموم يحسن - عند الشك - التوقف عن تناول إلى أن تتقابل مع أب اعترافك .

٥ - المرشد الروحي :

يمكن للإنسان أن يتخذ مرشدا روحيا أو أكثر غير أب الاعتراف ، ويمكن أن يكون هذا المرشد من العلمانيين . وعمل المرشد الروحي في هذه الحالة هو تناول المواضيع الروحية العامة كالصلاة ومحارباتها والكبرياء والانزعاج والادانة .. دون الدخول مع الإنسان الذي يتحدث إليه في خطاياها الشخصية ، وفي يفتق حياته الروحية الخاصة ، وبالجملات الأسياء التي لا يجوز كشفها إلا لآباء الاعتراف . لأن المرشد في هذه الحالة هو بمثابة معلم وليس أب اعتراف : أولا : لأنه لا يعطى حلا ، ثانيا : لأن المرشد به ليس مطالبا بأن يذكر له كل شيء ، وإنما هو يسأله عن نقطة معينة أو أكثر وأحيانا يسأله عن معالجة خطية ما دون أن يذكر له أنه وقع فيها .

٦ - مغفرة الخطية :

هل بعد أن يتم الإنسان كل عناصر الاعتراف تغفر خطاياها حقا ، حتى ولو كانت شنيعة ؟

وطبعا الإجابة واضحة من كلامنا السابق كله ، ومواعيد الله واتسوال قدسيه . قال يوحنا الرسول « ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم » (١ يو ١ : ٩) . قال القديس يوحنا ذهبى الفم « أخطئت ؟ فادخل الكنيسة وامح خطيتك .. كلما خطئت تب عن لخطية ولا تياأس من ذاك . وان خطئت ثانية ، فتب ثانية أيضا ، ولا تسقطن من الرحاء بالخيرات الموعود بها سقوطا كاملا بسبب افعال .. وان كنت غاية الشيب وخطئت ، فادخل واندم ، لأن هذا المكان (الكنيسة) هو مستشفى وليس محكمة ، وهو لا يطلب مجازاة عن الخطايا » .

٧ — تؤكد ثانية أنه لا يصلح الاعتراف الكامل أثناء القداس ، وإنما يجب أن يكون في أوقات خلصة ، حتى يكون لدى المترف الوقت الكافي للاعتراف .

٨ — أما عن المدة بين كل اعترافين ، فهذه تتحدد بالاتفاق بين أب الاعتراف والمترف تبعا لحالة المترف الروحية واحتياجاته وظروفه . وطبعاً يستحسن ألا تطول هذه المدة .

٩ — المترفون والاعتراف :

كيف يمارس المترفون سر الاعتراف في بلاد تخلو من الكنائس الارثوذكسية ومن الكهنة الارثوذكس ؟

لاشك ان الاعتراف يكون شفوياً امام الكاهن وكيل الله . فالاعتراف في كثير من الاحيان يحتاج الى المناقشة والاستيضاح حتى ما يعطى الاب الكاهن الحل والعلاج المناسب .. ولكن في حالة المترفين في الخارج في بلاد ليس بها كنائس ارثوذكسية ولا كهنة ارثوذكس ، فعلى هؤلاء المترفين ان يسلكوا في تدابير محاسبة النفس .. ويلزمهم ان يكونوا على صلة باباء اعترافهم .. ولا بأس من ارسال اعترافاتهم في رسائل . فان هذا نافع لهم ، وذلك لحين التقائهم بأحد الآباء الكهنة فيصلى عليهم صلاة التطيل لينالوا المغفرة من خطاياهم ..



مُرشد لمَحَاسِنِ النَّفْسِ قَبْلَ الْإِعْتِرَافِ

الإعتراف الكامل الصحيح هو الذى تكشف فيه نفسك كشفا تاما امام
اب اعترافك وتشعر يقينا انه لا يوجد شيء تعرفه عن نفسك وقد أخفيته
عنه . ولذلك يلزمك ان تحاسب نفسك محاسبة دقيقة صريحة قبل الاعتراف .
وهذه امامك بضعة أسئلة تساعدك على معرفة نفسك ومحاسبتها وتبهدك
للاعتراف . وهى مقسمة على موضوعات : بعضها يختص بالعبادة ، والبعض
بمعاملة الناس ، والبعض بقواعد الخطايا .

أ- من جهة العبادة

الصلاة :

١ — هل انت مهمل لصلواتك أم مواظب عليها ؟ أم نهملها أحيانا ؟
ولماذا ؟ وهل هذا الإهمال ثابت ؟ وهل فكرت فى حل له ؟ وماذا كانت
النتيجة ؟

٢ — متى تصلى ؟ هل تصلى عند الاستيقاظ ؟ وقبل النوم ؟ وقبل
وبعد الأكل ؟ وقبل الخروج من البيت ؟ وقبل كل عمل تعمله ، وعند كل ضيقة ؟
وهل تصلى فى الطريق ؟ وهل تصلى أثناء وجودك مع الناس ؟

٣ — هل لك صلوات خاصة طويلة تقف فيها مدة فى حديث خاص مع
الله ؟ وهل انت مواظب على هذا ؟ وهل صلواتك هذه فى نمو أم فى نقص ؟

٤ — هل تصلى بالمزامير ؟ هل تصلى كل صلوات الاجبية أم بعضها ؟
ب لذي تصليه منها ؟ ان كنت لا تصلى بالمزامير فلماذا ؟

٥ — هل تحفظ مزامير وقطعا من الاجبية ؟ هل هذا الحفظ فى نمو أم
هو فى نقص بالنسيان ؟ وهل تستخدم هذه المزامير والقطع التى تحفظها ؟

٦ — هل صلاتك بحرارة قلب ؟ هل فيها دموع أحيانا ؟ هل فيها شعور
بالوجود فى حضرة الله ؟ أم هى صلوات مائتة . أم أحيانا حارة وأحيانا
فائتة ؟ ولماذا ؟

٧ — هل بشرد عقلك أثناء الصلاة ؟ فى أى نوع من الصلوات بشرد
ومى أى الموضوعات ؟ وهل هذا يسمر طويلا ؟ ما الذى تفعله لمعالجة
هذا الأمر ؟

٨ — ما هو وضع جسمك أثناء الصلاة ؟ هل تقف وتبسط يديك الى فوق ؟ هل تركع ؟ هل تسجد ؟ أم لك وضع آخر ؟ هل تقف باحترام أمام الله ؟ أم ترخي قدميك ؟ أم تسند جسمك الى الحائط ؟ أم تحرك يديك ؟ أم يزوغ بصرك في أشياء ؟

٩ — هل هناك موضوعات معينة تشغلك أثناء الصلاة ؟ هل تصلى من أجل خطاياك ومن أجل حياتك الروحية ؟ وهل تصلى من أجل الآخرين ؟ هل تصلى من أجل مضايقتك ؟ هل لك طلبات مادية ؟

١٠ — هل تعطى الله وقتا صالحا وانت في ملء نشاطك ؟ أم تصلى في أوقات تعبك الجسماني والعقلي وتعطى الله فضلا ووقتك ؟

الصوم :

١ — هل تصوم كل أصوام الكنيسة أم بعضها ؟ ما الذى توابط على صومه ؟ هل تصوم الاربعاء والجمعة من كل اسبوع ؟ هل تقف عقبات في وجه صومك ؟ ما هي ؟

٢ — هل لك في صيامك فترة انقطاع ؟ ما هو مقدارها ؟

٣ — هل تشتهي اطعمة معينة ؟ وهل تشبع شهوتك منها ؟ هل تطلب ان تعد لك اصناف خاصة ؟

٤ — هل تنفق كثيرا على الطعام بوجه عام ، وعلى كبالياته بوجه خاص ؟

٥ — هل تأكل بين الوجبات ؟

العطاء :

١ — هل أنت أمين في تقديم عشورك لله ؟

٢ — هل تكتفى بتقديم عشورك ، أم تقدم بسخاء حسبما تنال يدك ؟

٣ — ما هو شعورك وانت تعطى ؟ هل هو شعور الزهو ، أم شعور المحبة نحو من دعاهم المسيح اخوته ؟

٤ — هل تضجر أحيانا ممن يسألونك صدقة ، أم تعطى بفرح ؟

التناول والاعتراف :

١ — هل أنت مواظب على تناول ؟ ما هي آخر مرة تناولت فيها ؟

٢ — هل أنت مواظب على الاعتراف ؟ ما هي آخر مرة اعترفت فيها ؟

٣ — ان كان هناك تقصير فما هو سببه .

٤ — هل تشعر أن في نفسك شيئا تحاول أن تخفيه عن اعترافك ؟

٥ — هل تستعد وتحاسب نفسك جيدا قبل الاعتراف ؟

٦ — هل هناك أشياء مكررة في اعترافك تشعر انها خطايا ثابتة ؟ وماذا فعلت من أجل تركها ؟

القراءة :

- ١ — هل أنت مواظب على قراءة الكتاب المقدس ؟ وهل تراءاتك بنظام
كيفما انفق ؟
- ٢ — هل لك تملات في القراءة سواء مكتوبة أم مكرية ؟
- ٣ — هل لك دراسات في الكتاب ؟ هل تقرا كتباً في التفسير ؟
- ٤ — هل تقرا كتباً دينية أخرى ؟ في أى نوع تقرا .. (الروحيات —
القديسين — العقائد .. الخ) وهل أنت مواظب على قراءتها ؟
- ٥ — هل لك قراءات عالمية ؟ هل تقرا ما يعثر أحياناً ؟
- ٦ — ما هو متوسط الوقت الذى تعطيه للقراءة الدينية كل يوم أو كل
اسبوع ؟
- ٧ — هل تأخذ من قراءتك مادة لإصلاح حياتك أو لتدريبات روحية ؟

المطابيات :

- هل لك مطابيات ؟ وعددها ؟ هل أنت مواظب عليها ؟ هل هي ممتعة
صلوات قصيرة ؟

الذهاب إلى الكنيسة :

- ١ — هل أنت مواظب على الذهاب إلى الكنيسة وحضور القداسات ؟
إن كان هناك مانع فما هو ؟
- ٢ — هل تحضر القداسات صائم أم وأنت معطر ؟
- ٣ — هل تحضر مبكراً أم متأخراً ؟ وهل تحضر الصلاة كلها ؟
- ٤ — هل تحضر اجتماعات أخرى غير القداسات : عشية ...
عظات .. اجتماعات شبان .. مدارس أحد .. الخ ، وهل أنت مواظب عليها ؟
- ٥ — هل لك خدمة في الكنيسة ؟ ما هي ؟ هل أنت أمين فيها ؟ هل
فيها مشاكل خاصة تتعبك ؟

التدريبات الروحية :

- ١ — هل لك تدريبات روحية ؟ ما هي ؟ هل أنت ناجح فيها ؟ إن
كنت فاشلاً فيها فما هو السبب ؟
- ٢ — هل هناك فضائل تحب أن تدرب نفسك عليها ؟

ب - علاقاتك مع الناس

١ - هل علاقاتك حسنة بالناس ، الكبار والصغار ، سواء مع افراد الاسرة أو زملاء العمل ، أو باقي الناس ؟ أم هل حدث بينك وبين أحد شيء ؟ أن كان فما هو ؟

٢ - هل غضبت على أحد ؟ على من ؟ ولأي سبب ؟

٣ - متى كل مرة غضبت فيها : ماذا كانت حالتك اثناء غضبك ؟ هل كان غضبا مكبوتا في الداخل أم ظاهرا ؟ اكان مجرد حدة في الصوت ؟ أم كان صياحا ؟ أم كلاما جارحا ؟ أم شتيمة ؟ أم عراكا ؟ أم ماذا ؟

٤ - هل صرعت غضبك بسرعة ؟ أم بقي معك مدة ؟ ما هي ؟ هل اتعبتك افكارك بسببه ؟ هل ترك في قلبك شيئا من جهه انسان ؟ هل تحول الى خصام مدة من الزمن ؟ هل بقي في القلب كغيظ أو حقد أو كراهية أو عداوة ؟

٥ - ان كنت قد تخاصمت مع أحد ، فهل نصالحت معه أم لا ؟ وهل جاء الصلح منك أم من الطرف الآخر أم حدث بتدخل وسطاء ؟ وكم كانت مدة الخصام ؟ وهل زال كل شيء ؟

٦ - هل هناك أحد يغضبك أو يسيء اليك ؟ ما هو موقفك منه ظاهرا وباطنا ؟

٧ - ما هو مقدار فضيلة الاحتمال عندك ؟ ومضيلة طول الاناة ؟ وفضيلة الصلح ؟ وفضيلة محبة الاعداء ؟ .

٨ - هل أنت الذي تسيء احسانا الى الناس ولو عن طريق المزاح أو الجهل أو النسيان ؟ وما الذي فعلته من أجل معالجة الامر هل اصلحت اسلوبك ؟ هل اعتفرت ؟

٩ - هل تسيء الى الناس أحيانا بحجة الدفاع عن الحق ؟ ما نوع الاسساءة ؟

١٠ - أية عفتات تقف أمام مضيلة الوداعة في تصرفاتك ؟

١١ - هل أنت مقصر أو قصرت في حق أحد ؟ هل تؤدي واجباتك كاملة تجاه جميع الناس ؟ سواء في الاسرة أو العمل أو الكنيسة أو في علاقاتك الاجتماعية المختلفة ؟

١٢ - هل لك صحة شريفة مع أحد ؟ مع من ؟ وما هي الخطايا التي تقع فيها نتيجة هذه الصحة ؟ هل لك اصدقاء بعد سببهم عن الكنيسة ومحبة الله ؟

١٣ — هل علاقتك المالية بالناس حسنة ؟ هل ظلمت أحدا ؟ هل غششت أحدا ؟ هل تلاعت بحق انسان أو أظلمته ؟

١٤ — هل تؤدي واجباتك المالية نحو الله ؟ ما هو مركز فضيلة الصدقة منك ؟ ما هو نصرك من جهة العشور والبكور والمساهمة في احتياجات خيرية ؟

— هل أنت متواضع مع الناس أم تعامل أحدا بكبرياء ؟

— هل في طبعك شيء من السوء أو العنف أو الشدة ؟ أم تتصرف بحكمة ؟ هل لديك من نفسك ليونة وضعف أو تراخ ؟ وما الاخطاء التي تقع فيها نتيجة لذلك ؟

— هل أنت مديح الناس لك ؟ هل تسعى الى ذلك ؟ كيف ؟ وما هي الوسائل التي تستخدمها ؟ هل تملك أو تملك أو تستعيرك أو لم يملكك شيء ؟

— هل تحاول احياء أو تضرر من الناس بغير حقيقك ؟

١٥ — هل تعثر أحدا بتصرفاتك أيا كانت ؟

— هل أنت راض عن حل اراحهم ؟ ما مركز هذه في حياتك ؟

٢ — بعض وجب الخطايا

خطايا اللسان :

— هل أنت خدع الناس انني تقع فيها ؟ هل وقعت في الكذب —
— هل أنت أحرص على الحذب — اتسم — الشتمة — التهكم —
— مناقشات الغيبة .. الخ ، أو أي كلام غير لائق ؟

— هل أنت خدع الناس من أخطأت ؟ وما هو عدد مرات الخطية .. سب أخطأت ؟ وهل الامر أصبح عادة ؟

٦ — هل فكرت في مقاومة هذه الخطايا ؟ كيف ؟ وما هي النتيجة ؟

— هل أنت متواضع في كل موضوع حتى لا يفهم
أهل تشبهك أنك متواضع في كل شيء — بدون فائدة — وقتا كان يمكن
— أن تكون متواضعا ؟

٥ - هل تعنى أحياناً أثنائى مابية ؟ أو نستعمل أساليب كلام لا يوافق أبناء الله ؟

٦ - من صرعب فى الكلام ميبها حصا ؟ هل صوتك عال ؟ أو حاد ؟ من تصحب بلك بشرات ؟ وهل بسنم بتؤدة أم بانفعا ، هل تفكر قبل ؟ هل سمع فى إخطاء فى نقاشك (انظر آداب الحديث والمناقشة فى موسوع خطايا) .

٧ - من يدخل ميبا لا يعيب . هل تحشر نفسك فى حديث أشخاص سم يسمو رأيب ، هل بحث باستمرار أن نعلم ونوضح ~~ويعبر عنك~~ ، حتى من هو أكبر منك . أو من هو غريب عنك ، أو من قد يستاء من نصحت وتعلمك له ؟

٨ - هل دريت نفسك على الصمت ؟ ما هى نتائج هذا التدريب ؟

خطايا الفكر :

١ - ما هى الخطايا التى تقع فيها بفكرك ؟ أهى زنا ، أو أية شهوة أخرى ، أو أفكار غصب أو حقد ، أو انتقام ، أو ادانة للآخرين ، أو سوء ظن ، أو كبرياء ، أو حسد ، أو احلام يقظه ، أو تجديف . . أو شك ؟

٢ - هل يستمر معك الفكر طويلا أم بعصر بسرعة ؟ وما مدى استمراره عنذك ؟

٣ - هل مديك أسر من احارج وتكون متضاقا معه ونحاول ان نطرده ؟ أم أنك ترحب بالفكر ، وتلذذ به ، وتكره ، وتننى عليه أفكارا أخرى كثيرة ؟

٤ - هل يتحول الفكر أحيانا الى شهوة ويعريك على الخطية بالفعل ؟ وهل فى كل مرة تحطىء ميبها بفسكر تحطىء بالفعل ؟

٥ - هل تشغلك أيضا أفكار مخصوص اهتمامات العالم الكثيرة ومشاكله وأحزانه ؟

خطايا الحس :

ما هى الخطايا التى تقع فيها محواسك وخاصة من طريق النظر أو السمع أو اللمس ، هل تقع فى الربا بالحس ؟ هل تشتتهى ما لغيرك ؟ هل تتجسس على غيرك ؟ هل تشبع أدك من الكلام البذىء ، والفككات القبيحة ؟

خطايا القلب :

١ - ما الذى يوجد فى قلبك من شهوات ورغبات ومشاعر ؟ ترضى الله ؟ هل فى قلبك حسد - عيرة - كراهية - شهوة غنى - شهوة مراكز -

حب سيطرة — تعظم معيشته — محبة نعمته وأحاده الرائلة — شهوة
احساد — شهوة انتقام ؟

٢ — هل يوجد في قلبك حقد — قنبر — عيط — ألم — يأس — حزن ؟
٣ — هل هذه المشاعر والشهوات تظهر في حياتك العملية ؟ وهل
سبب لك أمكرا ؟ وهل تظهر في أحلامك ؟

خطايا الفصل :

١ — ما هي الخطايا التي وقعت بها بالفعل ؟ من أي سوء خالمت
وصايا الله ؟ من وقعت في رب — سرقة — من — شجار — سكر — إهمال —
عصيان — عادات رديئة ... الخ ؟

٢ — ما هو عدد مرات تكرارك للخطية . — وإلى من
خطأت ؟

٣ — ما هي الأضرار التي تسبب عن خطيتك ؟ وما هو برئ منه
م عولجت ؟

٤ — هل هناك أسباب ثابتة تقودك إلى الخطيئة ؟ ما هي ؟ أم كلها
متغيرة ؟ أم هو تعود ، وما الذي جعله يلاقي هذه الأسباب كلها ؟
٥ — هل حذرت من سبب ويرث هذه الخطايا ؟ ما مدى نجاحك أو
فشلك في عمل التوبة ؟

ملاحظة :

الأسئلة التي تكرر قد يبدئين في حينهم الروحية
من حساب أنفسهم حينئذ من مهم مفسرا عن حالتهم
داخلية بقدر الامكان .

أما الأشخاص المتقدمون في حياتهم الروحية فحينئذ واجب آخر في هذا
الامر ، وهو أن يحاسبوا أنفسهم من الناحية الإيجابية ، حسب تلك المضائل
المسيحية التي قصرُوا في التحلي بها .

ومن جميع مطالبون بحياة الكمال والمقداسة ، وغيبوا عن سعة
وعصيلة كقول الرسل : انبوا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع
المسيح » (٢ بط ٣ : ١٨) .

اذن فعلى الأشخاص الناهمين روحيا ان يحاسبوا أنفسهم من الناحيتين
السلبية والإيجابية ليكون ذلك حافزا لهم على استمرار النمو في الحياة
المقدمة مع الرب .

*

صلوات

صلاة قبل الاعتراف :

أيها الرب القدوس الذى يحب رجوع الخطاة ، وقد وعدت انك مستعد لقبولهم ، وأن من يقتل الجسد لا يخرج منه خارجا . انظر يا رب الآن الى نفس خاطئة قد عانت راحة الهك ، بعد أن ضللت وعلقت في أودية العصيان زمانا طويلا . فيه ضررت وشعرت بشقاوتها لبعدها عن ينبوع خلاصك . والآن تتردد اليك ، عالمة انك كل راحتها وخلصها . تطلب منك أن تطهرها من الأدناس والاقذار التى نوحلت فيها . اقبلها ولا ترفضها فأنك ان سرت اليها بحنوك وعاملتها برحمتك . تنقت وخلصت وشفيت من أمراضها . ولما أهملتها جئت وبادت وهلك . امنحني يا رب نعمة بها اتقوى على الدنو منك يا مخلص وطيد ورجاء تام . وهب لذاكرتي أن تمثل أمام عيني كل آثامى التى اقترفت وأهنت بها صلاحك ، لا اعترف بذنوبى واكره العودة اليها . اعطني أن أبعد وأبغض الخطية وأسبابها . واقطع عنى كل الأسباب التى تقودنى اليها . وليبكتنى روحك على آثامى . اترك قلبى وارل الحجاب المعنى عنى . لا لأرى كم أخطأت وأسأت وتركت وأهملت . وامنحني عزة وخبرتي . لا أرجو الى الاثم لأثبت فى حفظ وصاياك . وأعد لمجد سمك معترس كل أيام غربتى فى هذا العالم . ولك كل مجد من الآن الى الأبد آمين .

صلاة بعد الاعتراف :

اشكر صلاحك أيها الرب محب البشر لأنك لم تشأ هزلى ، بل تبغى ونبهتنى من عملى وهديتنى الى طريقك . ورددتنى من وادى الهلاك الذى كنت تائها فيه . سى حمى حصنك الامين . فاملأتى بالرجاء والامس . وشبر قلبى من الشر . اقبلت اليك يا رب كالمريض الى الطبيب الشافى . وكالمسكين الجائع الى العشاء المشبع . وكالعطشان الطامس الى ينبوع المياه الحية . وكالمعقر الى مصدر الغنى . وكالخطيء الى المخلص . وكالمسوخس للحرب الى المسلى المعزى الامين . وكالمائت الى ينبوع الحياة . لأنك خلاصى . وطبيبى . وحياتى . وقوتى . ورجائى . وتعزيتى . وسلوى . ومحدثى . وسعادتى . وفيك كل راحى . أعنى واحفظنى ومسح حوى . ونمى ان اضع بين يديك كل ارادى . لاسير حسب مشيئتك . أعز صمعى كي أشت وأدوم امينا لك الى النهاية . ولك كل مجد من الآن الى الأبد آمين .

التناول

« من يأكل جسدي ويشرب دمي ،
يثبت فيّ وأنا فيه » (يوحنا ٦ : ٥٦)

- + يا لشرف وفاعلية هذا السر !
- + كيف نستفيد من هذا السر المقدس ؟
- + ماهية التناول ؟
- + معلومات عامة عن التناول
- + صلوات قبل وبعد التناول

بالشرف وفاعلية هذا السر !

[illegible]

ان كانت اعمال الله مملوءة عظمه وبهاء ، لكن سر الاحبار سنيا (التناول المقدس) هو انها حتميا . وان كان الله منحنا اسلحه روحيه يحارب بها ويملك . بيت الله رسول في ١٦-١١ . لكن هذا السر يعتبر ولا شك ، اكثر تلك الاسلحه الروحيه عوه ومضاء . ولا عجب في ذلك انه بعد ان يفتح الحبيب بكنز الله في بيته ، ان الله ابوحيد ذاته هذا . ان الله كله ، وسبحو شمسكم وسبحو سوره السور وعلم الهويه . ان الله من الله . ان الله السور ، تحفظون لاداءه ومن . ان الله من الله . ان الله من الله .

بالتناول بمعنى للانصرار على أسباب الخطية وأخصها السهو الداخلي
وهجمات الشياطين ، ومعربات العالم وعثراته ، ولهذا دعت الكنيسة
« حبر الإقوياء » . ولا تحب في ذلك من يتناول ذلك الذي قبل عنه ، أن
قوة كانت يخرج منه وتشفى لجميع ١٥ نو ١٩ .

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم : فلتقرب منه يايمان نحن المرضى .
فان الذين كانوا يلمسون طرف ثوبه كانوا ينالون موته هكذا عظيمة ، فكم
بالأحرى ينال منه الذين يحصلون عليه كله ويتناولونه ؟ . سيمر ٥ مى احيلا

متى) . ويقول أيضا « لنعد من هذه المائدة كأسود تضطرم فينا » .
وترتعب منا الشياطين » (مزمور ٦٤ في يوحنا) . ويقول القديس أغريغوريوس :
« اتخذ الرب يسوع ضيفا لروحك ، لأنه حيث المسيح مهبط
رأى العدو هذا الضيف يفلق في وجهه أبواب تجاربه ، حينئذ
ونقضى ليلاك ناعم البال » (عظة ٨ على المزمور ١١٨ : ٤٨) .

**ان اسلحة محاربتنا الروحية تستمد قوتها من النعمة الإلهية التي لنا
بدم المسيح ، لكن هذا السر هو دم المسيح نفسه وجسده نفسه !**
وحيثما نستخدم الاسلحة الروحية الأخرى نحارب أعداءنا بقوة المسيح .
لكن في هذا السر يقهر المسيح بنفسه أعداءنا بنا ، لأنه سبق وقال « من
ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وانا فيه » (يو ٦ : ٥٦) . وقال معنا
مولس الرسول « فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في » (عل ٢ : ٢٠) . ولذا
عندما نقهر مقاومينا ونغلب أعداءنا ، فإن دم المسيح هو الذي يغلب كما هو
مكتوب في سفر الرؤيا « وهم غلبوه (إبليس) بدم الخروف ، المسيح
(رؤ ١٣ : ١١) ، أو كما قال داود النبي مقتنعا في زموره الحليد الذي
مطلعه : الرب راعي فلا يعوزني شيء » هيات قدامى مائده تجاه مضايقي
مز ٢٣ : ٥) . ان هذه هي المائدة المقدسة التي رتب الرب لتقوى به
ضد أعدائنا الروحانيين .

ان التناول من جسد الرب ودمه هو قوت للحياه وغذاء للروح .
اطعام الذي أعده الرب لحائفيه ، كما قال الآباء القديسون في تفسيرهم
(مز ١١١ : ٤ ، ٥) « صنع ذكر لعائنه . جبان وجده هو الرب . أعطاني
حائفيه طعاما . يذكر الى الأبد عهده » . ومن ثم عهد عهد سددس
أوغسطينوس قائلا « يا لسر الاحسان . يا سمه الوجود . يا وني بدمه
من أراد ان يحيا بك ويفوز بالحياه ، فليقترب ويتناول هذا الخسد فحيا .
مقالة ٢٦ في يوحنا) . وكما ان المن قامت بني اسرائيل المسافرون في السر .
حتى دخلوا ارض الموعد (اورشليم الأرضية) ، هكذا الامحارس يجب ان
تقيت انفسنا وتحفظها في هذه الحياه الى ان نصل اورشليم السمائية .

**ان وعود السيد المسيح التي تركها لنا وهو يؤسس هذا السر ويسلمه
لتلاميذه الإظهار ، تدعو الى وقفات طويلة ، والى مزيد من التأمل :**

« من ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وانا فيه . . . الثبات في المسيح :
كف يحدث ، وبه هو كنهه ؟ نحن لا نعرف . ولا أحد يعرف . بل
ما نعرفه هو شيء عن بركات هذا الثبات ومساكنه . قال السيد . « الحق .
« الذي يثبت في وانا فيه هذا يأتي بثمر كثير . . . وان كان احد لا يثبت في
بطرح خارجا كالفصن فيجف وجميعه وبطرحه في النار محترق . ان ثمة
في . . . تطلبون ما تريدون فيكون لكم » (يو ١٥ : ٥-٧) . هكذا انفسنا

يُثَبِّتُ الْإِيمَانَ فِي الْمَسِيحِ ، وَالْمَسِيحُ يَثْبُتُ فِيهِ ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ مَعَ بُولَسَ
الرَّسُولِ « حَيَاتِكُمْ مُسْتَقَرَّةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللَّهِ » (كُورَ ٢ : ١٣) .
فَمَا أَعْظَمَ جُودَكَ يَا إِلَهَنَا وَحُبِّيْنَا الَّذِي أَعَدَدْتَهُ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَنَةِ !

حِينَمَا حَلَلْتَ بِمَجْدِكَ عَلَى جَبَلِ سِيْنَاءٍ قَدِيمًا ، كَمَا الْحَلَلُ مَصْفُورُهُ ، مَلَأَ
يَدُوحًا ، وَكَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا « أَنْ مَسَّتِ الْجَبَلَ بِهَيْمَةَ تَرْجَمَ أَوْ تَرْمِي سَهْمًا . وَكَانَ
الْمَنْظَرُ هَكَذَا مُخِيفًا حَتَّى قَالَ مُوسَى أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ » (خُر ١٩ ، عَد ١٢)
١٨ - ٢١) . فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ كَانُوا لَا يَجْصِرُونَ عَلَى أَنْ يَمْسُوا الْجَبَلَ الَّذِي
حَلَلْتَ بِمَجْدِكَ عَلَيْهِ ، وَفِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ يَحْمِلُكَ الْكَاهِنُ عَلَى يَدَيْهِ ، لِمَا حَمَلْتِكَ
الْعَنِيفَةُ مَرْيَمُ عَلَى ذُرَاعَيْهَا ، بَلْ نَحْنُ حَيِّمَا نَأْكُلُ لَشْتِ مِنْكَ وَنَحْبُكُ ...
مَكْتُوبٌ عَنْكَ أَنْكَ « فَارْأَاكَ » (عِب ١٢ : ٢٩) ، فَكَيْفَ اسْتَحَالَ هَذِهِ
النَّارُ الَّتِي تَأْكُلُ الْإِشْرَارَ ، إِلَى نَارٍ تُطَهِّرُنَا مِنْ خَطَايَانَا ، وَتَحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ
أَبْلَيسَ دَاخِلَنَا ، وَتُضَرِّمُ قُلُوبَنَا حُبًّا لَكَ وَشَوْقًا إِلَيْكَ !

وَتَجَاوِزُ بِرُكَاثَتِ هَذَا السَّرِّ الْقُدُّوسِ حَيَاتِنَا الْحَاضِرَةَ إِلَى حَيَاتِنَا الْآخِرَةِ .
قَالَ رَبُّ الْمَجْدِ « أَنْ أَكُلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ » (يُو ٦ : ٢٧) .
أَعْطَى هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذَلَهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ . مِنْ يَأْكُلُ مِنْ جَسَدِي
وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ . يُو ٦ : ٥٠ .
قَالَ الْقُدُّوسُ إِبْرِيْنَاوَسُ « كَيْفَ يَقُولُونَ أَنْ ذَلِكَ لِحَسَدِ الَّذِي اعْتَدَى . مَرْبُ
وَدَمِهِ ، أَنَّهُمَا يَصِيرُ إِلَى الْفُسَادِ وَلَا يَبْقَى الْحَيَاةُ !؟ أَفَنُؤْمِنُ بِمَعْنَى رَجُلٍ
أَوْ غَلِيكُنَا عَنْ الذَّبِيحَةِ » (ك ٤) وَ ١٨ ضِدَّ الْفَرُوسِيِّينَ . يُو ٦ : ٥١ .
كَيْلَسَ الْكَبِيرُ (أَعْمُودُ الدِّينِ) « أَعْطَانَا حَسَدَهُ الْحَقِيقِيَّ وَدَمَهُ » (يُو ٦ : ٥٢) .
قُوَّةُ الْفَسَادِ ، وَيَسْكُنُ فِي أَنْفُسِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ ، وَبِصَلَاتِنَا . يُو ٦ : ٥٣ .
وَأَمَّا رُوحِيْنِ أَعْلَى مِنَ السَّمَاءِيِّينَ ، عَلَى مَسِيحِي ٢٦ ، يُو ٦ : ٥٤ .
« وَلَوْ كَانَ الْمَوْتُ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَيْنَا سَبَبَ الْخَلْقِ قَدْ أَحْدَثَ فِي
الْبَشَرِ لَظُرُورَةَ الْفَسَادِ ، فَهِيَ ذَلِكَ لِمَا أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ مَعَنَا بِحَسَدِهِ ،
سَنَقُومُ بِالنِّهَايَةِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَغَيْرُ مُمَكِّنٍ أَنْ الْحَيَاةُ لَا تُحْدِثُ شَيْئًا مِنْهُمْ »
(فِي يُو ٦ : ٥٥) .

أَنْكَ بَتَنَاوَلُكَ مِنَ السَّرِّ الْإِقْدَاسِ تَقْبَلُ الْمَسِيحَ فِي قَلْبِكَ وَفِي دَاخِلِكَ .
وَمَا دَخَلَ الْمَسِيحُ مَكَانًا إِلَّا بِأَرَاكَ وَقُدْسَهُ وَطَهْرَهُ : دَخَلَ حَتَّى مَرْيَمُ مَحْفَلَهَا
بِلُكَا السَّمَاوِيِّينَ وَالْأَرْضِيِّينَ . دَخَلَ بَيْتَ رُفْرَبٍ فَأَمْلَأَ بُيُوتَهُمْ بِرُوحِهِ . يُو ٦ : ٥٦ .
بَعْدَ فَيْ بَصِ الْبَصَائِطِ . دَخَلَ مَرْوَدُ بَيْتِ نَحْمٍ مَصْرُهُ هَسَلًا رُفْرَبًا . يُو ٦ : ٥٧ .
وَابْشَرَ . دَخَلَ مَصْرَ فَأَهْبِطَ أَصْدَانَهُ . دَخَلَ لَارِسَ عَمْدَسَ . يُو ٦ : ٥٨ .
بَيْتَ نَهْمِيذَه بِطَرَسٍ فَأَبْرَأَ حَمَاتِهِ . وَبَيْتَ يَا يَرُوسَ فَمَقَامَ أَسْتَهَ مِنْ يُو ٦ : ٥٩ .
بَيْتَ زَكَا فَبَرَّرَهُ ، وَبَيْتَ مَرْيَمَ وَمَرْثَا فَصَارَتَا قُدِّيسَتَيْنِ . .

وَإِذَا كَانَ النَّاسُ قَدْ تَمَكَّنُوا مِنْ حِفْظِ الْمَوَاكِلِ وَالْحَضَرِ فِي مَوَاقِفِ طَوْلِهِ
بَعْدَ فُسَادِهِ ، أَمَّا لِحِفْظِ جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ الْإِقْدَاسِيِّ حَسَبَ مَرْيَمِ

كيف نستفيد من هذا السر ؟

١ - نصلا لطرف من البركات التي مستأهل لها ، ونسأل الله
 أن يعطينا - أبدا - لا نشعر بتلك البركة إلهية -
 - سدة الرائية ؟

٢ - نحارب على ذلك ، لأننا لا نستعد الاستعداد -
 - ولا نصرف الوقت أو ندخل الجهد في هذا الاستعداد -
 - منذ بعث نوح مدة مائة عام في بناء الفلك الذي حص
 - من سبع سنين في عيها هكذا للرب و
 - وقرب الف حسبه سلامة - ونحن : كم -
 - مداد لنوال هذه النعمة العظيمة !!

٣ - وما نحن نعرض هنا لبعض الممارسات الروحية التي -
 - في التسع بركات الشاول المقدس - ونحن في -
 - يوم السباق للساور حتى - نسي - نوب -
 - حسب حساب النفس والاعتراف التي تحدثنا عنها قبل -

أولا - حررك عواطفك واعد ذاكرتك

ننت الآن في غروب اليوم السباق للساور - احسن مع نص
 - حتى تحررت في تلك العواطف و -
 - سح ربنا - الذي يقدم لك ذاته في هذا السر -
 - ست ذاكرتك جيدا ، كلما شعرت بتعزيات -

١ - لقد سأل التلاميذ السيد المسيح « أين ذ -
 - الرب اثنين منهم إلى « عطفة كفرة » فلهذه
 - سيد المسيح هو لدى احبار -
 - سح فيه سر الامحارستيا المحيد - اح -
 - تلك المكان الذي احده -

لقد اسس الرب هذا السر في عليّة (عمره علوية) ، أي في مكان مرتفع في اعلى المنزل . الا يشير ذلك الى الرغبة ؟ ! ... في حادث التجلى ، حينما اراد المسيح ان يظهر مجد لاهوته الثلاثة من تلاميذه اخذهم **الى جبل عال** (مر ٩ : ٢) . وهكذا من يريد ان يلمس مجد الرب . عليه ان يرتفع بالتأمل . ثم كانت تلك العليّة « معروضة معدة » ... ان الرب يريد ان يكون قلوبنا ايضا مزينة بالمعضل معدة لاقتباله . انه لا يكفي ان نرفع الاقدار من الطريق في حالة استقبال العظماء بل يحب ان يمرش الطريق ويزين . وهكذا نحن ايضا لا يكفي ان نسطب قلوبنا من الاناس والخطايا ، بل علينا ان نزينها ايضا بمشاعر الحب والاتسحاق .»

اجلس مع نفسك وتامل كيف ان مخلصنا يريد — بائسراك في هذا السر — ان تهيب له مكانا في قلبك حتى ما يصبح متحدا معك ، ويساعدك في ان تطرد عنك كل شهوانك ، وتتغلب على كل اعدائك .. ورغبة مخلصنا في الاتحاد معنا سميّه حدا ، ولا نستطيع ادراكها . ان الذي دفع مخلصنا الى ذلك هو حبه لنا . لكن لماذا احبنا ؟ نحن لا نعرف . كل ما نعلمه انه احبنا بلا سبب . وعبر عن ذلك بقوله « ولذالى مع بنى آدم » (ام ٨ : ٣١) .

ان الله بترنيبه هذا السر المقدس يفتازل عن مجده ، ويحول ذاته الى مكلل حتى ما تشبع نفوسنا ذلك الشبع الذي قال فيه « طوى للجوع والعطاش الى البر لانهم يشبعون » (مت ٥ : ٦) ، وحتى ما ينفذ نفوسنا ويتحد معنا اتحادا مدهلا . فادا كان الامر هكذا ، فكم يجب علينا ان نجتهد في اعداد نفوسنا لاقتباله ؟ !

فادا كان موسى صنع تابوتا من خشب لا يعثره مساد وغشاه بالذهب الحائض ليضع فيه لوحى الشريعة ، فكم بالاولى يقتضى ان تكون النفس التى يدخلها رب الشريعة خالية من مساد الخطية . ومزينة بذهب النصال الالهية ! وادا كان يوسف الرامى قد وضع حسد المخلص في قمر جديد لم يدمس فيه احد اكراما له ، حتى لا يكون الحسد المقدس حيث توجد النانة ورمم الموتى ، فكيف بتحاسر المسيح وبفتن الرب يسوع في قلب قد دممت فيه الاحقاد ومحبة اسعالم . وتفوح منه رائحة الشهوات الذنسة !!

اياك ان تتقدم الى هذه المائدة وانت غير مستعد وليس عليك ثياب العرس (مت ٢٢ : ١ — ١٤) . ان السيد المسيح اقام ابنة يايروس من الموت ثم اعطاها لتاكل ... وانت ايضا اقم نفسك من موت الخطية بالتوبة الصادقة ، ثم يقدم لتاكل من هذا الخبز السماوى ... ان المن الذى عال به الله شعبه في البرية ، كن رمز لجسده ودمه الاقدس . وهكذا نحن في برية هذا العالم ، علينا ان نفتات بالى الروحى . لكن المن لم يعط لبنى اسرائيل

(د) عقب التناول :

+ في الكنيسة : بعد أن تكون قد تناولت من الصمد والدم الاتمسين وصرفت المناولة بالماء كما هو متبع في كنيستنا ، انتح مكانا هادئا في خورس المتناولين ، واغلق على نفسك في أعماق قلبك الخفية ، ناسيا كل ما هو موجود وصل الى الله قائلا :

« ايها الملك الكلي القدرة في السماء وعلى الارض .. ما الذي جعلك تدخل قلبي غير المستحق ، في حين اني بائس وفقير واعى وعريان ؟! لا شيء يا سيدي ، سوى حبك الذي لا يعبر عنه . ايها الحب غير المخلوق ، وهب لي ادرك ، ماذا تريد مني انا المسكين ؟! لا شيء كما اعرف سوى حبى لك . لا شيء سوى الا تشعل نار اخرى على مذب قلبى سوى نار حبى لك ، تلك التى تبذل كل حب غريب وكل رغبة غير مقدسة . استمع يارب الآن تعهدات نفسى . انظر الى ، واربط رعى مرغتك ، وارادتى بارادتك . وكما اعطينى - انك بالثمام ها انا اعطى داتى كلها لك حتى اكون بالثمام فيك .. من ذاتى ليس لى قوة كافية لانهم هذا الامر ولكنى واثق ابنى سؤوق لانك منذ الآن معى » .

وحتى بعد ان يعطى الكاهن التبريح للشعب لينصرفوا ، لا تسرع انت - لاصراف من الكنيسة ، لئلا يلقاك اخوانك واصدقاؤك وتحدثوا سسويا بها ينمى ولا يسمع ، وربما انقلب الامر الى مزاح . بل انتظر بعض الوقت في الكنيسة حتى تظهر اصراف المصلين ، مصلا عن استعلال مثل هذه فرصة للصلاة والطلبة . حاول في يوم تناولك ان تستفيد من النعمة التى بلتها وتخزن روحيا مما ينفعك في اوقات جذبك الروحي التى قد تاتى عليك . وبدا ننصح بالحرص على تناول في الايام التى نصلى فيها هدوءا بقدر الامكان ، حتى يمكننا تمديد التدريب الروحي الذى نتحدث عنها ، للاستفادة قدر الامكان من فاعلية هذا السر المقدس . وعلى سبيل المثال لا ننصح بتناول في القداس الاول يوم الاحد بالنفسه من ضيعه اعمالهم التى سيمارسونها عقب تناول لا تومر لهم 'يسوع' المطوب ، الا اذا دعت ضرورة الى ذلك .. وهذه هى ناحية من حكمه الكنيسة لاولادها حينما نامرهم ببعض الممارسات الجسدية مثل عدم البصق او اخراج شيء من الفم في يوم تناول، حتى يظل المتناولون - الى اطول وقت ممكن - متذكرين هذه النعمة التى اقتبلوها ، فيحاولون ان يحافظوا على حياتهم ، ويرفعوا مشاعرهم الى السماويات .

+ في المنزل :

اقصد الى منزلك مباشرة - وان كان ممكنا فلا تشعل نفسك في أى عمل حسدانى او عالمى في الفترة التى تعقب تناولك - ولا يدخل في هذا طبيعة

ماهية التناول

والآن بعد ما عرضنا له من بركات التناول وماعليته ، نساءل ما هي ماهية التناول او ما هو غاية التناول اذن ؟

(أ) هو عهد :

التناول هو عهد مقدس بين الله وشعبه به يكون لهم الها ، ويكونونه بين « هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم » (لو ٢٢ : ٢٠ . وتكلم معلمنا بولس الرسول عن هذا العهد قائلا « هوذا أيام تأتي يقول الرب حين اكمل مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ، لا كالعهد الذي عملته مع آباءهم يوم امسكت بيدهم لآخراجه من ارض مصر ، لأنهم لم يثبتوا في عهدي ، وأما اقبلتهم يقول الرب . لأن هذا هو العهد الذي اعهده مع بيت اسرائيل . بعد تلك الايام يقول الرب اجعل نواميسي في ادهنهم واكتب على سوبهم ، وأما اكون لهم الها وهم يكونون لى شعبا . . . لأنى اكفر صفوها عن آثامهم ولا اذكر خطاياهم وتعصياتهم في ما بعد » (عز ١٠ : ١٢) . وهذا العهد بين طرفين ، وله اعتبارات كما ان له واجبات ومسئوليات . وهذه وبلك واصحه من كلمات الرسل التي نكرناها . أما العهد الاول الذي وضعه الله بينه وبين بني اسرائيل عند اخراجهم من ارض مصر فكان هو « خروف الفصح » الذي كان رمزا للعهد الجديد الذي كان مزجعا ان يؤسسه بذيبحه الصليب ، وكما نعلم أن التناول المقدس هو امتداد لذبيحة الصليب المقدسة .

(ب) وعضوية في الكنيسة :

هو عضويتنا في الكنيسة المقدسة او بعبارة أخرى اننا جميعا أعضاء في جسد المسيح الذي هو الكنيسة (١ : ٢٣) . قال القديس بولس الرسول « كأس البركة التي نأكلها ليست هي شركة دم المسيح ، الخبز الذي نكسره ليس هو شركة جسد المسيح . فاننا نحن الكثيرين خبز واحد ، جسد واحد ، لأننا جميعا نشترك في الخبز الواحد » (١ كو ١٠ : ١٦ ، ١٧) . ولذا يتناول المؤمنون ليكونوا في عهد مع بعضهم البعض متحدين كأعضاء في جسد واحد . وان كان عضو واحد يتكلم فجميع الأعضاء تتكلم معه . وان كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه » (١ كو ١٢ : ٢٦) . ولذا تصلى الكنيسة

في القديس الباسيلي حنا « اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا ان نتناول من
قداسات طهارة لانفسنا واجسادنا وارواحنا لكي نكون جسدا واحدا
وروحا واحدا ... » .

(ج) نعمة روحية .. للتقوى :

هو نعمة روحية عظيمة تهينا نعمة الحياة ، والثبات والنمو فيها بطريقة
تفوق جميع الوسائل الروحية الأخرى . وقد تحدثنا عن ذلك قبلا ...
والكنيسة تعبر عن ذلك فتصلي في بدء صلوات تقديس الخبز والخمر تائلة :
« ووضح لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى .. » نعم انه سر للتقوى !
وتصلي في صلاة الخضوع التي تصلي سرا في القداس الباسيلي بعد القسمة
« نسال ونطلب من صلاحك يا محب البشر لكي اذا طهرتنا كلنا تؤلفنا بك من
جهة تناولنا من اسرارك الالهية لكي نكون مملوئين من روحك القدوس ،
وثابتين في ايمانك المستقيم ، وممثلين من شوق محبتك الحقيقية ، وننطق
بمجدك كل حين .. » .



معلومات عامة عن السّناول

المواظبة على السّناول

ان كان السّناول من السر المقدس له من الشرف والبركة والفاعلية الحظ الاوفر والاسمى والاعظم بين سائر الوسائل الروحية الأخرى ، فكم يجب علينا أن نسارع بهمة واشتياق واستعداد للسّناول منه « طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » ! وكم يجب علينا أن نواظب على التزود دائما من السر الأقدس !

انه لا يوجد ما يمنعك يا أختنا العزيز والمائدة قريبة منك ، ان تتناول منها مجانا ، والاستعداد لها في تناول يدك ... لكن يوجد كثيرون يحجمون عن السّناول أما تهيأ من السر العظيم ولما تهلونا في أمر خلاصهم ، وسنحدث من ذلك .

يجب على كل المؤمنين ان يواظبوا على السّناول من السر المقدس . انه لا يتطلب سوى الاستعداد الروحي ، وهذا ما يجب ان نكون عليه دائما . هكذا كان يفعل المسيحيون في المصور القديمة . فكانوا يتقدمون للسّناول من جسد الرب ودمه في قداس الاحد من كل اسبوع . كان جميع المؤمنين بالكنيسة يتناولون كما نستدل على ذلك من مسد الكنيسة . ويحدثنا كاتب سفر أعمال الرسل عن المؤمنين في الكنيسة الاولى فيمر : « وكانوا يواظبون على تعاليم الرسل ، والشركة ، وكسر الخبز والصلوات » (أع ٢ : ٤٢) . فبدأوا مع الشركة المقدسة نشعر على الدوام بارتباطنا مع الله بالمهد المقدس للعيشة المرضية . ونحن نلمس هذه الحقيقة ظاهرة ميب لدينا من قوانين الرسل وآباء الكنيسة .. وقد فكر يوستينوس الشهيد في دفاعه أن الجسد المقدس كان يحمله خدام الكنيسة لأن حالتهم ظروف قاسية عن مشاركة المؤمنين الحضور الى الكنيسة .

علينا ان ننتقم للسّناول بمواظبة اسبوعية وفي القليل مرة كل اسبوعين ، وفي الأقل مرة كل شهر ...

ورب محجم عن تناول يعترض قائلا ان كثرة تناول تؤدي الى امتهان كرامة السر ، وتكرار تناول يضعف تأثيره الخشوعي في النفس . وردا على هذين الاعتراضين نقول : تناول بما يسبقه من استعداد روحي ، وما له من فاعلية سرية روحية ، يوقظ الاحساس الروحي في الانسان ويزيده خشوعا . ولو كانت هذه النظرية صحيحة لوجب علينا الامتناع بعض الوقت عن الصلاة الفردية حتى لا نمقد مشاعر الخشوع . لكن العكس هو الصحيح ، فالصلاة كلما كثرت وانسلت ، التهب قلوبنا اكثر بالحب المقدس نحو الله . ولذا يأمرنا الكتاب ان نعلی « كل حين » و « بلا انقطاع » (لو ١٨ : ١) .

١ تس ٥ : ١٧ .

التناول في المناسبات

وسه بعض المسيحيين لا يسألون الا في مناسبات معينة ، **حدوها هم** لامسهم . كيوم خميس العهد أو قداس سبت الفرح مثلا . ويص لا يعترض على تناول في هاتين المناسبتين أو غيرها ، لكننا نعترض على قصر تناول عليهما في الوقت الذي يجب أن نواظب على تناول في فترات متتالية حتى نظل في العهد المقدس مع الرب .

وثمة فريق آخر من المسيحيين يتناولون في مناسبات خاصة بهم . كالطلبة والطالبات الذين يتقدمون للتناول قبيل الامتحان لكي يمد الرب مناصرهم ، وبعض الأشخاص الذين يحرصون على تناول في يوم ذكرى ميلادهم مثلا . ونحن لا نمانع في الالتجاء الى الله في وقت الشدة والضيق ، والرب قد قال « ادعني وقت الضيق انقذك فتمجدي » ، وايضا لا نمانع في ان يبدأ الانسان عاما جديدا من حياته الجسدية ساء مقدسا . . . حسن جدا ان يتذكر الانسان خالقه في امثال هذه الظروف . لكن ينبغي ان يكون تناول — في كل مرة نتقدم فيها — باستحقاق ، يسبقه توبة حقيقية ، واعتراف كامل ، حتى لا تكون — على الاقل — خطايا الانسان هاتلا بينه وبين رحمة الله في نفس طلبته المائية . .

ثم التقليد الذي درجت عليه الكنيسة والمسيحيون من تقدم الخطيين لاقتبال هذا السر قبيل اتمام سر الزواج . ان الفكرة الاساسية في هذا الامر ، ان احدا بطبيعة الحال لا يتناول الا بعد توبة صادقة واعتراف كامل . لماذا ما كان الانسان نقياً معترفاً متزوداً من الاسرار المقدسة فانه لن يحدث ما نراه من مشاكل الزواج الحالية التي تؤول الى القطيعة والانفصال في بعض الاحيان . ولا خطأ في تقليد الكنيسة وما درج عليه المسيحيون ، انها

للخطا الذى يحدث فى احوال هذه الحالات ، هو ان التناول يتم بطريقة شكلية خالية من الروح . وقد لا يسبقه اعتراف ولا توبة ، او قد يسبقه اعتراف صوري . وغالبا ما يتم هذا التناول وهذا الاعتراف قبيل الزواج بيوم واحد حيث لا يمكن أن يساعد على استيفاء الحكمة الروحية التى من أجلها وضعت كنيسته هذا التقليد . لأنه — بهذا الوضع الخاطيء — اذا اعترف أحد خطييين بمشاكل معينة ، فبديهي أنه سوف لا يكون هناك مجال ولا وقت لمعالجتها . وربما كان أحد الخطييين يمتزج لأول مرة فى حياته ، والشخص المتدين فى ممارسة سر الاعتراف لا يمكن أن نتوقع منه فى هذه الحالة اعترافا كاملا صريحا . ونحن ننصح بأن يمارس الخطييان سر الاعتراف من أول عقد خطبتهما ، ان لم يكونا مواظبين عليه من قبل ذلك فى حياتهما ، لان الامور الكنسية ليست مجرد طقوس جافة ، وانما هى روح وحياة .

معنى تناول سر

كثيرون يحجمون عن تناول من جسد الرب ودمه مع وجود الرغبة لديهم ، ويرجع احجامهم الى تهيئهم من السر وعدم فهمهم لمعنى الاستعداد الواجب للتقرب من الاسرار المقدسة ، وتخيلهم وتهزيم كلمات الكاهن من بدء صلوات الاواشي قبل مجمع القديسين فى القداس الباسيلي « اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدينا ان نتناول من قدساتك طهارة لانفسنا واجسادنا وارواحنا » . وايضا كلماته قرب نهاية القداس « القدسات للقديسين » . ثم كلمات الشماس التى يرددها قبيل تناول مباشرة « صلوا من أجل التناول باستحقاق من هذه الاسرار المقدسة .. » .. فما هو الاستعداد الواجب والتناول باستحقاق ان؟

هل هو تقدم الانسان بلا خطية ، وتطهير حياته من كل شر وشبه شر؟

من الامور الأولية فى الايمان المسيحى ان الجهاد الشسحمى لا يكمل الانسان ، انما يكون ذلك من عمل النعمة الالهية دون سواها . وفى ذلك يقول معلمنا بولس « لأنه ان كان بالناموس بر فالمسيح اذن مات بلا سبب » (غل ٢ : ٢١) . واحجامنا عن التقدم للتناول حتى نكمل . معناه اننا نريد أن نكمل انفسنا بانفسنا ، لا أن نأتى الى الله بما غينا من نقائص وضعفات ليكملنا ونحن نعلم أن الابن الفضال لم يقبل الى ابيه بعد أن خلق عنه ثيابه الرثة ولبس اللباس اللاتى ، بل ذهب لأبيه كما هو ، وابوه هو الذى وضع عليه الحلة الاولى ، والعزاء فى قدميه ، والخاتم فى يده !! هكذا حياتنا لا تتكمل الا باتصالها بالله .

ان الاستعداد الصحيح للتناول هو القوة الصالحة من القلب من الخطايا
الخاصة كلها ، والعزم من القلب على تسليم الحياة لله ، والمعيشة له في
قداسة وتقوى ، والتخلص من كل ضعفات النفس الممثلة لعلاقتنا به .

والتناول باستحقاق هو التقدم برغبة وخشوع وتقدير لعظمة هذا السر
مع الشعور بعدم الاستحقاق للدنو منه . وعلى ذلك فان الانسان المسيحي
يتقدم كهريض يلتهم دواء يبرأ به من سائر اوجاعه . . وفي ذلك يقول
القديس يوحنا ذهبي الفم تعليقا على العبارة التي يقولها الكاهن «القدسات
للقدسين» « ان الكاهن يقول القدسات للقدسين ، والشعب يجاب :
حاشا اننا لسنا قدسين بل نحن خطاة وغير مستحقين لهذه التسمية . انما
القدوس الوحيد ، بل قدوس القديسين هو يسوع الذي تجسد لأجل خلاصنا .
ولهذا يصرخ الشعب واحد هو الآب القدوس ، واحد هو الابن القدوس »
واحد هو الروح القدس آمين » .

اما نداء الشماس فهو تحذير لن يجرؤ على التقدم بغير مبالاة وبدون
اكتراث ، الامر الذي اثار اليه معلمنا بولس بقوله « لان الذي يأكل ويشرب
بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب » (١ كو
١١ : ٢٩) . وعن نفس الامر قال ايضا القديس بولس في الآية السابقة
لهذه « لكن ليمتحن الانسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من
الكأس » (١ كو ١١ : ٢٨) . هذا هو بيت القصيد « ليمتحن الانسان نفسه » ،
ويرى هل هو اعترفه اعترافا آمينا . . وفي ذلك يقول القديس يوحنا ذهبي
الفم ايضا « فلا يتقدم احد غافلا ولا متراخيا ، بل فلينبار جميعنا بحماسة
وحمية ونهضة . . ويجب ان نكون من كل جهة ساهرين لان القصاص الممد
للمشتركين بدون استحقاق ليس صغيرا . تفطن كم أنت ايضا تنمر من
الذي خانه والذين صلبوه . فاحترس اذن من ان تصير أنت ايضا مجرما في
جسد المسيح ودمه » .

ويحدث احيانا بعد العزم الكامل والدخول في المهد مع الله اننا — بسبب
الضعف البشري الذي كان كثيرا ما يلحقنا — نقع في نفس الخطايا القديمة
التي عقدنا العزم على التخلص منها ، لا عن عمد او استهانة . لا تخف
يا اخانا العزيز ، فحتى عند حدوث ذلك لا نياس بل لننهض متذكرين كلمات
الرسول « يا اولادي اكتب اليكم هذا لكي لا تخطئوا ، وان اخطأ احد فلنا
شفيع عند الآب يسوع المسيح البار . وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا
نقط ، بل لخطايا كل العالم ايضا » (١ يو ٢ : ١ ، ٢) .

✱

الطهارة الجسدية اللازمة للتناول

كما أن تناول من الجسد والدم الآتسين يتطلب استعدادا وطهارة روحية ، فهو يستلزم أيضا طهارة جسدية واجبة :

١ — في حالة الاحتلام والفيض المنوي عند الذكور يمنع من تناول في نفس اليوم لأن ذلك يعتبر فطرا .

٢ — في فترات الطمث والولادة عند الانثى يمنع من تناول . في حالة الولادة يمنع مدة اربعين يوما في حالة المولود الذكر ، وثمانين يوما في حالة المولودة الانثى .

٣ — يمنع الأزواج والزوجات من المعاشرة الجنسية ليلة التناول باعتبارها فطرا .

على أنه في الحالة الاولى بشقيها — الاحتلام والفيض — اذا تكرر حدوثها في الليالي المزمع للشخص أن يتقدم فيها للتناول ، يمكنه أن يكشف الأمر الى أب اعترافه ، لأنه يحدث في بعض الاحيان أن تكون أمثال هذه الأشياء حربا من عدو الخير ليحرم الانسان من تناول . وأب الاعتراف بعد استجلاء الأمر والوقوف عليه ، يمكنه أن يوجهه التوجيه المناسب .

٤ — ويجب أيضا أن يتقدم المتناول بجسد نظيف مغتسل من هذه الأمور الجنسية كلها ، وبثياب أيضا غير ملوثة بأى عيوض من هذا النوع .

علاقة الألف بالسر

هناك نقطة أخيرة نريد أن نطرحها قبل الفراغ من هذا الموضوع ، حتى لا يكون الشيطان بما يزرعه من شكوك في أذهان بعض المؤمنين ، حائلا دون تمتعهم ببركات هذا السر القدس . فبعض الناس ممن يحجمون عن تناول يعطلون أحجامهم بأن الكاهن المصلى شرير ، أو له نقائص وعيوب ظاهرة . ويستتبع ذلك من وجهة نظرهم — أو هكذا يدعون — شكهم في صحة هذا السر . ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكانت المشكلة ، ولأمكن أن يمتصوا كاهنا آخر يرناحون اليه وإلى تقواه . لكن الأمر يتعدى الكاهن الذي أعتروا فيه إلى معظم الكهنة تقريبا ، مما يوضح لنا الحقيقة ، ويظهر جليا أن الشيطان وراء كل تلك الشكوك ، ليحرم أمثال هؤلاء الناس من التمتع سرركات السر المجيد . .

.. إل الآن : هل لقداسة الخادم (الكاهن) علاقة بتمام هذا السر ، وهل الاستحالة من خبز وخمر بيسطين الى جسد المسيح ودمه الاقدسين ، لا تتم الا اذا صلى كاهن قديس ؟

الحق ان خادم الاسرار — اى الكاهن — يجب ان يكون ذا ايمان وتقوى وقداسة تليق بالخدمة وقديستها وجلالها . لكن صحة الاسرار عامة لا تتوقف على ايمان الخادم أو صلاحه ، وذلك لان قوة السر والنعمة التى تمنح به لا تتعلق بخادمه ، ولا تتوقف على استحقاقه ، بل هى متعلقة باستحقاق وارادة مخلصنا يسوع المسيح ، واهب النعمة ، وهى نتيجة الكلمة الالهية الفعالة « هذا هو جسدى ، هذا هو دمي ، اصنعوا هذا .. » . فكما انه تعالى قال قديما للتور كن فكان وما يزال ، وسوف يظل كائننا الى نهاية العالم ، هكذا اسرار الكنيسة السبعة — ومنها القناول — لا تتعلق بتقوى الخدام أو بقوتهم ، بل هى نتيجة حلول الروح القدس باستدعائهم اياه .

هكذا الخدام ليسوا سوى آلات منظورة يتم الرب اسراره بهم ، لا يصلها الى ابنائه المؤمنين باسمه ، بطريقة سرية غير منظورة . والعقل البشرى لا يمكن ان يصدق ان الله يجعل وصول نعمة للبشر أمرا مشروطا بصلاح الخدام . اصف الى هذا انه لو كان ايمان الخادم وقداسته وصلاحه أمورا ضرورية لصحة مباشرة الاسرار وتوزيعها ، لكن ذلك مثار تشويش عظيم فى نفوس قابلى الاسرار ، ويزيد الشكوك فى كنيسة المسيح . وهذا بطبيعة الحال معطل لجنى ثمار الاسرار الالهية ، خلافا لل غاية السامية التى رتبها الرب لأجلها ، ولوجود الانسان فى ريب وقلق دائمين بشأن صحة الاسرار لئلا يكون قد اقبلها ، اذ لا يمكن لاحد ان يتحقق هل خادم السر على جانب من الايمان الحقيقى والقداسة أم لا ، اذ ان هذا يعرفه الله وحده فاحص الخلو ومختبر الكلى . فضلا عن هذا فان الكاهن الخديم قد يكون اليوم نقيًا ، ويصبح غدا شريرا وبالعكس تبعا لتصرفه فى حرية الارادة الممنوحة له من الله كسائر البشر . ونحن نكتفى هنا بإيراد بعض اقوال آباء الكنيسة القديسين فى هذا الصدد .

قال القديس غريغوريوس الثيولوجوس فى خطاب له عن الممودية « كل واحد مستحق ان تصدقوا انه يظهركم ويكتبه لذلك ان يكون واحدا من الذين اخذوا السلطان ليغفروا الخطايا (١) ، ولم يصروا مرموزين علانية (من الكنيسة) (٢) . فانظروا انتم كيف يجب ان تفكروا . عندي خاتمان احدهما

(١) اى نالوا درجة الكهنوت .

(٢) اى ليسوا من الهراطقة الذين حرمتهم الكنيسة .

من ذهب والآخر من حديد ، وعلى كل منهما الصورة الملكية نفسها . فاطلع
 بكل منهما طبعة على شمع . فبماذا تمتاز طبعة الواحد عن طبعة الآخر ؟
 لا تمتاز بشيء . فان كنت أنت ممتازا بحداقة عقلك فاحكم في طبع المعدن
 على الشمع ، وقل لى أية صورة من هاتين الصورتين هي صورة الخاتم
 نذهبى ، وأية هي صورة الحديدى ، ولماذا الصورتان كلتاها متشابهتان .
 متابلوا على ذلك كل واحد من الكهنة الذين يعمدونكم ، فالواحد يمكن أن
 يسمو على الآخر بالمسيرة الروحانية ، غير أن قوة المعمودية واحدة .

والقدّيس أوغسطينوس بعد أن أورد شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح
 لواردة فى (يو ١ : ٣٣) وهى « هذا هو الذى يعمد بالروح القدس » ،
 قاطلها مع ما كتبه يوحنا الانجيلى فى (يو ٤ : ٢) « مع أن يسوع نفسه لم
 يكن يعمد بل تلاميذه » ، قال « ان عمد بطرس فيكون هو (المسيح) المعمد .
 وان عمد بولس فيكون هو المعمد . وان عمد يهوذا فيكون هو المعمد ...
 لأن ما أعطى لواحد لا يختلف باختلاف الخدام ، بل انه متساو . فانه قال
 « هذا هو الذى يعمد » . ويؤيد ذلك ما كتبه الرسول « لبس الفارس شيئا
 ولا الساقى ، بل الله الذى ينمى » (١ كو ٣ : ٧) ، لأن كل ما فى السر من
 القوة والفاعلية انما هو للمسيح . وليس للكاهن أى الخدام الا الخدمة ، وهو
 لا يقدر أن يقاوم قوة الله « (فى يوحنا مقالة ٦ عدد ٧ ، ٨) .

وقال أيضا فى كتابه الثالث ضد كراسكونيوس راس ٨ « لا فرق بين أن
 يوزع الاسرار خدام أبرار أو خطاة . فمثلها مثل البذار التى تلقى على الأرض
 بيد الفلاح سواء كانت نظيفة أو متفجرة ويأتى بالثمر على السواء . ولو تعلقت
 فاعلية الاسرار بقداسة الخدام أو عدمها لتعلق خلاصنا بحريتهم » .

ونخلص من كل ذلك الى أن الخدام ما هم الا آلات فى يد الرب ينمى بهم
 المسيح نفسه ، بفعل روحه القدوس ، تقديس هذا السر كما ويبقى الاسرار
 أيضا . وعلى ذلك فيجب الا يساورنا ادنى شك فى صحة وفاعلية هذا السر
 صرف النظر من الخدام الذى يصلّى . وعلينا أن نتقدم فى ثقة وإيمان * ساكرين
 محبة الله وحنوه ورحمته التى دبرت لنا « هذا السر العظيم الذى نقوى » .



نَسَاءُ وَلَايَ

١ - تناول الصوم :

من الملاحظ أن بعض الآباء الكهنة يرفضون السماح للمفطرين مدة الصوم — أيا كان سبب فطرهم — بالتقدم للتناول من الأسرار المقدسة . . . ويتساءل هؤلاء المنوعون من تناول ، عن مدى قانونية هذا المنع .

الواقع أن هذا المنع ليس في محله . . فالكيسة المقدسة تعفى بعض ابنائها من الصوم . من هؤلاء المرضى والشيخوخ والنساء الحوامل والمرضعات . . . وإذا كانت الكيسة نحل هذه الفئات من الصوم ، فكيف تحرمهم من تناول ؟ أن تناول أمر مفصل كلية عن الصوم ، ولا يجب أن تمنع الكيسة أحد ابنائها منه إلا إذا كان تحت طائلة عقوبة كنسية أو إذا كان في حالة روحية لا تؤهله للتقرب من الأسرار المقدسة . ثم أن المؤمن ينال حلا من أب اعتراه من فطره في الصوم إذا كن لديه موانع أو ظروف تمنعه عنه . وليس لكاهن آخر أن يمنع من مائدة أى مؤمن لمجرد أنه غير صائم الصوم الكنسى العام . .

٢ - مدة الاحتراس :

كلمة « الاحتراس » مصطلح كنسى يقصد به المدة السابقة للتناول التى يمتنع خلالها المؤمن عن الطعام والشراب حينما يريد التقدم للأسرار المقدسة . . . ومعروف أن هذه المدة هى تسع ساعات . . فهل تسرى هذه الساعات التسع في حالة القداسات التى تنتهى بعد الظهر كما في أيام الصوم الكبير ، وبذا يستسيع من يريد التقدم للتناول أن يتناول طعاما في الصباح ثم يصوم تسع ساعات ؟ ! قطعاً لا . . فان يومنا يبدأ من منتصف الليل — وعلى ذلك فيجب أن يكون الإنسان صائماً من منتصف الليل حتى يتناول . .

أما الساعات التسع فتلاحظ في القداسات التى تنتهى باكراً جداً كقداس سبت الفرح أو القداسات التى تقام ليالى الأعياد أو في مناسبات مشابهة .

● أما عن الاحتراس عقب تناول ونقصد به عدم اخراج شيء من الفم ، فيكون في بقية يوم تناول .

٢ — تناول وسلامة المعتقد :

● هل يجوز السماح للمنحرفين عن العقيدة الارثوذكسية بأن يتقدموا للتناول من الاسرار المقدسة في الكنائس الارثوذكسية ؟

بكل تأكيد ، لا يجوز .. ويجب ان تكون الكنيسة يقظة وحذرة لهذا الامر .. ان الحق لا يتجزأ ، بل هو كامل متكامل .. وهناك قوانين كنسية تحرم من يشترك في اجتماعات من تعتبرهم الكنيسة هراطقة . ان الامر في غاية الخطورة ، وعلى الكنيسة ان تظهر سلطاتها لمن يريدون ان يتحللوا منه .

● وثمة سؤال واحد يرتبط بهذه النقطة ...

هل يجوز للمؤمنين الارثوذكس — وبينهم المغتربون — أن يتناولوا من الاسرار المقدسة في كنائس غير ارثوذكسية ... ؟

والاجابه ايضا ، انه لا يجوز هذا الامر .. اما عن المغتربين فعلى الكنيسة ان توفر لهم الرعاية الكافية من خدامها ..

*

صلوات

صلاة قبل تناول الاسرار المقدسة :

يا رب مـى غير مستحق أن تدخل تحت سقف بيتى لأنى انسان خاطيء
مثل كلبه أولا لتبرا نفسى . قل لنفسى مغفورة لك خطايك . انى مقتر وخال
من كل صلاح ، وليس لى سوى تحننك ورافتك ومحبتك للبشر .. لقد تنازلت
من سماء مجدك غير المدرك الى ذلنا وارتضيت أن تولد فى مزود حقير ،
لا ترغض يا مخلصي القدوس أن تقبل الى نفسى الذليلة الحقيرة التى تنتظر
حضورك البهى . انك لم تستنكف من دخول بيت الابرس لتشفيه ، فاسمع
يا الهى بالدخول الى نفسى لتطهرها . لم تمنع الخاطئة من تقبيل قدميك
فلا تحرمى الدنو منك لتناول جسدك الطاهر ودمك الأقدس . بل فليصر
تناولى للاشتراك معك ، ولا بادة كل ما هو دنس ، ولا مائة أهوائى الرديئة ،
وللعمل بوصاياك المحببة ، لشفاء نفسى وجسدى من كل خطية . ولقبول
مواهبك ، ولسكنى نعمتك ، ولطول روحك ، وللاتحاد بك ، والثبات فبك ،
لأحيا لجد اسمك القدوس آمين .

*

صلاة عقب القبول من الأسرار المقدسة :

قد امتلا قلبي فرحا ولساني تهليلا من قبل خلاصك . فلتعظم نفسي
الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي . لقد اقبلت اليك يارب لتلبسني حلة نقية
توهلني للدخول الى عرسك والانتكاء في وليمتك . فليكن اتحادى بك اليوم
دائما ، وليثمر لى اثمار البر والتقوى ، لانى به ازداد فى الفضيلة ثباتا ونموا ،
ويشدد ايماني ، ويتقوى رجائي ، بضطرم سحر حبي . فليصر تفاولي الآن
علامة للخلاص ، ولباسا للنعمة ، وخاتما للعفاف ، وحلة للبيلاذ الجديد ،
وصيانة للحياة الروحية ، وطهارة وقداسة للنفس والجسد ، ونقاوة للحب ،
وفرحة وسرورا ابديا ، وعريونا للسعادة ، ولجواب حسن القبول امام
منبرك الرهيب .. اسلم ذاتى بين يدي حنوك ، فاجعلنى واحدا معك ،
ومسيرنى تحت ارادتك . استدع اليك عقلى وحواسى وارادتى لتباركها ، وتكون
طوع مشيئتك . احبب قلبي ، وايقظ ضميرى ، ونبه نفسى وشجعمها . شئت
جميع خيالات العدو ، ومر الرياح ان تهدأ ، وقل للرؤابع ان تسكت ، فيصير
الهدوء العظيم ... سر معى وهدىء روعى ، ارو عطشى واضرم لهيب محبتك
فى قلبي . تلاف حنو ورفق كل ما ينقصنى . امكث معى لان النهار قد مال ،
ورافقنى الى النهاية فانت وحدك غايتى وسعادتى . انت وحدك يارب الى
الابد آمين .



الانضاع

« من لا يريد أن يدخل من باب الانضاع . فما يجد
المرعى الإلهي . ومن يريد أن يدخل من غيره فهو لئس »
(التديس يوحنا الدرجي)

- + كلمة عامة عن الانضاع
- + الانضاع في حياة الرب وقديسيه
- + الانضاع أساس الفضائل
- + ماذا يفعل الانضاع ؟
- + كيف نقف الانضاع ؟
- + أمور تساعد على الانضاع
- + حياتك على ضوء الانضاع
- + موقف الانضاع من بعض الفضائل

كلمة عامة عن الانضاع

ما هو الانضاع ؟

ليس الانضاع مجرد مظهر خارجي يظهر به الانسان ، كالملبس الخشن ، او الصوت الخفيض ، او الرأس المطرق الى اسفل . وليس هو مجرد كلمات يرددها الانسان عن نفسه على مسمع من الآخرين بأنه خاطيء وشرير وغير مستحق . وليس هو مجرد عبارات يرددها في حضرة الله معلنا حقارته وذله ومسكنته . . . ليس هو ذلك فحسب ، لأنه لو كان كذلك فقط ، لأمكن لكل انسان ان يكون متواضعا . لكنه حياة يحياها الانسان ، بين نفسه وبين الله ، فيها يشعر بأنه عدم ، ولا شيء ، بل أقل من لا شيء ، وأن كل ما فيه من حسن وخير هو من الله ، وأنه بدونه تعالى ، تراب وظلمة وشر . .

قال مار اسحق « ليس من يدكر زلاته وخطاياہ لكي يتواضع يسمى متواضعا ، وان يكن ذلك حسن جدا ، الا انه يدنو فقط من التواضع ويحاول أن يصل اليه . أما المتواضع الحقيقي فلا يحتاج الى أن يقنع ذاته او يغضب فكره للشعور بالتواضع ، او خلق اسبابه . بل قد صار طبيعيا عنده ، ان لا يحسب ذاته شيئا بلا تعب » . وقال القديس يوحنا الدرجي « ليس من ينم ذاته ويلومها هو المتضع ، لأنه من ذا الذي لا يستطيع أن يحتمل نفسه ؟ ! وإنما المتضع بالحقيقة هو الذي يحتمل تعبير ومذمة غيره ولا ينقص حبه له . »

وهكذا لا يكون الانضاع أمرا هينا سهلا . لكنه يتطلب منا قهرا لمشيئتنا وسحقا لميولنا المنحرفة ، وامانة لشهواننا الجسدية « من أراد أن يكون أولا فليكن آخر الكل » . هكذا علما رب المجد بحبائه واقواله . . ومهما رجع الانسان الى الوراء — متضاعسا — فته يرى يسوع ما زال وراءه متضاعفا المعجيب ، فيجاهد أن يرجع ايضا . . ولكن هيبات أن يصل الى مبلغ الانضاع الذي اتفعله اندوس للمجد . مما فعله ، لكي يرفعنا الى الآب . .

وليس الانضاع فضيلة قائمه بذاتها ، لكنه أساس جميع الفضائل . بدونها لا نستطيع أن نقتنى فضله . بل ان كل فضيلة بدونها باطلة ، ومردولة من الله ، ونحسب عليها لا لنا .

والانضاع — أو انكسر الذات كما يحلو لنا ان نسيه — لا يقتنى من مجرد القراءة في الكتب ، أو الاستماع الى احاديث روحية عنه ، أو حتى معايشة القديسين ، لكنه حياة عميقة بين النفس والله لا تهـدا ، ولا تنتهى عند حد ، يظل الانسان يجاهد فيها ، حتى يتحرر من سجن الجسد ، وتبوء الخطية الخادعة ..

انه الباب الضيق الذى يجب ان يلجـه طالبو الملكوت ، وهو الطريق الكرب الذى يجب ان يسلكوه ، وهو الصليب الذى يحمله التلميذ الابن ، مبتدئا خطوات معلمه وسيده ، فى طريقه الى المدينة التى لها الاساسات التى صامعها وبارئها الله ... وهل يوجد ضيق وكرب وصليب اقسى من ان يتحرر الانسان مـبـوله ، ويحتل المـنـزلة والمسكنة والمـار ١٤

انه امتحان دقيق لطالبي الرب .. قال الحكيم يشوع بن سيراخ « لان الذهب يجرب بالنار ، والناس المقبولين يجربون فى آتون التواضع » (سى ٢ : ٥) .

هكذا فهم الآباء القديسون التواضع ، وعبروا عنه فى اقوالهم ، كل بحسب اختباراته . وقد اجمل القديس يوحنا الدرجى بعضا منها ، وزاد عليها فقال « قال البعض عنه انه نسيان كل ما فعله الانسان من الصلاح . وقال آخر هو ان يحسب الانسان نفسه افضل الناس واحقرهم واكثرهم خطأ . وقال آخر هو ان يعرف العقل ضعفه . وتبل هو سحق النفس وجحد المشيئة . وانا اتول ان الانضاع نعمة فى النفس لا يعرفها الا الذين اقتنوها . قال الرب تعلموا منى غائى وديع ومتواضع القلب ، اى ليس من مـلاك ، ليس من سنان ، وليس من كتاب تتعلمون انضاع القلب ، ولكن منى . قال فـتـجـدوا راحة لنفوسكم ، اى راحة من الاوجاع والافكار الرديئة » .

سُرف فضيلة الانضاع

١ — اذا كانت الكبرياء تعتبر اشر خطايا ، الأم التى تلد وتحتضن وتحصن خطايا كثيرة خطيرة ، فلا شك يكون الانضاع من اولى الفضائل الأم التى تلد فضائل وتخلص من خطايا عديدة . بل تعتبر — كما سنرى — اساس جميع الفضائل على الاطلاق . ولذا فان من يتقن الانضاع ، يضع اساسا صالحا متينا لسيان حياته الروحية ، بل لقد شبهه أحد الآباء « بشجرة الحياة التى لا يموت اكلوها » .

٢ — ويزيد الانضاع شرفا ، أن السيد المسيح نفسه ، هو الذى علمنا اياه فى مقدمة ما علمنا ، سواء بمثال حياته أو أعماله أو تعاليمه الالهية .

فالسيد المسيح لم يقل « تعلموا منى عمل العجايب ، وشفاء المرضى وقيامه الموتى » بل قال تعلموا منى لائى وديع ومتواضع القلب » (مت ٢٩ : ١١) .
 وذلك لان الاتضاع الحقيقى هو اقوى من الارتفاع ، والتعبد لله بالاتضاع
 خير من عمل العجايب والآيات . بل ان معلمنا بولس الرسول يطلق على فكر
 الاتضاع « فكر المسيح » ، فيقول « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح
 يسوع ايضا ، الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلا
 لله . لكنه اخلى نفسه اخذا صورة عبد ، صائرا فى شبه الناس » (فى ٢ :
 ٥ - ٧) قال الانبا باخوميوس اب الشركة « اذا رايت انسانا متواضعا القلب
 طاهرا ، فهذا اعظم من سائر المناظر ، لانك بواسطته تشاهد الله الذى
 لا يرى » . ومن ذاب مرة مال راعب للقديس تيموثاوس القاسك « اى ارى
 منى دائما مع الله » . فقال له القديس « الاعجب من هذا ان ترى نفسك
 تحت جميع الخليقة . فلا ستقطع الاتضاع » .

٣ — ويأتى شرف هذه الفضيلة نتيجة فاعليتها : قال القديس
 اوغسطينوس « ان الاتضاع يجتذب الله اليه ، مع انه تعالى عال . فان
 اصعب مهو يتنازل اليك ، وان تكرب فانه يبتعد عنك نائبا » . كما قال ايضا
 « ايها الاتضاع المقدس ، ما اكثر رمعئك وتميزك عن الكبرياء ! الكبرياء طرقت
 الملائكة من السماء ، والاتضاع جعل ابن الله ينزل من السماء لتجسد على
 الأرض . الكبرياء اخرجت آدم من الفردوس ، والاتضاع ادخل اللص الله .
 الكبرياء سلبت المس الحبايرة . والاتضاع الف لباس الملبى الآسمن . الكبرياء
 سبخت نبوخذ سر وجعلته وحشا برياً ، والاتضاع اقام يوسف متسلطا على
 مصر . وقدمه على شعب اسرائيل . الكبرياء اغرقت فرعون فى البحر الاحمر ،
 والاتضاع رفع موسى وعلاه » .

٤ — ويأتى شرف هذه الفضيلة ايضا ، نتيجة مركزها بين الفضائل
 عامه . سئل القديس مقاريوس الكبير اب الرهبان « اى الفضائل اعظم ؟ »
 ماجاب قائلا « ان كانت الكبرياء تعتبر اثر الرذائل كلها ، حتى انها طرحت
 صانعها من الملائكة من علو السماء ، فلا شك يكون التواضع اعظم الفضائل
 ظها ، لانه قادر ان يرفع المتمسك به من الاعماق ، حتى لو كان خاطئا » .

٥ — ويكتسب التواضع هذا الشرف العظيم ، من النعم الالهية التى
 تصاحبه وتلقى بسببه . قال القديس يوحنا الدرجى « اذا سمعت ان انسانا
 ادرك فى رمان يسير امرا كبيرا ، اما عدم الاوجاع ، او عمل العجايب ، فاعلم
 انه انما بلغ ذلك بالاتضاع » . وقال مار اسحق « المواهب لا تمنح من اجل
 الاعمال ذاتها ، وانما من اجل الاتضاع الذى عملت به » .

٦ — ومما يزيد الاتضاع شرفا ، ان الله يحب المتواضعين وينظر اليهم
 بنظر المرحل « الرب عال والمتواضعين يعاين » (مز ١٣٨ : ٦) . بل ويسكن

معهم « لانه هكذا قال العلى المرتفع ، ساكن الابد ، القدوس اسمه . فى موضع المرتفع المقدس اسكن ، ومع المنسحق والمتواضع الروح ، لاهى روح المتواضعين ولاهى قلب المنسحقين » (اى ٥٧ : ١٥) .

٧ - الاتضاع هو اللباس المقدس الذى يلبسه القديسون ويشربون به بط ٥ : ٥) ، ويسلكون فيه (اف ٤ : ١ ، ٢) . قال معلمنا بولس : ملبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين احشاء رافت ، ولطفا ، ونواضعا ، ووداعة ، وطول اناة » (كو ٣ : ١٢) .

٨ - وفى العالم العتيد يتمتع المتضعون بمكانة خاصة مرموقة ويعتبرون اعظم فى ملكوت السموات . قال رب المجد « فمن وضع نفسه مثل هذا جسد ، فهو الاعظم فى ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٤) .

٩ - واخيرا ، فهى الفضيلة المسيحية التى لم يعرف علماء العالم وفلاسفته العظام أن يمارسوها أو يملكوها . فقد روى عن الفيلسوف العظيم افلاطون ، انه صنع وليمة دعا اليها بعض الفلاسفة ممن عرفوا بالزهد فى مباح الدنيا ، ومن ضمنهم الفيلسوف ديوجينيس . وكان افلاطون قد زين داره بالبسط والمفارش الثينة . فدخل ديوجينيس بحذاء قذر وثياب رثة ، واخذ يدوس تلك البسط والمفارش . فلما سأل افلاطون عما يفعله أجابه - انى ادوس كبرياء افلاطون وتشامخه . فلما سمع افلاطون هذه الاجابة ، قال « نعم انك تدوس تشامخ افلاطون ، لكنك تدوسه بتشامخ آخر » !



الانضاع في حياة الرب وقديسه

الانضاع في حياة السيد المسيح

ان الانضاع هو الثوب الجميل ، العجيب حقاً ، الذي ارتداه رب المجد ، وظهر لنا ذاته فيه !! فما كان ممكناً للتلاميذ أن يروا اله الالهة ورب الارباب في بهاء مجد لاهوته ، وهو الذي قال قديماً لمصغيه موسى النبي « لا تقدر أن ترى وجهي . لأن الانسان لا يراني ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) .
فحينما حل بمجده قديماً على جبل سيناء ، كان الجبل مضطرباً بالنار يدخن . وكان الامر هكذا « ان مست الجبل بهيئة ترجم او ترمى بهم . وكان المنظر هكذا مخيفاً ، حتى قال موسى ، انا مرتعب ومرتعد » (خر ١٩ : ١٢ : ١٨ - ٢١) .

في العهد القديم كانوا لا يجسرون على الاقتراب من الجبل الذي حلت بمجده فوقه ، وفي العهد الجديد — عهد النعمة والانضاع — حملتك امك الطاهرة ، وحملك سمعان الشيخ على ذراعيه (لو ٢ : ٢٨) . اكلت وشربت مع البشر ، بل قدمت ذاتك مأكلاً حياً لهم ليثبتوا فيك وانت فيهم .. لقد قيل عنك انك « نار آكلة » (عب ١٢ : ٢٩) ، فكيف استحالحت هذه النار التي افنت المضادين ، وابادت المدن (٢ بط ٢ : ٦) ، الى سلام يملأ العقل والفكر والقلب ، حتى قيل عنك ، انك « سلامنا » (اف ٢ : ١٤) !!

ما كان ممكناً للبشر ان يروا « القديس الجالس بين تسبيحات اسرائيل » (مز ٢٢ : ٣) الا في ثوب الانضاع . لهذا كان القديس اوغسطينوس يقرن التجسد بالتواضع ، ويقول في ذلك ان ابن الله تجسد ليصالح البشر مع الله ، وليشفى قلب الانسان من داء الكبرياء . فحقق الغاية الاولى بهوته ، والثانية بانضاعه . وهكذا كانت حياة المسيح محبة وتواضعاً وآلاماً .

لقد استعرض القديس باسيليوس الكبير حياة السيد المسيح من ميلاده الى موته ، واستنتج منها ان المسيح علمنا بسائر اعماله فضيلة الانضاع خاصة :

لقد أوضح الرب انتفاعه بمشاركته لطبيعتنا ، حينما « أخطى نفسه آخذا صورة عبد ، صائرا في شبه الناس » (في ٢ : ٧) . كما أظهره بولادته من أم فقيرة في مكان حقير ، دون أفقر فقير في هذه الدنيا . وفي هروبه من وجه هيرودس الطاغية كائنه ضئيف ، بينما هو ميناء المتعبين وملجأ الهاربين . وفي خضوعه لأمه الطاهرة ويوسف النجار (لو ٢ : ٥١) . وفي تقمصه الى يوحنا المعمدان ليعتمد منه كأحد الخطاة . في عيشة الفقر الاختياري التي عاشها التي عبر عنها الرسول بقوله « فأنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح انه من أجلكم أفقر وهو غني ، لكي تستغنوا انتم بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) . وفي خضوعه للناموس ، وفي دخوله اورشليم (مت ٢١ : ٥) . وفي الاهانات الكثيرة التي لحقته من الكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة ، التي ختمها بموته على الصليب ميتة العار واللعنة (مز ٢٢ : ٦ ، ٦٩ : ٩ ، اش ٥٢ : ٣) . الامر الذي عبر عنه الرسول بقوله « واذا وجد في الهيئة كائنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٨) .

لقد لاحظ القديسان اوفسطينوس وايرونيμος ، ان السيد المسيح بدأ عظمته على الجبل بالحديث عن الانتضاع ، بقوله « طوبى للمساكين بالروح » . وهكذا يكون قد بدأ وعظمته بالانتضاع ، وسار فيه حياته كلها ، وانتهى به بموته .

لقد عاش السيد الرب فقيرا ، دون طير السماء وطحالب الحقل ، حتى انه قال عن ذاته « للطحالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، واما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه » (مت ٨ : ٢٠) . كان يخفى مجده ، بينما يعلن عاره . . . فقد كشف مجده فوق جبل التجلي لثلاثة فقط من تلاميذه بينما أظهر عاره وموته لأمم كثيرة ، حتى كتبت علة سلبه فوق صليبه بأشهر ثلاث لغات في العالم آنذاك ! وحتى هؤلاء التلاميذ الثلاثة الذين كشف مجده أمامهم ، نجده يوصيهم — وهو نازل من الجبل — ألا يعلموا أحدا بما رأوا حتى يقوم ابن الانسان من الاموات (مت ١٧ : ٩) . ولما أراد الشعب ان يقيمه ملكا عليهم اختفى عنهم (يو ٦ : ١٥) ، وحينما أرادوا اهانتة واحتقاره أسلم ذاته لهم بارادته . ولما كان الناس والشياطين يمدحونه كان ينتهرهم ليسكتوا ، وحينما كان يشتم ، كان يصمت ولا يفتح فاه !

لقد كانت الخطية الاولى التي اسقطت جنسنا هي الكبرياء فلا عجب ان راينا الله يعالجها بالانتضاع .

وبعد ، لعل أبرز صورة في حياة رب المجد ، واروعها جميعا ، هي حينما اتحنى وغسل أرجل تلاميذه ، ومسحها بالمشقة التي كان مترزا بها (يو ١٣ : ٣ — ٥) . فبعد أن سجل يوحنا التلميذ الوديع ، مجد لاهوت المخلص بقوله « يسوع وهو عالم أن الأب قد دفع كل شيء الى يديه وأنه من

عند الله خرح وإلى الله يمضي « سجل انتضاعه العجيب فقال « قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ، ثم صب ماء في مغسل ، وأبتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرا بها « ... على أى شيء تدل تصرفات رب المجد حينما « خلع ثيابه ، وغسل أرجل تلاميذه ، ومسحها ؟ ان خلع الثياب يشير الى التخلي عن الكرامة الشخصية والمجد الذاتي ، وغسل الأرجل يدل على وضع الذات الى أبعد الحدود ، وعلى الخدمة المتضعة المفكرة لاتعابها ، ومسح الأرجل يظهر الحنان والعناية في انتضاع بليغ ..

وبعد أن انتم العملية اتمعها بالوصية الروحية ، قال لهم « انتمهمون ما قد صنعت بكم ؟ انتم ندعوننى معلما وسيدا وحسنا تقولون لائى انا كذلك . فان كنت فانا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم ، فانتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لانى اعطيكم مثالا ، حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضا . الحق الحق اقول لكم انه ليس عبد اعظم من سيده ، ولا رسول اعظم من مرسله . ان علمتم هذا فطوباكم ان عملتموه « (يو ١٣ : ١٢ - ١٧) .

الانتضاع في حياة القديسين

● « ان اراد أحد أن يأتى ورائى فليترك نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعنى » (مت ١٦ : ٢٤) .

● « من لا يحمل صليبه ، ويترك ورائى ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا » (لو ١٤ : ٢٧) .

يعتبر انكار الذات شرطا أولا من شروط التلمذة المسيحية . لقد فهم محبو الرب وانتياؤه وقديسوه هذه الكلمات الذهبية ، وحفروها على قلوبهم ، وطبعوها بحروف من نور ، ماستناروا هم بها ، وأناروا لمن حولهم طريق الرفعة والمجد ، لقد جاهدوا في انكار ذواتهم ، مترسمين خطوات مخلصهم في انتضاعه العجيب ، ترن في آذانهم كلماته الالهية الخالدة « ليس التلميذ أفضل من معلمه ، ولا العبد أفضل من سيده ، يكفى أن يكون التلميذ كمعلمه ، والعبد كسيده » وهكذا نالوا مجدا الهيا عظيما .

فهم القديسون أن الانتضاع هو حجر الزاوية في صرح بناء حياتهم الروحية . فركزوا جهادهم لاقتنائه ، فكل أعمال النسك الاخرى لا تقوم بدونه ، بل هي مرفوضة . ولقد احسنت الام ثيودرة الراهبة التعبير عن ذلك بقولها « لا نسك ولا تعب ولا صوم يقوم مقام التواضع الكامل . لأنه قيل عن انسان متوحد

كان يخرج الشياطين ، فسألهم قائلا : بماذا تخرجون ، ابالصوم ؟ فقالوا :
حن ما نأكل قط . ابالسهر ؟ فقالوا نحن لا ننام . ابترك العالم ؟ فقالوا ان
سرارى والخرائب سكننا . فقال لهم : بماذا تخرجون انن ؟ فاجابوا : لا
يوجد شئ يسحقنا سوى الاتضاع .

ولقد بلغ القديسون في احتقارهم لذواتهم ، حدا انهل الشياطين — وانكسر
سلحتنا في هروبها ضدهم ، بل حطمتها تحطيمًا . ومن كان منهم — تقاتله
الشياطين وجها لوجه — انتصروا عليها وقهروها بسلاح الاتضاع والمسكنة
الروحية . فقد ذكر عن القديس الانبا انطونيوس في جهاده ضد الشياطين التى
كنت تقاتله عيانا ، انه كان يقول لها « يا اتويا ماذا تريدون منى انا الضعيف ؟
وما هو قدرى حتى تجمعن على كلكم ؟ الا تعلمون انى تراب ووسخ وكلا
شئ ، وضعيف عن قتل أحد اصاغركم ؟ » كان يلتقى بذاته على الارض
ويصرخ قائلا « يارب اعنى وقو ضعفى . يارب لا تتخل عنى ، ولا يقوى على
هؤلاء الذين يحسبون انى شئ . يارب انت تعلم انى ضعيف عن مقاومة أحد
اصافر هؤلاء » . فكانت الشياطين اذا سمعت هذه الصلاة المملوءة حياة
واتضاعا تهرب منه ، ولا تقدر على الدنو منه .

كانوا عمالقة في الروح ، ومع ذلك شعروا بانهم خطاة — بل اكثر
الناس خطية ، فكانت حياتهم كلها نبوعا لأجل هفوات وسهوات لحقتهم كبشر
وهم لم يفصبوا انفسهم على النوح والدموع تفصبا وقهرا ، لكنها مشاعر
وصلوا اليها ، حينما اكتشفوا حقيقة انفسهم على ضوء عظمة الله واتضاعه
وحبه . وهذا ما نلمسه فى اثنائهم . فلقد قال ابراهيم قديما عن ذاته انه
تراب ورماد (تك ١٨ : ٢٧) . ولما سئل يوحنا المعمدان عن ذاته ورسالته ،
اجاب بانه مجرد صوت صارخ فى البرية ، ينادى الناس أن يقوموا طريق
الرب (يو ١ : ٢٣) . واعتبر القديس بولس العظيم ذاته تذارة العالم ووسخ
كل شئ (١ كو ٤ : ١٣) ، بل انه دعا ذاته أول الخطاة (١ تي ١ : ١٥) .
والواقع انهم لم يكونوا كذلك ، بل ان انكارهم لذواتهم هو الذى رفعهم فى
نظر الله ، وشدة مسكنتهم هى التى ابرزت فضيلتهم . ان القديسين يشبهون
فى ذلك ، الشجرة المحملة بالثمار الكثيرة ، التى تميل بأغصانها نحو الارض ،
بعكس الافرع الخالية من الثمر ، التى ترتفع متشامخة الى اعلا ! وهم ايضا
كالفحم المتقد تخفيه طبقة من الرماد تحجب رؤية ناره ، لكن هذا لا يمنع
الحرارة والدفاء أن ينبعثا منه ، يستدفئ بهما كل من يقترب منه !

والقديسون فى اتضاعهم ، لم يكفوا عن الجهاد ، ولم يطمئنوا الى ذواتهم
طالما كانوا فى الجسد ، رغم ما ادركوه من درجات روحية عالية . وهكذا
غدت حياتهم سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد فى طريق الكمال المسيحى ،
وخطوات ثابتة متلاحقة ارتقوا بها سلم السماء . ومن عبارات أحد القديسين

التي قدمها نصيحة لآحد تلاميذه « إذا مححك سرك ، فقل له : لماذا تضحى ؟ ان المسافرين في البحر ، حتى ولو هذا عنهم هيجاته ، فما داموا بعد في اللجة ، فانهم يتوتعون رجفاته وغرقه ، وهم لا يطمئنون ولا ينخدعون بهدوئه حتى يصلوا الى الميناء . فكثيرون كانوا على فم الميناء لكنهم هلكوا » .

وبالرغم مما وصلوا اليه من تراجت روحية عالية ، استحقوا بسببها انعامات ومواهب الهية ، لكنهم — مع ذلك — كانوا حريصين على نسبة كل مجد ، وكل عمل ، بل كل شيء ، لقوة الله . حتى ان القديس مقاريوس الكبير في إحدى المعجرات — التي سأل فيها ميتا عن شيء فاجابه — لما رأى تلاميذه متعجبين ، قال لهم « ليس من اجلى كان هذا الامر ، لاني لست شيئاً . بل انما صنع الله هذا من اجل امرأة هذا الرجل وابنائها اليتامى » .

كما كانوا حريصين كل الحرص على اخفاء فضائلهم . وكانوا حينها يضطرون الى ذكر شيء او معجزة او قوة الهية تمها الرب معهم — كنوع من التعليم لتلاميذهم — ما كانوا يسمحون لانفسهم ان يذكروها على انها حدثت معهم بل كانوا ينسبونها الى غيرهم .

وقد قاتهم سلوكهم في طريق الاتضاع الى حالة روحية عالية ، اسموها « الموت عن العالم » . وهكذا عاشوا امواتا عن العالم ، لكن احياء لله في المسيح . ومن ثم احتلوا الاهانات والشتائم والمذلات ، ووضح هذا الانجاء في حياتهم وتعاليمهم . **قد اراد القديس مقاريوس الكبير ان يلقن هذا الدرس الى اخ جاء يسترشد به فقال له « امض الى المقابر اشتم الموتى » .** فمضى الاخ وشمهم ورجمهم ، وعاد واخبر القديس بما عمله . فسأله القديس « اما اجابوك بشيء ؟ » فقال « لا » . فقال له القديس « اذن امض غدا وامدحهم » . فمضى الاخ ومدحهم قائلاً « يا قديسون ، يا ابرار ، يا صديقون » وعاد واخبر القديس بما صنعه . فقال له « اما اجابوك بشيء ؟ » فقال « لا » . حينئذ قال له القديس « ان كنت حقاً قد مت مع المسيح ودفنت معه ، فكيف هكذا مثل اولئك الاموات ، لان الميت لا يحس بكرامة ولا باهانة ، وبذلك تستطيع ان تخلص » .



الاتضاع أساس الفضائل

اجمع القديسون على أن الاتضاع هو أساس جميع الفضائل . فالقديس كبريانوس يدعو « أساس القداسة » ويدعوه القديس ايرونيموس « أول مصيلة للمسيحيين » . هم يشبهونه بجذر النبات أو الشجرة . فالاتضاع بالنسبة لبقية الفضائل كالجذر بالنسبة للشجرة . فهي لا تقدر أن تنمو أو تثمر أو تعمر ما لم تمد اصولها وتعمقها جيدا في التربة . ويقدر ارتفاع الشجرة إلى أعلا ، بقدر ما تعمق جذرها وتوغله في باطن الأرض . وقد شبهه الآباء أيضا بأساس المنزل . وقالوا أن الأساس الذي يلزم لاقامة بناء صغير ، غير الذي يلزم لاقامة بناء ضخم . فكلما أردنا الارتفاع بالبناء إلى أعلا وجب التعمق في الأساس إلى أسفل . هكذا الاتضاع الذي يحمل بناء حكمة روحية . . أن الزهرة إذا انفصلت عن اصلها ذبلت ، هكذا الفضيلة إذا قطعت من اصل الاتضاع تجف سريعا .

قال الأب يوحنا كسيان « لقد كان من المسلم به عند الآباء النساك الأولين كمبدأ من مبادئ السيرة الروحية — أنه من المستحيل أن يقضى أحد نقاوة القلب أو كمال فضيلة أخرى من الفضائل ما لم يعتقد أولا أن اجتهداه كله ، واتعابه جميعا ، ليست كافية فيها بطلبه ، بل هي باطلة دون معونة ونعمة خصوصية من قبل الله ، وهذا هو عين الاتضاع . لذا حكم القديس أن هذا هو الأساس لكل الفضائل » .

ولا يعتبر الاتضاع أساسا لكل الفضائل فحسب ، بل سندنا ومعينا لها . فبسببه تتفاضل معونة الله جدا على الإنسان المتضع . قال مار سحو « أعلم أن قيامك في العفة والفضيلة ، ليس هو نتيجة حرصك أو مصيبتك بل أن النعمة الإلهية هي الحاملة إياك على راحة يدها لئلا تتحرك متربلا . انكر هذا دائما . وإذا تعظم فكرك ، غابك واحزن وانتحب وتمرع على الأرض بوجهك وادكر زلاتك ، لعلك تنحو من هذا الفكر وتقتنى الاتضاع . مسخر . أن يملأ عقلك فكر الاتضاع ، تغفر لك خطاياك بغير عمل (١) . وكما من خطايا عظيمة صعبة استطاع الاتضاع أن يرفعها » .

ولكن هل من تعارض بين القول بأن الاتضاع هو أساس الفضائل . والقول بأن الإيمان هو الأساس ؟ لا يوجد أدنى تعارض في ذلك . موضح

(١) لا ينكر مار اسحق أعمال التوبة الأخرى ، بل يقصد أن تصاع صبر . بجعل الله يرفع عنا الحروب والقتالات ، التي كثيرا ما تكون نتيجة تحسن النعمة الإلهية عنا بسبب كبريائنا .

الاساس لبناء منزل يقتضى شيئين : الحفر واستخراج التراب حتى نصل الى الارض الصخرية ، ثم وضع الاساس . ودور الانتضاع هو الحفر والتعميق حتى يصل الانسان الى الصخر الذى هو المسيح (١ كو ١٠ : ٤) . وحينئذ يضع الحجر الاول . فانت تحفر الارض جيدا بالانتضاع ، متمسكا في معرفة ذاتك ، مستخرجا كل ما يوجد فيك من تراب منهال ، اعنى الاتكال على الذات وحينئذ يكون الاساس الثابت القوي للايمان .

وها نحن نعرض لبعض امثلة من الفضائل المختلفة ترى كيف ان الانتضاع هو اساسها جميعا ، وانها بدونها لا تقدر ان تقوم .

(ا) الايمان :

يلزمه الانتضاع ، فالفكر المتكبر لا يقبل الايمان بسهولة كما قال السيد المسيح « كيف تقرون ان تؤمنوا ، وانتم تقيلون مجدا بعضكم من بعضا » (يو ٥ : ٤٤) . والانتضاع ليس فقط ضروريا لاقتبال الايمان ، بل لحفظه ايضا . وليس اهل على ذلك من ان الهرطقات تصدر عن الكبرياء . قال معلمنا بولس الرسول « في الايام الاخيرة سنأتى ازمة صعبة لان الناس يكونون .. متعظمين ، مستكبرين ، مجدفين » (٢ تي ٣ : ١ ، ٢) .

(ب) الرجاء :

يحتاج الى الانتضاع ليسنده ويدعمه . فالاتسان يرجو ما ينظره ، بل ما لا ينظره . الانسان المتكل على علمه وفهمه لا يقبل الاعتراف الا بما يراه ، لكن ترجى الامور غير المنظورة يحتاج الى انتضاع فكري .

(ج) الحب :

والانتضاع والحب يتعاقدان ويؤازر كل منهما الآخر . قال القديس يوحنا الدرجي « لا شيء افضل من الانتضاع والحب . لان الانتضاع يرفع كما قال الرب والحب يمسك في الارتفاع كما قال الرسول ان المحبة لا تسقط ابدا ، ولا تبطل » (١ كو ١٣) . وحينما نتحدث عن الحب ، نقصد حبنا لله ، وحبنا بعضنا لبعض .

فمحبتنا لله يقومها الانتضاع ويقويها . فحينما يشعر الانسان بكثرة خطاياه ، ورداءة سيرته ، ويشعر الى جانب ذلك بان الله ما زال امينا في محبته له وعنايته به ، تكون مشاعر الانتضاع والانسحاق هذه سببا في اضرام قلبه بمحبة الله . ونفس هذه المشاعر هي التي حركت القديسين — وما زالت تحركهم الى حب الله . وهكذا انشدت العذراء مريم تسبحتها الخالدة « تعظم نفسي الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى لانه نظر الى انتضاع امته » (لو ١ : ٤٧) .

اما عن محبتنا بعضنا لبعض ، فهي اكثر ما تكون حاجة الى الانتضاع فمما يثير البغضاء ويسبب القطيعة بين الناس سوء الظن والادانة والحسد

وهذه كلها تتولد عن الكبرياء . والانسان المتضع لا يحزن اذا لم يمدح او اذا مدح انسان آخر سواء ، بل هو يحب الخير لجميع الناس ، ويشعر انهم مستحقون للآكرام اكثر منه ، او بتعبير القديس يوحنا المبدان « ينبغي أن ذاك يزيد وانى أنا انقص » (يو ٣ : ٣٠) . وبتعبير معلمنا بولس « مفكرين شيئا واحدا .. بتواضع حاسبين بعضكم البعض افضل من انفسهم » (في ٢ : ٣ ، ٢) . ولا شك أن امثال هذه المشاعر كنيمة باحكام الرابطة بين الناس وبعضهم . قال الرسول يوحنا الحبيب « بهذا قد عرفنا المحبة ، أن ذاك وضع نفسه لاجلنا . فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الاخوة » (١ يو ٣ : ١٦) .

فضلا عن هذا ، فإن الناس يفضون الانسان المتكبر لمسلكه معهم : فهو — ان اخطأ — لا يعترف بخطئه ، وهو لا يطيع غيره ، وهو لا يسامح لئلا يظن ذلك ضعفا منه . وهو دائما غضوب ، متشبث بفكره ، ثرثار في الكلام ، فلنا منه أن هذا السلوك يظهر شخصيته . أما الانسان الوديع المتواضع فهو على عكس ذلك تماما . . . ان البئر كلما كانت عميقة كلما كان ماؤها عذبا ، والانسان بقدر ما يكون متضعا بقدر ما يصبح حلوا محبوبا من جميع الناس .

وان كنا قد تكلمنا عن الاتضاع كعامل هام لتدعيم المحبة ، فلا ننسى ان نقول ان الحب ايضا من ناحيته يقوى الاتضاع ويدعمه . وتبدو هذه الظاهرة ايضا في علاقتنا بالله وبالناس . فشدّة حب الله لنا يزيد انسحاقنا . فحينما نسأل في محبة الله التي جعلته يبذل ذاته الالهية عنا ، وكيف انه احتمل الالهانة من الانسان الذي يعطيه « حياة ونفسا وكل شيء » ، كل ذلك يحركنا الى الانسحاق والاتضاع .

(د) الصلاة :

يصبح خالية من القوة ان هي خلت من الاتضاع . بل هي مرفوضة . يقول ابن سيراح « صلاة التواضع تخترق السحاب ، ولا تزال حتى تصل ، وتنصرف حتى يفقدها العلى » (سى ٣٢ : ١٧) . ويهوديت المتضعة لما جلست في مخدعها لاسنة المسح ، جالسة على الرماد ، صرحت نحو الله قائلا : لم يرض بالمتكبرين منذ البدء ، بل ارتضيت دائما بتضرع المتواضعين « (يهوديت ٩ : ١١) . وقد سر ربنا بصلاة العشار المنسحقة وامتدحه يو ١٨ : ١٣ ، ١٤ .

(هـ) باقى الفضائل :

وما ذكرناه عن علاقة الاتضاع بالفضائل السابقة ، يذكر ايضا في الكلام عن بقية الفضائل كالنجد والطاعة والعفة (الطهارة) . . . بل سنرى ونحن نعالج موضوع « حياة الطهارة » ، كيف أن محاربات الزنا قد تشتد على الانسان لى بعض الاحمان . كتأديب له على كبرياء قلبه . وكيف ان الاتضاع والتدلل أمام الله يرفعان هذه القتالات .

ماذا يفعل الاتضاع ؟.

للاتضاع بركات كثيرة . فحيث الاتضاع هناك يحل الاله الوديع ببركاته ونعمه وهو خير معين لنا في جهادنا الروحي . قال مار افرام السرياني « من يشاء أن ينقل صخرة من موضعها ، يضع رافعة تحتها لا فوقها ، وحينئذ يندرجها بسهولة . فهذا هو نموذج الاتضاع » . ونستطيع أن نلمس بعض بركات الاتضاع في النواحي الآتية :

١ - يرد الإنسان الى رتبته الاولى :

كانت سقطت الانسان الاولى هي الكبرياء ، فلا عجب اذا كان الاتضاع يرده الى رتبته الاولى قبل السقوط ، بواسطة التجسد الالهى . الكبرياء اخرجت الانسان الأول من الفردوس ، والاتضاع قادر ان يرده . بالكبرياء سقط الانسان وسقطت هيئته ، وفقد سلطانه على ذاته وعلى كافة الخليقة التى خلقت لأجله ليتسلط هو عليها (تك ١ : ٢٨) . وبالاتضاع ينهض الانسان ، ويسترد هيئته ، ويستعيد سلطانه على ذاته وعلى كل الخليقة . فللقديس بولس البسيط تلميذ الاببا انطونيوس ، الذى بدأ حياته النسكية بعد سن السنين ، احرز في سنوات قليلة نعمة عظيمة حتى انه كان يعمل معجزات لم يعملها انطونيوس العظيم . لكنه كان يعملها بالاتضاع متقويا بصلاة معلمه الشيخ وطاعته له .

قال القديس الاببا انطونيوس لتلاميذه « يا اولادى ، ما الذى اخرج ربنا يسوع المسيح حتى شد وسطه بمنديل وشمر ساعديه ، وصب ماء في مفسله ، وغسل أرجل الذين هم دونه ؟ ! الا يعلننا الاتضاع بهذا المثال الذى صنعه ؟ فكل الذين يريدون الرجوع الى رتبتهم الاولى ، لا يمكنهم ذلك الا بالاتضاع .

٢ - به تقهر الشياطين :

وهذه نتيجة طبيعية . فالشياطان المتكبر ، الذى سقط من رتبته بسبب الكبرياء ، لا يحتل أن يرى انسانا متضعا . ويخزي للغاية حينما يرى أنه بعد أن أسقط جنسنا كله بالكبرياء ، يفلت الانسان من قبضة يده بالاتضاع . وحينما نشهر في وجهه سلاح الاتضاع لا يسمعه الا أن يولى الادبار في خزي وعار !

لقد خبر هذه الحقيقة القديسون في جهادهم ، وتركوا لنا خبراتهم
الروحية ، بالإضافة الى ما راوه من رؤى ، وما سمعوه من الشياطين —
كاعتراقات غير ارادية — عن ضعفهم ، وسر غلبتنا .

ذكر عن القديس انطونيوس . انه ابصر فحاح الشيطان ببسوطه
على الارض كلها ، فتهد قائلا « يارب من يقلت من كل هذه ؟ » . فثابه
صوت من السماء قائلا « المتضعون يفلتون منها » . وذكر عن القديس
مقاريوس الكبير ان الشيطان التقى به ذات مرة فقال له « ويلاه منك
يا مقاريوس . هودا ما تصنعه انت ، اصنعه أنا كذلك : انت تصوم ، وأنا
لا أكل . انت تسهر وأنا لا أنام . ولكن بشيء واحد تغلبني » فقال له القديس
« وما هو ؟ » فأجابه الشيطان « انك بالاتضاع وحده تقهرني » . قال أحد
الشيخوخ الرهبان القديسين « اذا قال الراهب لصاحبه اغفر لى ماتضاع .
تحترق الشياطين » . وقد ورد في بستان الرهبان مصداقا لذلك — قصة عجيبة .

كان راهبان ساكنين في البرية ، بحجة تقوية ، محرصى عدو الخير
على ان يفرق بينهما . ففى ذات ليلة أوقد اصفرهما سراجا ووضع على
المنارة . وبحيلة من الشيطان وقع السراج وانطفأ . حينئذ غضب الاكبر
وضربه ، فصنع الاصغر له مطانية وقال له « لا نصجر يا أخى طول روحك
على . وأنا أوقده مرة أخرى » . فلما ابصر الرب صبر الاح الاصغر ، عذب
ذلك للشيطان الى الصباح . ثم ذهب ذلك الشيطان وأخبر رئيس الشياطين
بما كان . وكان كاهن للأوثان موجودا حيث اجتمع ذلك الشيطان برئيسه .
وشاء الرب المتحنن ، أن يسمع ذلك الكاهن ما جرى بينهما من حديث ،
وما أن سمع كاهن الأوثان حديثهما ، وكيف أن الشيطان احترق من اتضاع
ذلك . حتى ترك كل شيء وآمن وترهب . ومن بدء رهبانيته كان يمارس
الاتضاع الكامل ، وكان يقول « ان الاتضاع يقدر أن يقهر ، ويحل ويبطل كل
قوة العدو . فقد سمعت الشياطين يقولون لبعضهم بعضا « كلما القينا
السجس بين الرهبان ، نجدهم يلقونه بالاتضاع ، ويعمل بعضهم لبعض
مطانيات ، فكانوا بذلك يبطلون قوتنا » .

٢ — يحفظ نعمة الله في الانسان :

الاتضاع خير حامض لنعمة الله في الانسان . انه الجو الصالح الذي
يحفظ النعمة حية . تعمل فيها . والانسان الذى يشهر فضيلته بقصد الظهور
والمباهاة يعمدها ويمقددها . ان الرماد يحفظ حرارة الفحم المتقد ، ويخفيه عن
الانظار . حتى ليبدو للناس اليه . انه مطأ . وعلى هذا النحو يحفظ الاتضاع
حرارتنا الروحية ، ويخفى فضائلنا فتحفظ . لقد كان فرعون مصر يقتل كل
الاطفال الذكور الذين تلدهم العبرانيات في زمان ولادة موسى . لكن موسى
عاش لأن أمه اخفته مدة . . هكذا الفضيلة — وهى مولود النفس — ان لم
خضعها من فرعون الروحى — أى ابليس — لمن يكتب لها الحياة والنمو .

٤ — يرفع المتواضعين :

قال بطرس الرسول « تسربلوا بالتواضع ، لأن الله يقاوم المستكبرين ،
وأما المتواضعون فيعطيه نعمه . فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم
في حينه » (١ بط ٥ : ٥ ، ٦) . وقال يعقوب الرسول « اتضعوا قدام
الرب فيرفعكم » (يع ٤ : ١٠) . وقال الرب قديما بلسان اشعيا النبي
« الى هذا انظر . الى المسكين والمنسحق الروح ، والمرتعدين من كلامي »
(اش ٦٦ : ٢) . قال القديس يوحنا الدرجي « اذا كان الشيطان سقط
من السماء بالعظمة وحدها ، فالانضاع وحده يرفع الانسان الى السماء .
ولهذا قال ربنا من يضع نفسه يرتفع ، ومن يرفع نفسه يتضع » .

ان قائد الملة الاممي ، الذي قال عن ذاته في اتضاع ، انه غير مستحق
لدخول السيد المسيح الى بيته ، مدحه الرب وفضله على كل اليهود بقوله
« لم اجد ولا في اسرائيل ايمانا بمقدار هذا » (مت ٨ : ١٠) . والفريسي الذي
صلى في الهيكل ، وكانت له فضائل وحسنات ، اخذ يعددها امام الله لكن
برهو ونشايخ بقوله « لست مثل ماتي الناس الحاطفين ، الظالمين ، الزناة ،
ولا مثل هذا العشار ، اصوم مرتين في الاسبوع ، واعشر كل ما اقتنيه »
هذا الفريسي شجب ، ومض عليه العشار المنسحق القلب الذي صلى في
انسحاق قائلا « اللهم ارحمني انا الخاطيء » (لو ١٨ : ٩-١٤) . **ويوحنا**
المعمدان الذي قال انه غير مستحق ان ينحني ويحل سبور حذاء المخلص صار
حبيبا له ، وبه التي قال انها غير مستحقة لحل سبور حذائه ، هي اليد التي
كرمها الرب بان وضعها على راسه في مياه الاردن ، حين تقدم الرب في اتضاع
ليعتمد منه قائلا « اسبح الآب . لانه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر » (مت ١٥ : ٣) .

قالت حنة أم صموئيل النبي « الرب يقيم المسكين من التراب . يرفع
الفقر من المزملة للجلوس مع الشراء ويهلكهم كرسى المجد » (١ صم ٢ : ٨)
وردد داود النبي نفس هذا المعنى في مزموره (١١٣) . وقالت العذراء مريم في
سباحتها الخالدة التي انشدتها في مسامح نسيبتها اليسانبات « صنع قوة
بذراعه شقت المسكرين بفكر قلوبهم . انزل الاعزاء عن الكراسي ورفع
المتضعين . اشدع الجوع حيرات ، وصرف الاغنياء فارغين » (١ : ٥١-٥٣) .

وربما يسوع المسيح نفسه ، بعد أن عرض الرسول بولس لاتضاعه
العجيب قال « اذلك رفعه الله ايضا واعطاه اسما فوق كل اسم ، لكي تحثوا
باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ، ومن على الارض » (في ٢ : ٧-١٠) .

لقد رفع الاتضاع داود الفتى الصغير وملكه على اسرائيل . وكم من
قديسين أتى بهم الاتضاع من زوايا النسيان ، ورمعهم الى كرسى المجد . قال
القديس مار اغرام السرياني « اننا محتاجون الى النواضع لنجذب الرافات
الينا من الله ، لأنه قد كتب أنه بتواضعنا ذكرنا الرب ، وانقذنا من أعدائنا » .

٥ — يكشف الأسرار ويؤهل للمواهب :

والله يكشف أسرار له للمتضرعين . فقد قال داود النبي « سر الرب حافيه » (مز ٢٥ : ١٤) . وقال الحكيم أن سره عند المستقيمين (ام ٣ : ٣٢) .
 وجس أكثر من المتواضعين مخالفة واستقامة . وقال ربنا يسوع المسيح ، بعد
 - وبخ كفرناحوم على كبريائها « أحمك أيها الأب رب السماء والأرض ، لأنك
 حببت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال . نعم أيها الأب لأن هكذا
 صارت المسرة أمامك » (مت ١١ : ٢٣-٢٦) ، وليس الأطفال هنا سوى
 متواضعين . قال مار أسحق « المواهب لا تمنح من أجل الأعمال ذاتها ، وإنما
 من أجل الاتضاع الذي عملت به » . وقال « من الأحزان يتولد الاتضاع ،
 وبالانضاع تعطى المواهب . فالمواهب لا تعطى اذن للأعمال ، ولا للأحزان ،
 بل تعطى بسبب الاتضاع المنولد منها » . كما قال أيضا « قتل السقوط
 تكبرياء ، وتقبل المواهب الاتضاع » .

٦ — يثمر فرحا وسلاما قلوبيا :

ومن ثمار الاتضاع . الراحة النفسية ، والسلام القلبي ، والفرح الذي
 ينطق به . قال رب المجد « علموا مني لاني وديع ومتواضع القلب . فتحدوا
 راحه لنفوسكم » (مت ١١ : ٢٩) . وقال داود النبي « بالرّب تعتخر نفسي
 بسمع التودعاء فيفرحون » (مز ٣٤ : ٢) . كما قال « حولت نوحى الى فرح
 لى . حللت مسحي ومنطقنى سرورا » (مر ٣٠ : ١١) . قال القديس الآبنا
 باخوميوس أب الشركة « كن متواضعا لتكون فرحا ، لأن الفرح يتمشى مع
 الاتضاع » .

ان القلق والاضطراب يعمل في قلوب المكبرين ، والخيظ يأكل قلوبهم .
 ومن أمثلة ذلك هيمان الذى امتلأ عيظا على مردخاى لما لم يقدم له الاحترام
 لى اراده (اس ٥ : ٩) . ومن الأمور التى تسبب راحة للنفس الاعتراف
 بالخطأ . وهذه ناحية تميز المتضرعين عن المتكبرين ، الدين — بسبب كبريائهم
 — يحرمون عن الاعتراف بخطأهم — فلما منهم ان ذلك يحط من قدرهم —
 فننعكس اثر ذلك فى حياتهم نتيجه عدم ايمانهم فى ممارسه سر الاعتراف .
 بسبب كبريائهم التى تستقر فى الخجل .

٧ — يحكم المتواضعون :

قال سليمان الحكيم « ناسى الكبرياء فيأبى الهوا . ومع المتواضعين
 حكمة » (ام ١١ : ٢) . وقال أيضا فى سفر الحكمة عن الحكمة ذاتها
 « جاءتني الخيرات كلها جملة معها ، والثروة التى لا تحصى بيديها » ، حكمه
 (٧ : ١١) . وقال داود النبي « شهادة الرب صادقة تحكم الأطفال »
 (مز ١٩ : ٧) . والأطفال هنا هم المتضرعون . وقال يسوع بن مريم
 « حكمة المتواضع ترفع راسه ، وتجلسه فى وسط العظماء » (سى ١١ : ١) .

قال القديس يوحنا الدرجي « الوداعة هي مفتاح باب المعرفة ، لان الله يعلم الودعاء طرقه » . وقال القديس مار افرام السريتي « في الرجل الوديع والمتواضع تستريح روح الحكمة » . وقال القديس الانبا باخوميوس « كن متضعا ليحرسك الرب ويتوبك ، فانه يقول انه ينظر الى المتواضعين . كن وديعا ليحكبك الرب ويملاك معرفة ومهما ، لانه مكتوب انه يهدي الودعاء بالحكم ، ويعلم المتواضعين طرقه » .

٨ — يعطى الصبر والاحتمال :

الانسان المتكبر دائم الشكوى ، متبرم من الحياة ، يشعر انه مظلوم وحقه مهضوم والناس لا يقدرونه حق قدره . وعلى العكس من ذلك المتواضع الذى يعرف نقائصه ويصبر على ما يأتى عليه من البلى ، وينسب الى ذاته اللوم فى كل شيء ، ولا يقيم وزنا لتقدير الناس له ، لانه يستهدف ارضاء الله ، ولسان حاله ما قاله ميخا النبى « ولكنى اراقت الرب ، اصبر لاله خلاصى .. واحتمل غضب الرب لانى اخطأت اليه » (مى ٧ : ٧ ، ٩) . هكذا نرى ان الانضاع يدرنا على الصبر والاحتمال . قال يشوع بن سيراخ « يا بنى ، اذا تقدمت لخدمة الرب . اعدد نفسك للتجربة ، وضع قلبك واحتمل .. التصق بالله وكن صبورا .. كلما اناك فاقبله واصبر على الوجع ، وفى انضاعك كن صبورا » (سى ٢ : ١-) .

٩ — يعين ويخلص من الضيقات :

راينا كيف ان الانضاع يدرنا على الصبر والاحتمال . والصبر والاحتمال — فضلا عن اكليلهما — فانهما يهونان من امر التجارب والضيقات التى تحمل بنا — سواء الضيقات والتجارب التى تأتى علينا من الله لامتحاننا وتزكيتنا ، او التى يسمح بها الرب ان تأتى علينا من عدو الخير لتأديبنا .. ان الانضاع فضلا عن ذلك فانه يوجد نوعا من العزاء للمتضايقين كما قال بولس « لكن الله الذى يعزى المتضامين عزانا » (٢ كو ٧ : ٦) . بل انه يعطى خلاصا من الضيقات ذاتها كما قال داود النبى « اتضعت فخلصنى » (مز ١١٦ : ٦) .

قال مار اسحق « يسمح الله بالتجارب والموارض ان تأتى علينا — حتى القديسين — لكى ندوم فى الانضاع . فاذا قسينا قلوبنا تجاه الموارض والتجارب ، يشدد الله التجارب ويمسبها . اما اذا قابلقنا التجارب بانضاع وقلب منسحق ، فالله سوف يمزج التجربة بالرحمة » . وقال « اذا نظرت النعمة فوجدت ان قلب الانسان ابتدا يتحرك بفكر العطية او الاعتداد بالنفس ، تتخلى عنه قليلا ، ليمتحن بصعوبة الوقوف وحده قبل التجارب » . قال احد الابرار القديسين « الانضاع خلص كثيرين بلا تعب . وتعب الانسان بلا انضاع يذهب باطلا . لان كثيرين تعبوا فاستكبروا وهلكوا » .

وفي حروب الزنا والشهوة نجد أن الاتضاع من العوامل الهامة لرفعها وإبطالها . قال القديس أوغسطينوس « أن الوساطة الكبرى في اقتناء العفة وحفظها ، هو التأكد أننا عاجزون عن اكتسابها بذواتنا واجتهادنا ، لأن الذي يعتمد على ذاته وجهده يستحق أن يضررها » . قال الحكيم في سفر الحكمة « ولما عرفت أنني لا أستطيع أن أكون عفيفا أن لم يعطيني الله ، ذهبت إلى الرب وتضرعت إليه » (حكمة ٨ : ٢١) . . . ومصدقا لذلك ، أورد بلاديوس المورخ قصة عن الأنبا بلامون ، الذي كان قد طعن في سنة ، وبلغ السبعين من عمره ، ومع ذلك لم يسترح من قتالات الزنا الصعبة . هذا القديس ، أشد عليه القتال اثنتا عشرة سنة . وتقدر ما كان يجاهد ، بقدر ما كانت القتالات تظل شديدة . وفي ذات يوم ظن أن الله أهمله ، فسمع صوتا من السماء يقول له « اعلم أن سبب سماح الله بتحريك هو لكي نعرف ضعفك وفقرك وقلة ما عندك . وعلى ذلك تجرد من كل اعتمادك على ذاتك ، واتضع أمامي ، والتجئ إلى فقط في كل شيء » . فتعزى أنبا ماكون جدا ، وارتفع عنه القتال .

١٠ — يرفع غضب الله ويعطى اجابة للصلاة :

وقد أورد الكتاب المقدس أمثلة كثيرة عن ذلك . فقد قيل عن حزقيا ملك يهوذا « ثم تواضع حزقيا بسبب ارتفاع قلبه هو وسكان اورشليم ، فلم يأت عليهم غضب الرب في أيام حزقيا » (٢ أي ٣٢ : ٢٦) . وقيل عن بنسي ملك يهوذا — الذي عمل الشر في عيني الرب — وسباه جنود ملك آشور بعد أن قبيده سلاسل نحاس ووضعوا له خزامة ، أنه لما نضيق مما حدث له « طلب وجه الرب الهه ، وتواضع جدا أمام اله آباءه . وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه وردة إلى اورشليم مملكته » (٢ أي ٣٣ : ١٢) . وأيوب الصديق الذي خاطب الرب باتضاع في آخر تجربته قائلا له « قد علمت أنك تستطيع كل شيء ، ولا يعسر عليك أمر . من ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة . ولكني قد نطقت بما لم أفهم . بعجائب فوقى لم أعرفها . اسمع الآن وأنا أتكلم . أسألك فتعلمني . سمع الآدن قد سمعت عنك . والآن رأتك عيني . لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد » (أي ٤٢ : ١-٦) . أيوب هذا ، بعد هذه الكلمات ، رفع الرب وجهه ، ورد سببه . وبارك آخرته أكثر من أولاه (أي ٤٢ : ٩ ، ١٠ ، ١٢) .

وليس أقوى من وصية الرب نفسه التي اعطاها لسليمان بن داود « فإذا تواضع شعبي الذين دعى اسمي عليهم ، وصلوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الردية ، فأنى اسمع من السماء واغفر خطيتهم وأبرء أرضهم » (٢ أي ٧ : ١٤) .

كيف نقضى الانضاع ؟

هناك أناس متضعون بطبيعتهم . ومن هؤلاء من ولدوا بسطاء ، فمن شأن البساطة أن تقوى الانضاع وتنبيه . وهناك أناس اقتنوا الانضاع عن طريق الجهاد الروحي ، وممارسه التدريبات الروحية . على أى الحالات ، يستطيع كل انسان أن يكون متضعا ، أن هو سلك الطريق الذى يقود اليه . ونحن لا ننكر أنه طريق صعب ، بل هو عين الطريق الكرب ذى السباب الضيق الذى يدخل منه قليلون . سكن تعزيتنا أنه يوصل الى مدينة الفرح ، التى هرب منها الحزن والكآبة والتنهيد . .

هو طريق طويل — ولا شك — ويحتاج الى تدريب مستمر ، مع تهمس الارادة والمشية ، والتغصب فى أشياء كثيرة تضار رغبات النفس والجسد . والسلوك فى تدريب الانضاع يكون صعبا وشاقا فى اوله ، ثم ما يلبث أن يصبح امرا محببا للنفس التى تمارسه بعد أن تتذوق حلاوته . **قال القديس يوحنا الدرجى** « فى الابتداء نبغض المديح بتغصب وتعب . ثم ينمو الانضاع بفعل الفضائل فيحسب الانسان كل ما يكمله من صلاح كلا شيء ، بل كالشيء المرذول ، حتى نرى كأننا نزيد على خطايانا . وحينئذ يتحفظ العقل فى كيس الانضاع ، فلا يسرق من مناظر ومسموعات . واذا نما (الانضاع) الى طبقة الكاملين ، فلا أعرف أن اشرحه حينئذ . انه كالنات الذى لا يقف نموه ما دام يسقى من ماء الفضائل الطاهرة » .

وما نحن الآن نتناول بعض الأمور التى تصينا على اقتناء هذه الفضيلة . ونود أن ننبه الى أن حديثنا هنا ، يكمله ما سيرد ذكره فى موضوعى الكبرياء والكرامة . فثلاثتها تؤلف وحدة واحدة تقودنا الى حياة انكار الذات .

(أولا) التطلع الدائم الى انضاع مخلصنا :

فى التطلع الدائم الى المخلص بركنت لا تحصى . ويحضنا الرسول على ذلك بقوله « ناظرين الى رئيس الايمان ومكمله يسوع » (عب ١٢ : ٢) ، وبقوله ايضا « كونوا متمثلين بى كما انا ايضا بالمسيح » (١ كو ١١ : ١) . وفى مقدمة الركائز التى نجنيها من التطلع اليه ، الوداعة والانضاع . والرب نفسه يدعونا الى ذلك بقوله « **تعلموا منى** لأنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم » (مت ٢٩ : ٢٩) . **قال القديس يوحنا الدرجى** « قال

أرب تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب . اى ليس من ملاك ، وليس من نسان ، وليس من كتاب تتعلمون اتضاع القلب ، ولكن منى . » وهكذا مع الاتضاع من الاله الوديع . **قال القديس مار افرام السريانى** « ماذا ضيع ان نقول لله ، وماذا احتجنا ان يصنعه بنا ولم يفعله ؟ اما رايانا الله به متواضعا بصورة عبد ، لتتواضع نحن ونصير متواضعين ؟ اما رايانا بحبه الاتقدس الذى لا يصفه عقل ، مبصوقا عليه ، لكى اذا شتمنا وانتهرنا روحش ونقهر ؟ بل اما شاهدنا ظهره ببذولا للسياط لكى نخضع لمديبرنا ؟ وما عيننا وجهه وقد لطم لكى اذا رفضنا لا نقهر ؟ هل ما سمعنا عنه انه لم يصب ، ولم يجاوب لكى لا نكون مستبدين براينا ولا نجاوب ؟ واما سمعناه عن انا لا اعمل من ذاتى شيئا حتى لا نصير نحن متعظمين مالمكن مشبهتنا - سا ، وحاولين السلطان على ذاتنا . **بل ترى اما سمعناه يقول تعلموا منى فانى وديع ومتواضع القلب ، لنصير نحن ودعاء ومتواضعى القلب !!** » .

(ثانيا) معرفة الانسان ذاته :

ان الذى جذب القديسين الى حياة انكار الذات ، لم يكن جمال الاتضاع كفضيله مقدسة فحسب ، بل ايضا - وهذا هو الهم - اكتشافهم لحقيقة انفسهم فى نور الله . فهباء الغبار فى الحجرة المظلمة لا يرى الا اذا دخلتها نعمة الشمس ، وهكذا ذواتنا - بما فيها من خطايا - لا نراها الا على ضوء به . ومن ثم قال الآباء « ان معرفة الانسان لذاته ، هى الواسطة الموصلة لمعرفة لله » . ولقد حاعت هذه الحكمة ، مؤمنة لجماع الفلسفة القديمة اعرف نفسك . فيجب ان اعرف نفسى أولا ، ومتى عرفتها جيدا ساتضع . ولكن قبل ان اعرفها فلن يكون اتضاع كما ينبغي .

والاتضاع لا نتعلمه من مجرد القراءة فى الكتب ، او الاستماع الى تعاليم المعلمين ، او محاكاة القديسين . لأننا لو فعلنا ذلك - دون معرفة ذواتنا - لجاء اتضاعنا ضربا من الزيف ، ولونا من الرياء . **قال مار اسحق طوبى** للانسان الذى يعرف ضعفه فان هذه المعرفة تكون له اسباب صالحا ، ومصدرا لكل خير . لأنه اذا عرف ضعفه ضبط نفسه من الاسترخاء وطلب معونة الله ، وتوكل عليه . ويساعدنا على هذه المعرفة التأمل فى النقاط الآتية :

(١) التأمل فى حقيقة ذاته :

لقد اقتبلنا وجودنا من الله مجاتا ، وثلنا خلاصنا منه مجاتا ايضا « اذ كنا بالطبيعة اثناء الغضب » (اف ٢ : ٣) . والله نفسه هو الذى دعانا من الظلمة الى نوره العجيب (١ بط ٢ : ٩) . وهكذا أصبحنا احياء بل ابناء . ولم يدفع الله الى ذلك استحقاق لنا سابق او لاحق بل مجرد جوده ورحمته ، وما زال يسندنا ويحفظنا بيده القادرة على كل شيء لئلا نرجع فنسقط .

ثم من أنا ؟ أنا تراب . بل أنا عدم ولا شيء . مر وقت كان العالم فيه موجودا ، ولم أكن أنا موجودا . خلق الله للتراب أولا ، ثم خلقني من التراب . بل أنا دون العدم لعدم هو لا شيء ، و « لا شيء » خير من الخطيئة التي أصنعها وأنفس بها ذاتي . واهين بها الله . أن الله هو الذي خلقني ، وهو الذي يثبتني ، وما راب يرعاني . قال داود النبي « من خلف ومن قدام حاصرته ، وجعلت على يدك » (مز ١٣٩ : ٥) . أنها يد الله أذن التي تثبتني وترعاني لنلا اعود الى العدم الذي كنت فيه أولا . ويوم يرفع الرب عني هذه اليد — الى لحظية قصيرة — اصير عدما . لقد تسأل الرسول قديما قائلا « ما هي حياتكم ؟ » ثم اجاب « انها بخار » . سهر قليلا ثم يضحك « (يوح ١٤ : ١٤) . وهكذا أوضح الرسول ماهية حياتنا . فهي من جهة حقيقتها « بخار » ، ومن جهة منتهى « تظهر قليلا » ، ومن جهة نهايتها « تضحك » . ؟

جمال الانسان ، وعقله ، وقوته ، وبنيته ، وحكمته ، وجبروته ، وسطوته ، هذه كلها من الله . اما هو في ذاته ، فما زال — رغم كل التقدم الذي احرزه في شتى ميادين العلم والثقافة والرقى — ترابا من ارض ، يرجع اليها كما كان ، بينما ترجع الروح الى الله الذي اعطاها (جا ١٢ : ٧) . وهذا الجسد الذي يفتخر به الانسان متعظما ، ما هو الا جيلة ننته ، سوف يرعى فيها الدود . وايوب الصديق الذي أدرك هذه الحقيقة قال « قلت للتبر انت اسي ، ولدود انت اسي واختي » (اى ١٧ : ١٤) .

ومعرفة حقيقة الذي أمر نلمسه في حياة رجال الله القديسين واقوالهم ونصرفاتهم . فقد قال يعقوب ابو الابرار للرب « سفير أنا عن جميع الطوائف ، وجميع الامانة التي صنعت الى عبدك . ماني بمصاي عبرت هذا الاردن » والان قد صرت جيشين » (تك ٢٢ : ١٠) . وموسى الذي عرف ضعفه « حينما أراد الله أن يحمله مسئولية قيادة شعبه وأخراجه من مصر ، قال له « من أنا حتى أذهب الى درعون ، وحتى أخرج بنى اسرائيل من مصر » (خر ٣ : ١١) . ثم عاد وقال « استمع أيها السيد ، لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ، ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقل النفس واللسان » (خر ٤ : ١٠) . وقال داود النبي والملك في صلاته الوداعية في شيخوخته « ولكن من أنا ومن هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب هكذا . لأن منك الجميع ، ومن يدك أعطيناك . لأننا نحن غرباء وأملك ونزلاء مثل كل آتائنا . أيامنا كالظل على الارض ، وليس رجاء . أيها الرب الهنا ، كل هذه الثروة التي هيكائنا لنبنى لك بيتا لاسم قدسك ، إنما هي من يدك ، ولكل الكل » (١ اى ٢٩ : ١٤-١٦) . قال مار اسحق « لا تعتمد على قوتك لنلا تترك لضعف طبيعتك ، فتعرف ضعفك من سقطتك . واعلم أن كل أمر يفتخر به الانسان ، يسمح الله تعالى بتغييره ليتواضع » .

(ب) التامل في خطاياها :

مما يعرفني ذاتي أيضا معرفتي لخطيائي ونفاسي وضعفاتي . ولذا كان القديس أوغسطينوس يصلى قائلا « الهى ، اعطني أن أعرف ذاتي ، وأن أعرفك » . . . ويعيننا في الوصول الى هذه المعرفة : تقييم ذواتنا على ضوء المقياس الكامل الذى هو كتاب الله المقدس . فهو السراج الذى ينير سبيلي في الطريق الى الملكوت (مز ١١٩ : ١٠٥) ، وهو الذى كتب لأجل تعليمنا (رو ١٥ : ٤) . ولنتأكد أننا مطالبون بحفظ كل الوصايا الالهية الواردة به لنفعلنا وتقويننا . ومن هذه الوصايا حياة الكمال المسيحى (مت ٥ : ٤٨) ، والقداسة « التى بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) . . . ويوصلني أيضا الى معرفة ذاتي قياس نفسي بمن هم أفضل مني ، سواء القديسين الذين نقرأ سيرهم ، أو الأبرار الذين ما زالوا عائشين بعد . فحينما أتيس جهادى بجهادهم ، لا يسمنى إلا الهتاف من القلب « اذا كان الصديق بالجهاد يخلص ماين أظهر أنا الخاطيء » . . . ويعرفني ذاتي وخطيائي ، هدوني مع نفسي ، وجلوسى معها فى جلسات حساب ، وقد تكلمنا عن ذلك فى موضوع التوبة . وأخيرا يتودنى الى هذه المعرفة الاتصالي بآناس روحيين مدققين فى حياتهم .

(ج) التامل فى قلب ذاته :

ومن الأمور التى يجب أن تعرفها عن ذاتك ، انها مخادعة . فلا نعد تثق بها ، ولا تطمئن اليها ، ولا ننحدر ببعض المظاهر الخارجيه ، حتى لو كنت قد أحرزت بعض الفضائل ، وأدركت بعض الدرجات الروحية العالية . قال الأنبا موسى الأسود « لا تثق بنفسك ما دمت فى الجسد ، حتى تعبر ست سلاطين الظلمة » . ولقد حرص القديسون على ذلك فظفروا بالامجاد الروحية .

ومن القصص المعبرة التى تصور لنا هذه الحقيقة ، ما ذكر عن القديس الأنبا سيصوى الصعيدي ساعة نياحته . فلقد مرض هذا الأب الشيخ مرض الموت ، فاجتمع الآباء الرهمان حوله ، وسمعوه كأنه يخاطب قوما — وأن كانوا لا يرونهم . فسألوه « ماذا تعالين يا أبانا ؟ » أجاب « ها أنذا أعاين قوما قد جاعوا لأخذ نفسي ، وأنا أتضرع اليهم أن يهلونى قليلا حتى أتوب » . فقال له أحد الآباء الشيوخ « وأن هم أمهلك ، هل تقدر الآن أن تنجح فى التوبة ، وأنت فى هذه السن ؟ » . أجابه القديس « وأن كنت لا أقدر أن أعمل عملا ، فأنى أنتهد وإبكى » . فقال له الآباء الشيوخ « ان توبتك قد كملت أيها الأب . فقال لهم « مستقوني ، انى لست أعرف من ذاتي اذا كنت قد بدأت الى الآن » . ولما قال هذا اشرق وجهه كالشمس ، حتى فزع الذين كانوا حوله . ثم نطق آخر كلماته قائلا لهم « انظروا ، ان الرب قال : اتنوني بتائب البرية » ولوقته سلم روحه ، وأمتلا المكان من رائحة نكية .

(ثالثا) الفرح بالايات او المحقرات :

كما أن الانسان ينمو في حياته الروحية عامة ، فهو أيضا ينمو في كل فضيله . **فالاتضاع** ، شأنه شأن **الفضائل الأخرى ينمو بالجهد والممارسة** . . والفرح بالايات لا يصل اليه الانسان دفعة واحدة . في مبدأ الامر تتقابل الانسان الاياته فينضايق منها وربما يثور ويغضب ، ثم يتدرج الى درجة اعلا ، مينضايق بسبب الاياته لكنه يضبط نفسه فلا يشور ، ثم يرتقى الى درجة اعلا من السابقة ، فلا يضطرب داخليا بل يكون في حالة سلام قلبي ، ثم بالجهد يصل الى الحد الذي يفرح حينما يهان . كما ذكر عن الرسل حينما جلدوا من أجل كلمة الله والشهادة ليسوع المسيح « أما هم فذهبوا فرحين من امام المجمع لانهم حسوا مساهلين أن يهانوا من أجل اسمه » . .

وثمة درجة اسمى من هذه جميعا ، وهي أن الانسان ، لا يفرح بالاياته فقط بل يسمى اليها . وقد ذكر عن راهب مجاهد كان يسكن في البرية ، مقام وجاء الى دير في الصعيد ، وكان كل آباء ذلك الدير قديسين . فبعد ما أقام عندهم اياما استأذن رئيس الدير أن يخلى سبيله . فلما سألته الرئيس عن السبب ، أجاب قائلا « انه لا يوجد ههنا تعب . والآباء كلهم قديسون ، **وأما أنا فاني خاطيء** » ، **أريد أن أمضي الى موضع حيث أهان واثتم . لأنه بالأزراء والاياته يخلص الخطاة** » . فتعجب رئيس الدير ، وأخلى سبيله قائلا له « **أمض وتقو** » . . ملنصبر اذن لللاهات والمحقرات التي تأتي علينا بل نفرح بها . عالمين انها تخلصنا من المجد الباطل ، وتنسئ فينا الاتضاع . من أجل هذا قال معلمنا بولس **(لذلك أسر بالضعفات والشتائم)** (٢ كو ١٢: ١٢) .

(رابعا) عدم الافتخار بالمواهب الروحية :

وهذه درجة — في الاتضاع — تسمو على سابقتها . لا عجب ان احس المريض بمرضه ، والفقر بفقره ، والمخطيء بخطاه . ولكن العجيب أن يعد الغنى ذاته سبباً للفقر ، والقديس — الذي بكرمه الجميع — يحسب نفسه **أثراً للخطاة !!**

ان لسان حال القديسين ، فيما نالوه من مواهب وانعامات ، ما قاله الاربعة وعشرون تسيبسا للجالس على العرش « انت مستحق ايها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة ، لانك انت خلقت كل الاشياء ، وهي بارادتك كائنة وخلقت » (رؤ ٤ : ١١) . او بتعبير معلمنا بولس « ليس اننا كناسة من انفسنا ، بل كفايتنا من الله » (٢ كو ٣ : ٥) ، « لان الله هو العايل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (١ : ١٣) . فهم — والحال هذه — يشعرون أن كل شيء صالح مصدره الله : وان « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الانوار » (ايع ١ : ١٧) . بل شعروا أن سر حياتهم . واستنرار سوهم ، هو في المسيح ، حسبما

قال « كما ان الفصن لا يقدر ان يأتى بثمر من ذاته ، ان لم يثبت فى الكرمه »
كذلك انتم ايضا ان لم تثبتوا فى » (يو ١٥ : ٤) . وهكذا نسبوا كل ما فيهم
من مواهب وانعامات روحية لله .

وقد حذر السيد المسيح تلاميذه الذين فرحوا بخضوع الشياطين لهم
بقوله « لا تفرحوا بهذا .. رايت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء »
(لو ١٠ : ١٨ ، ٢٠) .

فالامر يحتاج الى معونة الهية خاصة تحفظ غينا نعمة الاتضاع مع وجود
المواهب الروحية . قال القديس امبروسىوس « ان هذا الامر لا يستطيع
أحد ان يتقنه ويقومه فى ذاته . الا نعمة خصوصيه عظيمه جدا » وليس ادل
على ذلك من قول الرسول « ونحن لم نأخذ روح العالم ، بل الروح الذى من
الله ، لنعرف الاشياء الموهوبه لنا من الله » (١ كو ٢ : ١٢) — قال الاب يوحنا
كسيان « كما ان الاعين الحسيه ، حتى وان كانت صحيحه ، لا يمكنها النظر
بدون معونه النور . هكذا الانسان ، وان كان بارا ، لا يستطيع ان يفعل
شيئا صالحا ان لم يعنه نور النعمة » ان لم يحفظ الرب المدينه فساطل سهر
الحراس » (مز ١٢٧ : ١) .

(خامسا) ممارسات الاتضاع العمليه :

كالمبلى البسيط المتواضع ، وترك الكماليات سواء فى الملبس او الماكل
او المشرب ، وخدمة الآخرين ، والقيام بالمهام التى يترفع الآخرون عن القيام
بها ، والخضوع لمجربينا ولم يكبرونا سنا ومقاما عن حب وانضاع حقيقيين ،
والاسراع بالاعتذار لمن اخطانا اليهم عن شعور قلبى وتواضع حقيقى . الخ

ولهذه الممارسات اثر كبير فى اقتناء الاتضاع الحقيقى . من ناحيتين
اولا لان الفصائل لا تقتنى الا بالعمل . وثانيا لما للافعال الخارجيه من تأثيرات
داخليه فى نفس الانسان . والسيد المسيح نفسه حينما اراد ان يعلمنا الاتضاع
علمنا اياه بطرقه عمليه . منحنى وعسل أرجل تلاميذه . واوصاهم ان يفعلوا
هم ايضا هكذا .

قال القديس باسيليوس الكبير : « ان العلوم والمهن لا نكتسب
الا بالممارسه . فمن يريد اكتساب علم الفلسفه او النحو او الملاعه او صاعه
من الصناعات . يلزمه ممارستها بالعمل ليحصل على اتيانها والمهر فيها .
هكذا الاتضاع وسائر الفصائل الادبيه لا يمكننا اقتناءها الا بالعمل » . وقال
القديس اوغسطينوس « ان الانسان الخارج والمواطن متحدان احدهما بالآخر ،
وكل منهما شديد التعلق بالآخر لدرجه كبيره . حتى انه متى اتضع الجسد
وتنازل ، احدث فى القلب باطنا حركه التواضع . فلدلك اد ننحنى انتمتنازلا
الى تقبيل اقدام أخيك . يحدث هذا الفعل فى قلبك حركه الاتضاع و تقويها

أن كانت موجودة فيه قبل . فالانضاع الخارجى أمام الاخوة ، كخدمتهم وتقبل أقدامهم ، والملبس القمير ، والوظيفة الدنيئة ، هذه جميعها تولد الانضاع فى القلب . وإن كان موجودا فيه ، فهم تحفظه وتحميه .

(سائما) نصائح عامة :

(١) لا نقل كلاما أمام آخرين ، يأتيك بسببه مديحا ، حتى لو كان هذا الكلام فى ظاهره ثمنا وتحفيرا لذاتك . فبعض الناس يظهرون حقارتهم أمام الآخرين - فى عبارات أو أفعال - لكى يمدحهم .

(ب) إذا مدحك الناس من فعل حسن ، فأسرع وقدم الشكر لله الذى أعانك فى ذلك العمل ، وأعطاك نعمة فى أعين الناس . لكن أن وجدت أن فكر العظمة بدا يراودك ، فلحال تذكر خطاياك التى سترها الرب ، فلم يعرفها الناس . وحينئذ ستشعر أنك غير مستحق للمديح .

(ج) لا تتظاهر بفعل شيء ليراه الناس ويمدحوك بسببه . قال رب المجد « احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند أبكم الذى فى السموات » (مت ٦ : ١) . وكل ما عمله عمله من أجل الله الذى منه تنتظر حسن الجزاء .

(د) لا تبرر ذاتك فى أخطائك « وتعلم بعل فى الخطايا » (مزا ١٤ : ٢٤) ، وتلتهمس لنفسك الاعتذار كما يفعل أهل العالم ، كما قال أيوب « ان كنت قد كتمت كالتناس دنى لاختفاء اثنى فى حضنى » (أى ٣١ : ٣٣) . بل كن صريحا مع نفسك ، وأميناً فى محاسبتها ، واسرع بالاعتذار لله وللناس .

(هـ) اعتبر كل الناس أفضل منك « لا شيئا بتحزب أو بمحب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » (فى ٢ : ٣) .

(و) لا تحب المنكآت الاولى ومراكز الصدارة ، فقد وبغ الرب الكتبة والفريسيين على ذلك (مت ٢٣ : ٦) .

(ز) إذا كنت فى مجلس فلا تسرع بالكلام قبل الباقين ، كأنك أكثر منهم فهما ورجاحة عقل ، بل إن أمكن فكن آخر من يتكلم ، شاعرا أنه يوجد من هو أفضل وأحق بالكلام منك . قال القديس الانبا باخوميوس « انضغ فى كل شيء ، وإذا كنت تعرف جميع الحكمة ، فاحمل كلامك آخر الكل » .

(ح) لا تطلق لمخيلتك العنان فى أفكار العظمة (أحلام اليقظة) ، حتى لو بدت أنها من أجل مجد الله وانتشار ملكوته . كُن يتخيل انسانا أنه أصبح 'سقفيا يدبر شئون الكنيسة بنشاط . ويعمل اصلاحات حبارة .. احترس من هذه ، فإن شيطان الكبرياء يستتر خلفها .

أُورَسَاعِدْ عَلَى الْإِتِّضَاعِ

١ - أفعال التوبة :

أعمال التوبة عامة ، تساعدنا على حياة الإِتِّضَاع . فالإِتِّضَاع - وإن كان هو أساس الفضائل جميعها ويدعمها - فهو أيضا يتغذى بالفضائل الأخرى وينمو بها . ومن ثم قال القديس يوحنا الدرجي « هناك علاقة بين هذه الثلاثة : التوبة ، والنوح ، والإِتِّضَاع . فأولا تطحن النفس بتعب التوبة الحقيقية مثل الدقيق ، ثم يعجن بماء الدموع - دموع النوح - مثل العجن . ثم يخبز بنار الإِتِّضَاع المنعم من الله مثل الخبز . وحينئذ يكون الخلاص مر الأوجاع كما قال النبي « اتضعت فخلصني » وقال أيضا « التوبة تنهض الإنسان ، والنوح يقرع باب السماء ، وإِتِّضَاع الفكر يفتح باب الملكوت »

٢ - الشعور بالغربة :

قال القديس يوحنا الدرجي « الغربة التامة تسبب الإِتِّضَاع » . فالإنسان الذي يشعر أنه غريب في هذه الدنيا ، لا يهمله أن يعرفه الناس ، ولا يهمله أكرامهم ومديحهم له . فالشعور بالغربة يولد فينا الشعور « بالموت من العالم » ، وهذا هو سند قوى للإِتِّضَاع . والإنسان الذي يملك عليه الشعور بالغربة ، إذ يشعر أنه ليس له هنا مدينة باقية ، يطلب العتدة بأوفر اجتهد ، مردد كلمات المرتل « ويل لي فإن غربتي قد طالعت علي » (مز ٥٢). وحياة الغربة - فضلا عن ذلك لها معونة خاصة من الرب - حتى أن المرتل يقول « الرب يحفظ الغرباء » (مز ١٤٦ : ٩) ، ويقول معلمنا بولس عنهم « لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى بهم » (عب ١١ : ١٦) .

٣ - احتمال الضيقات في صبر :

ذكرنا قبلا ونحن نتحدث عن بركات الإِتِّضَاع ، أنه يعين ويخلص من الضيقات . ونضيف هنا ، أن احتمال الضيقات بصبر ينمي فينا الإِتِّضَاع . قال مار اسحق « يترك الله البلايا والتجارب على محبي البر ، حتى يعرفوا ضعفهم . إذن أن البلايا تولد الإِتِّضَاع . وربما كسر قلبهم بأوجاع طبيعية » وربما لستيمة الناس لهم وامتهانتهم . وأحيانا بالفقر والمرض والاحتياج ، وأحيانا أخرى بالخذلان ليأتي عليهم الشيطان بأفكار قذرة ، وكل ذلك عساهم يحسون ضعفهم فيتضعوا » وقال الرب قديما عن شعبه « وأنا أيضا قد

سلكت معهم بالخلاف . واتيت بهم الى ارض اعدائهم ، الى أن تخضع حينئذ قلوبهم الخلف ويستوفوا حينئذ عن ذنوبهم » (لا ٢٦ : ٤١) . وقال مار اسحق « حقا يارب انك لا تكف عن اذلالنا بشتى التجارب والاماب الى أن تتضع نفوسنا » . كما قال أيضا « بواسطة التجارب ندنو من الاتضاع ، ومن يدوم بلا احزان او تجارب ، باب العظمة والكبرياء مفتوح امامه » .

٤ - التجرد :

حب القنية في شتى صورها ومظاهرها ، يزيد ارتباط الانسان بالعالم ويحببه فيه ويقيده بقيوده . والتجرد من هذا الحب الخاطئ المتحرف ، يجعلنا من قيود العالم فنجيا حياة « انطلاق الروح » . ولا شك أن التجرد من المقتنيات يولد فينا المسكنة الروحية التي امتدحها الرب والمفتح بها تطويباته في العظة على الجبل (مت ٥ : ٣) . ولذا نصحنا الآباء التقيسون أن نحيا حياة التجرد لنصل به الى الاتضاع . قال مار اسحق « المضبوط بأمور هذا العالم الزائل ، والمرتبط ولو بشيء منها ، لا يستطيع أن يكون متواضعا ولا تقي القلب . لان المتواضع يكون ميتا للعالم ، والعالم ميت له ، فلا يستحيل قلبه الى محبة شيء منه . لذلك أن أردت أن تكون متواضعا ، فقول كل شيء هلي نفسك من أمور العالم ، واتبع الله بالرجاء والإيمان والحب ، وعوض العالم الذي تركته تأخذا حياة لا تزول » .



حياتك على ضوء الانضاع

نستعرض الآن بعض الممارسات الروحية في حياتنا على ضوء هذه القضية . والغرض من هذا ، ألا نظل الفضيلة مجرد معلومات نظرية ، بل نصبح جزءا منا نقتنيها ونحيا فيها وبها . وطبعاً سوف لا نعرض لجميع ممارساتنا في الحياة ، وإنما نورد أمثلة لبعض منها ، وعليك أنت يا أخانا أن تنبش على ذلك في بقية أمور حياتك .

١ - في الصلاة :

كثيراً ما يملكنا الغرور نتيجة المواظبة على بعض الممارسات الروحية . مثلاً إنسان مواظب على الصلاة ، فيبتدىء يشعر أنه أصبح إنساناً قديساً ، لجرد أنه يصلى . والامر يزداد في قياسه متى أتمم عليه الرب ببعض الدموع في الصلاة مثلاً . وهكذا تصبح الصلاة مادة للغرور ، عوض أن تكون بركة لصاحبها . لا تتفخر يا أخى بصلاتك ، إذ هي لا تقاس بنماذج الصلاة التي تركها لنا رب المجد لنقتدى بها ، حينما كان يضي الليل كله في الصلاة في الجبل ، أو حينما كان يجاهد في الصلاة كما حدث في بستان جثسيماني ليلة الآلام . وهي لا تقاس أيضاً أن هي تورنت بصلوات رجال الصلاة ، الذين كانت حياتهم كلها صلاة ...

أين أنت من الأنبا إرسانيوس العظيم ، الذي كان في ليالى الأحاد ينتصب للصلاة وقت الغروب والشمس خلفه ، ويظل هكذا طوال الليل في مناجاة مع الله ، حتى تشرق الشمس في عينيه في صبيحة اليوم التالي ، فيحس — بهذا فقط — أن الليل قد انقضى ، فيحزن لأن الشمس الطبيعية حرمت من شمس البر !! وأين أنت من القديس الأنبا بيشموى الذي كان يربط شعر لحيته في حبل يتصل بسقف مغارته ، حتى يخالب النوم والطبيعة الجسدية ؟! وأين أنت من القديسين الثسبطين اليانعين مكسيموس ودوماديوس ، ابني أحد أباطرة الدولة الرومانية (البيزنطية) ، اللذين احتقرا العالم في جراحة مذهلة ؟ فقد كانت صلاة أحدهما تظهر في شكل عمود من نور يصل من قمة إلى السماء ، بينما تخرج شهب نارية من قمم الآخر ، كما عاين ذلك القديس مقاريوس الكبير . أين أنت من القديس الأنبا تيحي (الأنبا رويس) ، الذي ظل يتأمل ثمانى ساعات دفعة واحدة في إحدى صلواته في عبارة « أبانا الذي في السموات » ؟! ثم أين أنت

من ايلىا القبي ، الذى اغلق السماء وفتحها بصلاته ، فلم تطر السماء ثلاث سنين وستة أشهر (يع ٥ : ١٧) ١١٢

أن الصلاة في حقيقتها ليست وقفات تتلقها أمام الله في فترات خاصة لكنها حياة بأكملها يسبونها « حياة الصلاة » ، ولذا قال داود العظيم « أما أنا فصلاة » (مز ١٠٩ : ٤) . لقد أوصانا الرب أن نصلى بلجاجة ، وفي كل حين ، وبلا انقطاع (١ تس ٥ : ١٧) ، فهل أنت هكذا في صلاتك ؟

ثم ماذا عن صلاة الايمان ، والصلاة بالروح وبالذهن (١ كو ١٤ : ١٥) ، والمواظبة عليها في سهر وشكر (كو ٤ : ٢) ، وباتى عناصر الصلاة التى نحن مطالبون بها ، حتى تكون صلواتنا مقبولة .

وحتى لو اتهمت كل ذلك هل يصبح هناك مجال للافتخار والزهو بصلواتنا؟ أنت في ذاتك عبد بطل حتى لو فعلت كل البر . أنت لم تقف للصلاة الا حينما **حرك روح الله الي ذلك** . ألم تقرأ كلمات الرسول « لاتنا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغي . ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها . (رو ٨ : ٢٦) أن نكر الصلاة الذى به نصلى ليس من ذاتك بل من الله ، وكلمات الصلاة ، بل « موهبة النطق » ... هذه كلها منه ، ومشاعر الحب هي منه أيضا ... **وبالجملة فإن كل شيء هو منه لان « منه وبه وله كل الأشياء »** .

اذن ، حينما تقف لتصلى ، أشعر بمذلة وانسحاق ، وقدم طلباتك بمشاعر المسكنة . فإن كنا نطلب من عظماء العالم بمذلة ومسكنة لكي تقضى حوائجنا ، أفلا نفعل مثل ذلك حينما نسال أبا الارواح ؟ انه اختبار جميل في انعاش الصلاة . فقبل أن تبدأ صلاتك ، اصمت قليلا وانت واقف خاشع أو جاث على ركبتيك أو ساجد تحت أقدام المخلص ، وفكر في حقارة ذاتك وفي تنازل الله ومحبهه ، التى جعلتك أهلا أن ترفع صوتك وتشارك غير المرتبين في تسابيحهم . ان فعلت ذلك فستشعر بتعزيات الله تنسكب عليك في تلك الصلاة . أن الناسال لا يسأل الناس صدقة وهو في ملابس فاخرة والا لاغلقوا أحشائهم دونه ، هكذا وانت تسال الله اتضع وتذل حتى يتحنن عليك ...

٢ - في الصوم :

ان المسيحية في سبورها وروحانياتها لم تفرض علينا الصلاة والصوم مرضا ، إنما علمتنا انها سر الغلبة ومفتاح النصر ، كما علم رب المجد « هذا الجنس (الشيطان) لا يمكن أن يخرج بشيء الا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) . فلا يكن شعورك وانت صائم أنك تقوم بعمل يستحق اجرا أو مثوبة من الله . أنت لا تصوم من أجل الله بل من أجل ذاتك ، لتلجم به جسديك المشاغب ، حتى لا يجعلك هزأ أمام الناس . وصومك ليس هو من

أجل توتك الروحية ، بل من أجل ضعفك . وانتظامك من الطعام لوقت متأخر ليس هو مادة للزهو بل وسيلة لتقويم ذاتك المتحرمة . ثم إن الصوم يمارس في كل الأديان — حتى الوثني منها — وهو لا قيمة له ما لم يقترن بالروحانية والصوم من الخطية .

ثم إن صومك هذا لا يقارن ، أن هو قيس بالصوم القديسين الذين غلبوا الطبيعة الجسدية في صورة مدعشة ، فغضبوا أرقاما عالية في الصوم ، من أجل زيادة الالتصاق بالله . أين أنت من الصوامين الحقيقيين ؟ أين أنت من موسى النبي الذي صام أربعين يوما ، والأبنا بيشوى الذي كان يصوم عشرين يوما ، عشرين يوما ؟ أين أنت من القديس مقاريوس الإسكندراتي الذي كان في الأربعين المقدسة يأكل ورقة كرنب مسلوقة كل يوم أحد حتى لا تصفر أنفس الأخوة المبتدئين في حياتهم النسكية ؟ بل أين أنت من كثير من القديسين الذين كانوا ينتظمون تماما عن الطعام في الأربعين المقدسة ؟ !!

وحتى لو اتهمت كل ذلك ، فلا يعتبر صومك مقبولا ما لم تقرنه بالابتغاء عن الخطية ، أو بتعبير الكنيسة في قسمة الصوم المقدس « فلنضم عن كل شر بطهارة وير .. » .

٢ — في الصدقة :

ما هو احساسك وأنت تعطى صدقة ؟ هل فيما تقدم عشورك لله ، يملك شعور بأنك قمت بواجبك الذي أمرك به الله ، وأوفيته حقه ؟

من جهة الكم ، أعلم أن تقديمة العشور هي الحد الأدنى للعطاء ، وأنها كانت خاصة بالمعهد القديم . أما في العهد الجديد — عهد النعمة والبذل — فنحن مطالبون أن نبيع كل ما لنا ونعطي صدقة (لو ١٢ : ٣٣) ، وأن نكتفي بمجرد القوت والكسوة (١ تي ٦ : ٨) ، وأن نكون أسخياء في العطاء (١ تي ٦ : ١٨) . وأن نعطي بسرور « لأن المعطي السرور يحبه الله » (٢ كو ٩ : ٧) .

ومن جهة الكيف ، قدم عطايك وضع صدقتك في انكار ذاتك ، حتى تأخذ أجرك كاملا من أبك الذي يرى في الخفاء (مت ٦ : ١) ، لا تصنع صدقتك من أجل الناس لكي يمدحوك ، لا تصوت تداذك بالوق يمشيد الناس ببرك ورحمتك وفضلك ، فانك بهذا تستوفي أجرك ..

إن المال الذي تنصق به ليس هو لك ، بل هو لله ، والله لم يعطك هذا المال لتكون غنيا لنفسك (لو ١٢ : ٢١) ، بل لتصبح غنيا في أعمال صالحة (١ تي ٦ : ١٨) . لقد دخلت إلى العالم عريانا ، وستخرج منه عريانا أيضا ..

ثم مهما تصدقت ، وكنت سخيا في عطائك ، فانت لا تعطى الا جزء من مالك ، بينما يوجد كثيرون اعطوا كل مالهم ، ومعه اعطوا ذواتهم للرب . ومن امثلة هؤلاء القديس الالبان انطونيوس اب الرهبان الذى فرق كل ثروته ، والقديسان بينوده المتردى وبطرس العابد ، اللذان باعا نفسيهما وتصدقا بالثمن . والقديس الالبان ابرام اسقف الفيوم الشهير صانع العجايب الذى كان مثلا حيا عاليا للرحمة فى جيله . والعظيم المعلم ابراهيم الجوهري الذى ضرب المثل بكثرة رحمته ، حتى ان بعض المتسولين تنافسوا فيما بينهم يوما لكى يثروه بكثرة سؤالهم ، فآخذ احدهم منه ذات صباح ثمانى عشرة مرة صدقة ، وفى كل مرة كان يعتمد هذا السائل أن يعرفه انه هو الذى آخذ منه منذ برهة قصيرة ، لكنه كان يعطيه أيضا ، واخيرا صاح السائل متمجبا من كثرة احسانه . فكان جواب المعلم ابراهيم على ذلك « ان ما لدى من مال هو وديعة اودعها لدى السيد المسيح ، افلا اردتها حينما يطلبها منى ؟ » بل لقد بلغ من شدة حبه لاعمال الاحسان ، انه بعد انتقاله الى السماء ، تصدق بمبلغ على أحد المعوزين ، وذلك بواسطة رؤيا ظهرت له ، وقال له فيها أن يذهب الى « فلان » ويأخذ منه مبلغ كذا ، كان قد اقترضه منه . ونعلا

ثم ذلك !!



موقف الانضاع من بعض الفضائل

هل يتعارض الانضاع مع الصيت الحسن ؟

هل من تعارض بين ما يجب أن يكون عليه الانسان من انضاع ، وبين ما يجب أن يتمتع به من صيت حسن وسمعة طيبة ؟

ليس هناك أى تعارض . فليس الانضاع — كما سبق القول — أن يلبس الانسان ملابس رثة ، وينسب الى ذاته أفعالا ذميمة، ويتصرف تصرفات خاطئة ، وإنما الانضاع حياة نحيها في الداخل ، وان كانت تأخذ بعض المظاهر الخارجية التي لا تستهدف رؤية الآخرين لها ، لكنها تكون صادرة عن أفكار داخلية . ومما لا شك فيه أننا جميعا مطالبون بأن نكون قدوة في كل شيء ومنها الانضاع . وان كنا — بطبيعة الحال — نسعى أن نقدم بانضاعنا قدوة ، والا خرجنا عن دائرة انضاع ! فنتمتع الانسان بالسمعة الطيبة والصيت الحسن لا يتعارض مع انضاعه . بشرط ألا يسمى هو لكي يحوز ذلك الصيت وتلك السمعة . أننا مطالبون بالتمتع بالصيت الحسن كما بالانضاع ، هذا وصية الهية ، وتلك وصية الهية أيضا . قال معلمنا بولس « متجنبين هذا أن يلومنا أحد في جسامه هذه المخدمة منا . معتنين بأمر حسنة ليس قدام الرب فقط بل قدام الناس أيضا » (٢ كو ٨ : ٢٠ ، ٢١) . وقال أيضا « أخيرا أيها الاخوة ، كل ما هو جليل ، كل ما هو عادل ، كل ما هو طاهر ، كل ما هو مسر . كل ما صيته حسن . ان كان فضيلة وان كان مدح . ففى هذا افتركوا » (في ٤ : ٨) . كما قال « لسنا نجعل عثرة في شيء لنلا تلام الخدمة . بل في كل شيء نظهر انفسنا كخدام الله » (٢ كو ٦ : ٣ ، ٤) . وقال القديس بطرس الرسول « وأن تكون سميرتكم بين الامم حسنة ، لكي تكونوا في ما يفترون عليكم كتاعلى شر » يمجدون الله في يوم الافتقاد ، من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها » (١ بط ٢ : ١٢) . وقال السيد المسيح قبل كل هؤلاء « لكي يروا أعمالكم الحسنة ، فيمجدوا أبلكم الذى في السموات » .

وإذا اضطررنا — كخدام مثلا — بحكم الظروف أن نتكلم عن شيء من اتباعنا في الخدمة مثلا ، وكان لا مفر من ذلك ، فلا مانع من الكلام بشرط أن نعطي المجد لله . وهذا ما فعله معلمنا بولس الرسول في رسالته الى كنيسة كورنثوس ، اذ دافع عن سلطاته الرسولى ، من أجل صالح الخدمة ، واضطر في ذلك أن يتكلم عن جهاده وانعسابه في خدمة الكلمة ، قال « بل أنا نعتبت أكثر منهم جميعهم » . لكنه استدرك في انضاع قائلا « ولكن لا أنا . سر حمة الله التى معى » . كما قال في نفس الموضع « أنا الذى لمست أهلا لأن ادعى رسولا لأنى اضطهدت كنيسة الله » (١ كو ١٥ : ٩ ، ١٠) . وقال في رسالته الثانية « أهم خدام المسيح ، أقول كمختل العقل فأنا أفضل » ولكنه يستدرك في انضاع أيضا ويقول « أن كان يجب الافتخار فساقتخر بأمر ضعفى .. فبكل

سرور افتخر بالحرى فى ضعفائى لكى تحل على قوة المسيح . لذلك اسر
بالضعفات والشقايم والضرورات والاضطهادات والضيقات لاجل المسيح .
لانى حينما انا ضعيف فحينئذ انا قوى » (٢ كو ١١ : ١٦ - ٣٣ ، ١٢ : ٩ ، ١٠) .

هل الاتضاع يضاد روح الاقدام ؟

سبق ان ذكرنا ان « الموت عن العالم » و « التجرد » يغنيان الاتضاع
ويقويه ، وهذا امر بديهي . فمن مات عن العالم ، من اى شئ يخاف ، ومن
تجرد عن محبة الشهوات والمقتنيات لاي سبب يخضع ؟ ! ومن ثم قال القديس
اوغسطينوس قوله الشهير « جلست على قمة العالم لما احسست انى لا
استهى شيئا ، ولا ارهب شيئا » . وعلى ذلك يكون الاتضاع عاملا هاما في
تقوية روح الشجاعة والاقدام .

الانسان الذى انكر ذاته لكى يظهر الله فيه وبه ، شعاره قول الرسول
« فاحيا لا انا بل المسيح يحيا فى » (غل ٢ : ٢٠) . وان كان المسيح حيا
فى ، فهل يصيبني خوف ؟ او يلحقني جبن ؟ ان سر اتضاعنا هو فى معرفة
ضعفنا ، وسر اقدامنا هو من الذى قال « قوتى فى الضعف تكمل » (٢ كو
١٢ : ١٩) . وهكذا باتضاعنا ، نستند الى قوة المخلص .

قال سليمان فى نشيده « من هذه الطالعة من البرية ، مستندة على
حبيبها » (نش ٨ : ٥) . هذه هى النفس الظافرة ، الطالعة من برية العالم ،
مستندة على حبيبها الرب . ان هذه الآية توضح مبدا هاما ، هو ان افعالنا كلها ،
نستند عليها على مخلصنا . وقال معلمنا بولس الرسول « ولكن بنعمة الله
انا ما انا ، ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة ، بل انا تعبت اكثر من جميعهم .
ولكن لا انا بل نعمة الله التى معى » (١ كو ١٥ : ١٠) . والفقرة الاخيرة من
هذه الآية « ولكن لا انا بل نعمة الله التى معى » هى الاستناد على الحبيب .
وقال الرسول ايضا « استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ :
١٣) . والفقرة الاخيرة فى هذه الآية « فى المسيح الذى يقوينى » هى الاستناد
على الحبيب . ان الاستناد على ذراع الرب يسوع يعطى شجاعة وقوة ،
ولذا قال اشعيا النبى « واما منتظرو الرب فيجدون قوة ، يرفعون اجنحة
كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيرون » (اش ٤٠ : ٣١) .

ان الانسان المتواضع ، متدرب على كل الظروف والاحوال . يعرف كيف
يصبت فى وقت الصمت ، ويتكلم فى وقت الحاجة الى الكلام ، ويقدم فى وقت
الحاجة الى الاقدام . قال معلمنا بولس الرسول « فانى قد تعلمت ان اكون
مكتفيا بما انا فيه . اعرف ان اتضع ، واعرف ايضا ان استفضل فى كل شئ »
وفى جميع الاشياء ، قد تدربت ان اشبع وان اجوع ، وان استفضل وان
انقص » (فى ٤ : ١١ ، ١٢) . كما قال ايضا « بل فى كل شئ نظهر انفسنا
كخدام لله .. بمجد وهوان ، بصيت ردىء وصيت حسن ، كفضلين ونحن
صادقون ، كمجهولين ونحن معروفون ، كهاثنين وها نحن نحيا » (٢ كو ٦ :
٨ ، ٩) .

الكبرياء

« يقاوم الله المستكبرين ، وأما المتواضعون
فيحطّ بهم نعمة » (يوحنا : ٤ : ٦) .

- + حقيقة الكبرياء ومبدئها
- + ماذا تفعل الكبرياء ؟
- + أسباب تقود الى الكبرياء
- + كبرياء الانسان أمام ذاته
- + بعض مظاهر الكبرياء
- + الكبرياء المستترة في الفضيلة
- + كيف يعالج الانسان كبرياءه ؟

حَقِيقَةُ الْكِبْرِيَاءِ وَمِيزَانُهَا

مِيزَانُ وَاسِعٌ لِحَرْبِ الْكِبْرِيَاءِ :

لا تظن يا أخانا العزيز حينما نكتب لك عن الكبرياء ، ان هذا الامر لا يعنيك . بل اقرأ هذا الموضوع جيدا حتى تكتشف نفسك على ضوء كلياته ، ومن ثم تجاهد حتى تتخلص من الخطية التي قال عنها الحكيم يشوع بن سيراخ « بدء الخطية هو الكبرياء ، ومن تهسك بها يمضى رذالة » (سى ١٠ : ١٢) .

تقتصر حقيقة الكبرياء على ان الانسان يجدف ، او يتكلم عن نفسه كثيرا ، او ينسب الاعمال الحميدة الى ذاته ، او يشعر انه أصبح في عداد القديسين . ان لم تكن مشاعرا على هذا النحو ، فليس معنى هذا اننا بالضرورة انتفاء من هذا المرض العضال . . قد يكون المرض ساريا في جسدك ، وانهت لا تشعر . انه كالمرض الخبيث الذي لا يظهر في مبدأ الإصابة به .

قال الاب يوحنا كسيان « ان شيطان الانتفاخ والسبح الباطل لهو وجع دقيق . وهو لدقته لا يضبط سريعا . ولا تدرك بدايته ولا غايته . كل الاوجاع والآلام ظهيرة واضحة ، تدرك سريعا ، ولذلك فقتالها هين وسهل اذا ماتيقظت النفس للجهد قبالها . اما الانتفاخ والسبح الباطل فقتاله شديد وعسر لانه يصارع كل شكل وكل ترتيب ويدخل في كل الامور : في المشي وفي الكلام وفي الاكل وفي الصمت ايضا ، وفي السهر والصوم ، وفي الصلاة وحتى في القراءة والترتيل ، وفي طول الروح والصبر . فهو لا يهدأ بل يصوب سهامه لكل من انتصب في الفضيلة عسى يسلبه اجرة جهاده . اذا لم يصبه بفخر الملابس وزينتها ، يصيده بحقارتها ورداعتها . واذا لم ينله عن طريق الكرامة يحاول ان يرشقه باحتمال الهوان والمسكنة . واذا لم يصبه بحسن الكلام والمنطق واتامه الحجة ، يحاول ان يطفيه بالصمت والسكون . وان لم يقدر ان يرضيه بكثرة الطعام يطلب منه مدحه بالصوم . وبالاختصار فهو ينسرى لكل مجاهد في كل عمل وكل ترتيب ، سواء بالجسد او بالروح ليسقطه ويفسده منه . ان لم يكن بضربة شمال فبضربة يمين » .

واذا كنت سائرا في طريق الفضيلة فلا تحسب ان هذا يحصنك ضد هذا الداء ، فان الإصابة به يتعرض لها السائرون في طريق الفضيلة والمجاهدون في حياة الروح أكثر من غيرهم . او بحسب تعبير القديس يوحنا الدرجي ، رئيس اديرة طورسينا « ان شيطان قطع الرجاء (اليأس) يفرح بكثرة الشرور ،

وشيطان المسيح الباطل يفرح بكثرة الفضائل . ويقول ايضا الاب يوحنا كسين « شيطان العظمة روح خبيث لا يصيب الا البالغين في القامة الروحية ليهدم برج فضائلهم . كل الاوجاع تحارب في البدايات ما خلا هذا الوجع الرديء ، فهو يصيب في النهايات . . لذلك فان ضرره عظيم وكسرتة شديدة . معروف ان شهوة البطن تضبط بالصوم ، والزنا بالعفة ، وحب المال بالتجرد والفقر . والغضب بالوداعة ، أما شر العظمة فهو اذا ملك على النفس النائية يكون كالقائد المنتقم عندما يحاصر مدينة شامخة ويظفر بها ، فانه يهدمها ويدك أساساتها . »

ان الكبرياء كاللص الذي يظل يتسلل خفية الى المضجع الداخلي ، فيغافل غريسته ، ويظفر بها وهي نائمة ، او كالقاتل الذي يخادع غريمه ويصيب منه مقتلا ، او كالجاسوس الذي يعمل لحساب الاعداء . والواجب يقتضينا ان نقف على خطه ، ونفضح أساليبه ، ونسلمه الى ملك حياتنا حتى لا نعتبر من الخونة لذلك الذي نحن ملوكه بالحقيقة ، وينبى أن يملك على عقولنا وقلوبنا وأجسادنا ، بل على حياتنا كلها .

ان الكبرياء مرض خطير يحتاج الى فحص كثير ونقابة زائد ، أو على حد تعبير الآباء يحتاج الى افراس (تمييز) ، حتى يقف المرء عليه ويدركه ، ومن ثم يجاهد للبرء منه . . .

اتريد أن تعرف ذاتك بصفة مبدئية ، وتطمئن على سلامتك قبل الخوض في هذا الموضوع ؟ إذن فاجب على هذه الاسئلة البسيطة :

الا تسر ببديح من يمدحك ، وتضيق ذرعا بمن يوبخك أو يذمك ، أو في القليل لا ترتاح اليه والى كلامه ؟ . الا يزداد الامر ويصل الى حد الصباح والغضب حينما يزداد التوبيخ أو التوجيه ؟

ما هو مدى طاعتك ؟

ما هو مدى قبولك لنصائح وتوجيهات وارشادات الآخرين ؟

ما هي مشاعرك نحو بعض الناس ممن تفوقهم علما وحكمة وفضيلة وثروة ؟ هل هي مشاعر حنو وعطف واشفاق ، تصاحبها مشاعر شكر وحمد وعرفان لله الذي وهبك هذه النعم وزينك بهذه الفضائل ، أم مشاعر زهو وخيلاء لانك افضل من هؤلاء ؟

لعل نظرتك الى ذاتك الان بدأت تتغير على ضوء هذه الكلمات الثنية . لنتابع باهتمام الكلام عن هذه الخطية الخطيرة .

حقيقة الكبرياء :

١ — انها ولا شك أعظم جميع الخطايا وأكثرها خطرا . قال العلامة أوريجانوس في كتابه « المبادئ » : « قد يسأل أي الخطايا أعظم الكل .

والمعتد طبعاً أن أعظم الخطايا هي الزنا أو التجاسة أو أي دنس آخر مردّه إلى الشهوة . وحقا أن هذه الخطايا قبيحة وشنيمة ، لكنها ليست كذلك الخطية التي يستنكرها الكتاب المقدس ويعدها أعظم جميع الخطايا ، وأنه يجب علينا أن نحترس منها . فما هي إذن أعظم جميع الخطايا ؟ لا شك أنها الخطية التي استقطت الشيطان . وما هي هذه الخطية التي تتردى فيها مثل هذه العظيمة ؟ الكبرياء والفطوسة والزهو . تلك هي خطية إبليس . فبسبب هذه الخطايا سقط من السماء على الأرض لأن الله يقاوم المستكبرين » .

٢ — وهي والدّة خطايا كثيرة ، وليست خطية بذاتها كالسرقة أو الكذب . بل أم تلد بنين لابليس . قال القديس يوحنا الدرجي « ربطت هذه الخبيثة (الكبرياء) برباط الطاعة ، وجلدتها بمسياط المحقرة ، لتخبرني أموراً » . فتأملت : أنا رأس والدّة الأوجاع كلها ، ولا يترأس على شيء ، ولا يخالفني سوى الانضاع والطاعة . وأولادي الغضب ، والحقد ، والادانة ، والصياح والمجادلة ، والتجديف ، واقتناع الإنسان برأى نفسه . . والسبح الباطل هو مركبي ، لكن الوداعة وملازمة النفس تضحكان على المركب والراكب ، وتسبحان قائلتين : نسبح الرب فانه بالمجد تمجّد ، لانه طرح الفرس وراكبه في عمق بحر الانضاع » .

٣ — فهي والحال هذه برج تتحصن فيه خطايا كثيرة كما يتضح من قول ذلك القديس . فالتكرّر مثلاً لا يعترف بخطاه لئلا يقال عنه انه مخطئ . ولا يعتذر لمن أخطأ اليه لئلا يقال عنه انه ضعيف . وهو لا يطيع غيره لئلا يظن ذلك ضعفاً في شخصيته ، وأن رأيه دون رأي الآخر . وكذلك لا يمكنه أن يكون وديعاً مسالماً لئلا يظنه ضعيفاً أيضاً . وهو لا يريد ألا أن يكون غضوباً حتى يعرف الآخرون انه متمسك بحقه ، وهو دائماً ثرثار حتى لا ينهم بالجهل . ويرمى بالجبن . .

٤ — والكبرياء خصم عنيد يظل يقتلنا حتى آخر نسمة من حياتنا . هي لا تخضع لظروف معينة في حياة الإنسان . فحرب الشهوة تشتد مثلاً في سن الشباب وبعد ذلك قد تخمد أو تضعف حدثها . أما الكبرياء فلا تخمد أبداً وكم من قديسين استقطتهم حتى بعد أن بلغوا درجة السباحة !! روى عن القديس مقاريوس الكبير ، انه ساعة خروج نفسه من جسده ، تقدم اليه شيطان المجد الباطل وأخذ يمدحه لعله يجد فيه موضعاً . وقال له « طويالك يا مقارّه لقد وصلت » . فأجابه القديس قائلاً له « لم أصل بعد » . وظل هكذا يقاتله حتى وصلت نفسه إلى الفردوس . فقال القديس « الآن بنعمة المسيح وصلت » . وما أصدق ما قاله القديس يوحنا الدرجي في هذا المعنى « احترس من هذا اللص (السبح الباطل) الذي لا يفارئك إلى الموت » .

٥ — وهي خطية عجيبة حقا إذ تندس مع الفضيلة حتى لا يسهل تمييزها . فبعد أن يكون المجاهد قد تغلب على خطايا كثيرة وانصر عليها ، يأتيه شيطان

السيح الباطل . ويقول القديس يوحنا الدرجي كلاما بديعا في هذا المعنى « ان صمت أعجبت بالصوم ، وان حطت الصوم لأخفى فضيلتي أعجبت بحكمتي . ان لبست جيذا أعجبنى زبي ، وان لبست ردينا أعجبنى زهدي . وكذلك ان سكت أو تكلمت ، وان مدحت أو أهنت فصبرت . فهو كالحسك المثلث اينما طرح انتصب » .

٦ — ومن عجب ان الخطايا الاخرى لا تجسر على الظهور في النور امام الناس ، الا الكبرياء ، فهي تظهر بوضوح في كل مكان ، حتى في الكنائس ودور العبادة . فالزنا والقتلة والسارقون مثلا يستحون بل يحشون امتضاح امرهم ، اما المتكبرون فهم لا يبالون ، لانهم لا يشعرون بأخطائهم ونقائصهم ، وهم دائما يحبون « المتكاثرات الاولى » والمقام الاول في كل امر .

٧ — والاعجب من هذا ، ان سائر الخطايا تسر وتفرح ان هي وجدت من يشاركها ، الا الكبرياء . فالسكر والزاني واللص يفرحون بنظرانهم ، اما المتكبر فلا يحب ان يشاركه احد في مجده الزائف ، ويجب دائما ان يكون وحده هو المكرم والمدحوب والمحبوب . ولا يقدر اثنان متكبران ان يسكنا سويا تحت سقف واحد . فهي ، والحال هذه ، تحرمني علاقتي الطيبة مع بقية الناس ، بعكس انكار الذات فانه يحكم هذه الرابطة . وقدسيا قال يشوع ابن سيراخ « الكبرياء مغبوضة عند الله وعند الناس » (سي ١٠ : ٧) .

بدء الخطية :

قال يشوع بن سيراخ « بدء كبرياء الانسان هو الابتعاد عن الرب » وقلبه يتعد عين صنعه » (سي ١٠ : ١٢) . ومن ذلك يتضح ان مجسود ابتعاد القلب عن الرب هو بدء الكبرياء . فالانسان في علاقته بالله كملائة الطفل بابيه ، لا غنى له عنه ، ولا تقوم حياته بغير عنايته ورعايته . ان مجرد ابتعاد الانسان عن الله معناه انه غير محتاج اليه . لانه اذا شعر المؤمن ان الله يعطيه حياة ونفسا وكل شيء ، وبه يحيا ويتحرك ويوجد (اع ١٧ : ٢٥ ، ١٨) ، فكيف يسمح لنفسه ان تتعد عنه ؟ الا يعتبر ذلك كبرياء ؟ ثم ان التصاق الانسان بالله يدل على حبه ، وابتعاده عنه يدل على بغضه . فكيف يبغض الانسان الله ويكرهه ؟ الا يخافه ؟ ! لكن ابتعاده عنه يؤكد انه لا يحبه ولا يخافه . . فماذا نسعى هذا ؟ الا نسميه كبرياء ؟ !

قال الحكيم ايضا في هذا المعنى « بدء الخطية هو الكبرياء » (سي ١٠ : ١٢) فكيف يكون ذلك ؟

● بدء الخطية هي الكبرياء . من حيث انها الخطية الاولى التي دخلت الى العالم بحسد ابليس ، واستطعت ابونا الاولين ، آدم وحواء .

● وبدء الخطية بمعنى راس الخطية . والكبرياء كما رايناها ، راسا من رؤوس الخطايا الكبيرة ، وأما من أهماتها ، بل أثرها جميعا .

● وبدء الخطية بمعنى اول الخطية . فتقويم الفضيلة يأتي بأحد طريقين: إما كنتيجة لخوف الله أو محبته ، وكلا الطريقين يحفظني من الخطية . فكل من يخاف الله يحرص على ألا يعصاه ، وكل من يحبه يحفظ وصاياه . فان كنت لا أعمل وصاياه من خوف أو عن حب ، فأنا انسان متكبر اتحدى الله ، متناسيا كلماته الى شاول قديما «صعب عليك ان ترمس مناخس» (اع ٥:٩) . ويؤكد لنا هذا المعنى ما قاله الروح للملاك كنيسة اللاودكيين « هكذا لانك فاتر ، ولست باردا ولا حارا ، انا مزعج ان انتيائك من ممي . لانك تقول اني انا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي الى شيء » (رؤ ٣ : ١٦ و ١٧) . فعلى أي شيء تدل هذه الكلمات « انا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي الى شيء » ؟ الا تدل هذه الكلمات على كبرياء النفس ؟ !!

وهكذا يكون للكبرياء معنى آخر في نظر الله ، غير مفهومها الذي يفهمه الكثيرون . فهي لا تقتصر فقط على التشامخ والعظمة ومحببة مديح الناس ، بل تشمل امورا كثيرة اجهلها الحكيم في قوله « الابتعاد عن الرب » .

فاحترس يا أخى اذن ، لئلا بفتورك في حياتك الروحية ، او بابتعادك عن جبلتك ، تظهر ذاتك امامه متكبرا ، ولست محتاجا اليه ، بينما « أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان » (رؤ ٣ : ١٧) .



ماذا يفعل الكبرياء؟

إذا كانت خطيئة الكبرياء مكروهة جدا لدى الرب ، فما ذلك إلا لان الإنسان المتكبر يكون كاللص الذي تبلغ به الجسارة والقحة مبلغا كبيرا « حتى أنه يسرق الله ذاته .. يسرق المجد والكرامة والمنظمة الثلاثة بجلاله الاتدس . والله يغار جدا على مجده . ويقول بلسان أشعيا النبي « أنا الرب ، هذا اسمي ، ومجدي لا أعطيه لآخر » (اش ٤٢ : ٨) كما قال « كرامتي لا أعطيها لآخر » (اش ٤٨ : ١١) . « قال معلمنا بولس الرسول « الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد » (١ تي : ١٧) . قال القديس أوغسطينوس « يا الهي ، أن من يطلب مديحا عن الخير الذي هو من فضل هباتك ، ولا يهدف الى مجدك في الخير الذي يعمله ، بل يقصد مجده الذاتي » انما هو سارق ولص وشبيه بالشيطان الذي حاول أن يسرق مجدك » .

فلا عجب إذن . إذا كان الله يفيض هذه الخطيئة أكثر من الخطايا الباقية . فهو وإن كان يكره الشر بصفة عامة لانه ضد طبيعته الخيرة ، لكن له موقفا خاصا ازاء هذه الخطيئة التي هي بمثابة حصن تتحصن فيه كثير من الخطايا . وقد اظهر يحويوب الرسول هذا الامر بقوله « يقاوم الله المستكبرين ، وأما المتواضعون فيعطيهيم نعمه » (يع ٤ : ٦) . ان هذه الآية توضح مدى كره الله للمستكبرين . فهو لم يكتف بان يظهر بغضه لخطيئتهم ، بل أعلن انه يتاومهم . فالكبرياء — والحال هذه — ايا نتائج سيئة للغاية :

١ — فالإنسان المتكبر ، تنفخى عنه النعمة الإلهية — بسبب كبريائه — فيسقط في ابشع الخطايا . وقد قال الآباء « المتكبر بالمعرفة يسقط في التجديف » والمتكبر بالنفس يسقط في الزنا » . والتاريخ الدسي يحفظ لنا أسماء كبار الهرطقة ، من أمثال آريوس القس الذي كان على جانب كبير من العلم والفلسفة ، ومقدونيوس ونسطور ، وكان كل منهما بطريركا على كرسي القسطنطينية ، وأوطاخى الذي كان رئيس دير في ضواحي القسطنطينية . كما يحفظ لنا تاريخ النساك أسماء بعض القديسين الذين سقطوا في زنى سمج ، ومنهم بعض السواح ، ومعلوم ان درجة السياحة هي اعلا الدرجات الروحية — وكثيرا من هؤلاء سقطوا بسبب كبريائهم ، وتأديبا لهم .

٢ — والإنسان المتكبر لا يترفع عن الناس فقط ، بل انه يحتقر حتى كلام الله ذاته « وكان لما فرغ ارميا من أن كلم كل الشعب بكل كلام الرب الهمم . الذي ارسله الرب الهمم اليهم بكل هذا الكلام . ان عزريا بن هوشميا

ويوحنا بن تاريج . وكل الرجال المتكبرين ، كلموا أرميا قائلين : انت منكم بالكنب » (أر ٤٣ : ١٠) .

٣ — والكبرياء تجرد القلب من الرحمة والحنو والشفقة . انها تسد الأذان عن سماع صراخ المساكين ، وتغضض العيون حتى لا تبصر شقاءهم ، وتغشى القلوب لكي لا تتعطف اليهم . قال المرتل « في كبرياء الشرير يحترق المسكين » (مز ١٠ : ٢) .

٤ — وهي تثير الخصومة بين الناس ، وتضررها ، وتهيجها . قال الحكيم « الحصام انها يصير بالكبرياء » (أم ١٣ : ١٠) . وقال ايضا « المنتفخ النفس يهيج الخصام » (أم ٢٨ : ٢٥) .

٥ — وإن كل الإنسان بالكبرياء ، يريد أن يكون عظيما كبيرا ، لكن النتيجة تأتي على عكس ذلك . فمن حيث أن الله يقاومه — كما سبق القول — فإنه لن ينجح قطعا . قال رب المجد « كل من يرفع نفسه يتضع » (لو ١٤ : ١١) والسبب في ذلك أن المتكبر هو الذي « يرفع نفسه » وليس الله . ومن حيث أنه هو الذي رفع نفسه ، فإن رفعة لا تثبت أن تزول وتسقط . انزل الاعزاء من الكراسي ورفع المتضامين » (لو ١ : ٥٢) . قال الحكيم « كبرياء الإنسان تضعه . والوضيع الروح ينال مجدا » (أم ٢٩ : ٢٣) .

٦ — الله لا يسكن في القلب المتكبر ، بل يهجره فيصير خرابا . قال الرب يسوع لسكان اورشليم بعد أن رفضوه « هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » (مت ٢٣ : ٣٨) . وقال المرتل « سرت من المتكبرين اذ رايت سلامة الاشرار .. صاروا للخراب بفتة . اضمحلوا فنوا من الدواهي . كحلم عند التيقظ يا رب عند التيقظ تحتقر . بالهم » (مز ٧٣ : ٣ ، ١٩ ، ٢٠) . وقال الحكيم « قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح » (أم ١٦ : ١٨) . وقال ايضا « قبل الكسر يتكبر قلب الإنسان ، وقبل الكرامة التواضع » (أم ١٨ : ١٢) .

٧ — ولو اتقن الإنسان كل الفضائل ، لكنه قدمها لله مزوجا بالتشامخ والكبرياء ، فهي مرفوضة منه تعالى ، انها كالبحور المخلط بالتراب والأتذار متى وضع في الجمر لا يلبث أن تفوح منه رائحة كريهة تسد الاتوف وتدفع العيون ...

الكبرياء وسقوط الجبارة :

راينا كيف أن الله يبغض جدا خطية الكبرياء ، ولذا لا نعجب ان كان يقاوم المتكبرين ويذل تعظيمهم ، ويضع خاتمة مروعة لطغيانهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم .

قال داود النبي « لانتك أنت تخلص الشعب البائس ، والاعين المرتعة تضعها » (مز ١٨ : ٢٧) وقال الحكيم بن سيراخ « كراسى الرؤساء أصعب الرب ، وأجلس المتواضعين مكانهم . أصول الأمم المتكبرة قطعها الرب ، وعربس المتواضعين مكانها » (سي ١٠ : ١٤ ، ١٥) . وقال الله بلسان اشعيا النبي « هوذا يوم الرب قادم قاسيا يسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطياتها .. وأعاقب المسكونة على شرها ، والمنافقين على أثمهم ، وأبصر تعظم المستكبرين وأضع تجبر العتاة » (اش ١٣ : ٩-١١) .

لقد كان الله قادرا أن يذل فرعون المتجبر بحركات الطبيعة العنيفة القاسية أو بالدواب الكبيرة والوحوش الكاسرة ، لكنه لم يسلط عليه إلا الضفادع والقمل والذباب — تلك الحيوانات والحشرات الدنيئة ، حتى يعرف قدر ذاته (خر ٨) . وهكذا فعل الرب مع بطرس تلميذه ، إذ أنزل كبريائه أمام جارية (مت ٢٦) . وكذلك جليات الحبار الذي تملكه العرور ، وغير صموف الله الحي ، إذله أمام الفتى الصغير ، راعى الفهم ، داود ، الذي كان أعزل من سلاح القتال ، لكن متحصنا بقوة رب الحنود ، التي استحقتها لأجل روحه الوديعه التي كانت تهتف دائما « اتضعنت فخلصني » (مر ١١٦ : ٦) .

ولنا في الكتاب المقدس امثلة عديدة من هذا القبيل :

فنبوخذنصر ملك بابل الذي ظن انه هو الذي أرسى مواعد ملكه وثبته وامتخر متكبرا ، ازال الرب عنه الملك وطرده من بين الناس ، وأحدره الى مرتبة الحيوانات ، وجعل طعامه العشب ، وأبتل جسمه بندى السماء .. وبعد أن مضت الفترة التي حددها الرب لتأديبه على كبرياء نفسه ، رجس عقله اليه وسبح الرب قائلا « فالان انا نبوخذنصر اسبح وأعظم واحمد ملك السماء الذي كل اعماله حق ، وطرقه عدل ، ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر على ان يذله » (دا ٤ : ٣٧ — ٣٠) .

وهيرودس الجبار العاتية ، ضربه ملاك الرب ، بعد أن انتفخ زهوا وهو يسمع الصفات الالهية تنسب اليه « ولم يعط المجد لله » (أع ١٢ : ٢٠ — ٢٣) . نصار يأكله الدود حتى مات .



أسباب تقود إلى الكبرياء

هل يتعرض الإنسان في حياته إلى أسباب تقود إلى الكبرياء ؟
نعم ، هناك أسباب . لكن ليس معنى هذا أن تلك الأسباب تقود بالضرورة إلى الكبرياء . لكن ما يحدث هو أن الشيطان يتخذها أسلحة يحارب الإنسان بها . ونستطيع أن نجعل تلك الأسباب فيما يلي :

١ - أسباب ذاتية :

كالجمال ، والذكاء ، والقوة البدنية ، والصحة ... الخ .

من العجيب أن تكون أمثال هذه النعم سببا في دخول الكبرياء إلى نفوسنا . انها نعم فطرية منحنا الله اياها ، وليس لنا دخل في وجودها فينا . لكننا نأخذ هذه النعم ، ونجعلها مادة لاغفلته !! كثيرا ما تكون هذه الأشياء مادة لامتخارنا . بينما الرسول يقول « من افتخر فليفتخر بالرب » (١ كو ١ : ٣١) . ويقول أيضا « ان كان يجب الامتخار ، فسأفتخر بأمر ضعفى » (٢ كو ١١ : ٣٠) هل لك يا اخانا دخل في جمال صورتك ، أو قوة بنيك ، أو ذكاء قريحك ؟ لقد ولدت هذه النعم معك ، وما يترتب على أمثال هذه المواهب من توفيق عالمي أو نجاح مادي ، علينا أن نقدم الشكر لله من أجله ، باعتباره المنعم علينا به . وإذا كان لك شخصية محبوبة جذابة ، يحبها الناس ويرتاحون اليها ، فلا تتخذ ظنا أن ذلك يرجع إلى فكرك الثاقب وذكائك الناصر ونشاطك الجم ومعرفتك لنفسية الجواهر ، بل تأكد أن الفضل في ذلك أيضا لله الذي أعطاك نعمة في أمين الناس .

و فضلا عن كل ذلك ، فانك أيضا لا تضمن بقاء هذه النعم والمواهب التي تجعل منها مادة لتشامخك . فقد ينشوه هذا الجمال أو يذوى بسبب مرض أو حادث معين ، وقد يفقد الإنسان ذكاءه الذي يتكبر به ويتجبر . وليس أدل على صدق هذا القول من وجود علماء أفاضل بين نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية ، لا تستطيع أن تفرق بينهم وبين رجل الشارع الذي يعاني من نفس أمراضهم من حيث أحوالهم الفكرية . أما الصحة العامة وسلامة الأعضاء والحواس ، فان أمرها بين واضح . فكم من أمراض أصابت أناسا اقوياء أشداء ، فعدوا . ما بين غمضة عين وانتباهتها — ضعفاء اذلاء . .

ثم هب أن هذه النعم الالهية استمرت معك إلى نهاية هذه الحياة الدنيا — كل زخارف الدنيا ، أمام منبر المسيح العادل في اليوم الأخير ؟ يقينا سوف — دون ما ضعف أو نقصان — نهل تجديك نفعا حين وتوفك عاريا مجردا من

لا تتفكك ، وستكون المجازاة حسب حال القلب الداخلية دون المظاهر الخارجية .

٢ - أسباب عالمية :

كالفنى ، والمراكز ، والجاه ، والنفوذ ... الخ

وهذه مرتع خصيب لشيطان العظمة ، وتربة خصيبة تجود عليه بقلات وامرة في عالم الظلمة ، وساحة نائية يستدرج اليها ضحاياها حيث يشبع غرورهم ، في الوقت الذي ينكل بهم . قال معلمنا بولس الرسول « أما الذين يريدون ان يكونوا اغنياء فيستقون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة ، غيبة ومضرة ، تفرق الناس في العطب والهلاك . لان محبة المال اصل لكل الشرور الذي اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان وطعنوا انفسهم بأوجاع كثيرة . واما انت يا انسان الله ، فاهرب من هذا » (١ تي ٦ : ٦ - ١١) . ومن ثم قال السيد الرب بلسان حزقيال النبي « كثرت ثروتك فارفع قلبك بسبب غناك » (حز ٢٨ : ٥) .

لكن هل علم امثال اولئك الذين يضلهم كثرة المال او المراكز او الجاه او النفوذ ، ان الله هو مصدر هذه كلها ، وانه وحده يعطي القوة لتحصيلها والوصول اليها ؟ قالت حنة ام صموئيل النبي « الرب ينفى ويفقر . يضع ويرفع . يقيم المسكين من التراب . يرفع الفقير من المذيلة للجلوس مع الشرفاء » (١ صم ٢ : ٧ ، ٨) . وقال الوحي الالهى « اذكر الرب الهك انه هو الذي يعطيك قوة لاسطناع الثروة » (تث ٨ : ١٨) . « ما اجمل تسبحة العذراء الوديعية في مسامح نسيبتها اليسانبات » صنع قوة بذراعه ، شئت المستكبرين فكر قلوبهم ، انزل الاعزاء من الكراسى ورفع المتضعين ، اشبع الجياع خيرات ، وصرف الاغنياء فارغين (لو ١ : ٥١ - ٥٣) .

ما احلى ان يكون الانسان غنيا لله ، وغنيا في اعمال صالحة . لقد كانت هذه وصية معلمنا بولس الرسول الى تلميذه تيموثاوس « اوصى الاغنياء في الدهر الحاضر ان لا يستكبروا ، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الفنى . بل على الله الحي ، الذي يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع ، وان يصنعوا صلاحا ، وان يكونوا اغنياء في اعمال صالحة » (١ تي ٦ : ١٧ - ١٩) .

ان هذه الامور المادية غير مضمون بقاءها ، شأنها في ذلك شأن كل ما هو ماضى خاضع لاحداث العالم وتقلباته . ولعل من ابرز الامثلة على ذلك ما اورده لكتاب المقدس عن ايوب الصديق . الذي قيل عنه انه كان « اعظم كل بنى المشرق » (اى ١ : ٣) . ايوب هذا فقد كل ثروته ، وبنيه وبناته وعبيده معا ، في آونة قصيرة . ولذا قال الحكيم « لان الفنى ليس بدائم » (ام ٢٧ : ٢٤) . ثم ان ضمنت بقاءها في هذه الحياة ، فلن تقدر ان تأخذ شيئا منها في الحياة الاخرى . ربما قدرك الناس وبعجوك وقداموك عليهم من اجل غناك او مركزك

الاجتماعى ، لكن الامر سيكون على خلاف ذلك فى الحياة العتيدة . ستكون هناك عاريا مجردا ، شأنك فى ذلك شأن كل الخليقة . وما اصحق ما قاله ايوب الصديق « عرياننا خرجت من بطن امى وعرياننا اعود الى هناك » (اى ١ : ٢١) . والفنى الذى كان لعازر المضروب بالقروح مطروحا عند بابيه ، لم تنفعه امواله فى العالم الآخر ، وقال له ابونا ابراهيم « يا ابنى اذكر أنك استوفيت حيرانك فى حياتك ، وكذلك لعازر السلايا . والآن هو ينمرى وانت تتعذب » (لو ١٦ : ١٦-٢٥) .

فلا تجعل قلبك على المال لتجمعه ، لجرد الجمع ، فلنا منك انه ينفك « ويشد ارك ، ويكسبك هبة واحزما . بل احرص على أن تكتشف « الكنز المخفى » وان تقس « اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن » . اقتن المسيح فتملك الدنيا وكل ما فيها كما يقول الرسول « كفقراء ونحن نغنى كثيرين ، كأن لا شيء لىء . ونحن نملك كل شيء » (٢ كو ٦ : ١٠) . اسأل نفسك بصراحة عن مكان وجود كنزك ، فالسيد المسيح قال « لانه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم ايضا » (لو ١٢ : ٣٤) .

٣ — اسباب تقوية :

فلما ان مما يريد خطورة خطية الكبرياء انها تدس مع المضيلة . ولذا لا يجب اذا كانت الامور التقوية قد تؤدى الى الكبرياء . ومن امثلة الاسباب التقوية ، تمتع الانسان ببعض الفضائل الروحية ، او بمواهب خاصة كموهبة التعليم او الخطابة او الصوت الجميل فى الالحان او استعلانات .. الخ . باطلة هى كل ممارساتنا التقوية ، ومرفوضة من الله ، اذا كانت ممتزجة بالتشامخ والكبرياء والبر الذاتى . ان الله يريد القلب المنسحق ، الذى قال عنه داود بالروح ، ان الله لا يرنله (مر ٥١ : ١٧) . فالفرسى المنكل على بره الذاتى ، كان له صلوات واصوام وصدقات وفضائل اخرى ، اخذ يعدها فى صلاته لله فى الهيكل . لكن هذه كلها رمضت ، لانه قدمها بقلب متشامخ ونفس متعالية (لو ١٨ : ٩ — ١٤) .

اننا مدينون بحياتنا كلها لله — حياتنا الجسدية والروحية — فهو المهتم باجسادنا والمعنى بارواحنا . اما نحن ، فليس ساكننا فىنا اى فى جسدنا شيء صالح (رو ٧ : ١٨) . ما اكثر ما نهين الله بتسلخنا وغرورنا ، نحن الذين بلا كرامة (١ كو ٤ : ١٠) !! .

انك لم تعرف الله بذاتك ، بل هو الذى اعلن لك دانه . انت لم تدعه ، بل هو الذى دعاك . هو الذى جدد حياتك . وهو الذى قدس افكارك . هو الذى افرزك من العالم لتكون له . وهو الذى احترك قلب تأسيس العالم لتكون تديسا وبلا لوم قدامه فى المحنة (١ : ٤) . هو الذى سبق واعد لك ملكا ، وجعلك وارثا له منذ تأسيس العالم (مت ٢٥ : ٣٤) . الا تعلم انه لولا نعمه عليك لكنت عازقا من حياة الدس والخطية ؟ ان كانت افكارك

مقدسة ، فليس لك فضل في ذلك ، لكن الفضل لله الذى انعم عليك بهذه الافكار . وبالجمله ان كنت تشعر بقوة في حياتك الروحية ، فهلا قرأت كلمات معلمنا بولس التى يقول فيها « لان الله الذى قال ان يشرق نور من ظلمة هو الذى اشرق فى قلوبنا لاتارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح . ولكن لنا هذا الكنز فى اوان خزفية ، ليكون فضل القوة لله لا منا » (٢ كو ٤ : ٧ ، ٦) .

ان كل ما فيك من خير هو من الله ، وكل ما فيك من شر هو منك انت . ان القمر الذى تراه منكرا — ويضرب به المثل في الجمال — هو في ذاته جسم مظلم ، ليس فيه ضوء . اما ضوءه فيستمد من الشمس . فهل يليق بالقمر ان يتناخر على الشمس ؟ وماذا لو منعت عنه ضياءها ؟ ان المسيح هو شمس البر وهو « نور العالم » (يو ٨ : ١٢) ، ودعائنا نحن « نور العالم » (مت ٥ : ١٤) . فنحن به نستضيء لكى نضيء . فماذا لو منع عنا نوره ، وحبس عنا ضياءه ؟ !! للحال نصير ظلمة . اننا اغصان في الكرمة الحقيقية ، وحياة الفصن متوقفة على عصارة الحياة التى تصله من الاصل ، فماذا يحدث لو امتنعت العصاره من الوصول الى الفصن ؟ لا شك انه يجف سريعا ويسقط . ان الانهار لا تفيض من ذاتها ، بل فيضاناتها تاتيها من منابعها . وانهار المساء الحى التى تفيض من بطون المؤمنين (يو ٧ : ٣٨) تاتي من الله بفعل الروح القدس . فماذا لو لم يقد الله هذه الانهار ؟ الا يتوقف فيضانها ، وتجف مياهها ؟ ألم تقرأ يا اخى « ان كل عطية صالحة ، وكل موهبة تامة هى من فوق ، نازلة من عند ابي الانوار » (يع ١ : ١٧) . وكذا قول معلمنا بولس فيلبيسوف المسيحية « ان كان احد يظن انه حكيم بينكم في هذا الدهر ، فليصر جاهلا لكى يصير حكيما » (١ كو ٣ : ١٨) !!

اولى بك يا اخى ان تشكر الله من كل قلبك — لاجل هذه العطايا الروحية — حتى يديهها عليك ويزيدها « فليست عطية بلا زيادة الا التى ينقصها الشكر » . اشكره من قلبك وانت شاعر بضعفك ، لاجل ان كل ما فيك من خير هو منه تعالى . ردد في قلبك الانشودة الخالدة التى انشدتها بالروح القدس غريغوريوس الناطق بالالهيات في قداسه مخاطبا الابن الكلمة « وضعت في موهبة النطق . اعطينى علم معرفتك . . ربطتنى بكل الادوية المؤدية الى الحياة . . ياركت طبيعتى فيك ، اكملت ناموسك عنى ، اريتنى القيام من سقطتى » .

اما القديس بولس الرسول الذى كانت له مواهب روحية ، وراى رؤى واعلانات سمائية ، فقد قال عن نفسه « انه لا يوافقنى ان افتخر . فأتى الى مناظر الرب واعلاناته » (٢ كو ١٢ : ١) . وحينما اراد ان يعطى للمؤمنين فكرة عما رآه في السماء الثالثة التى اختطف اليها . لم يتحدث عن نفسه باعتباره الشخص الذى اعلنت له تلك الرؤيا ، بل قال في انكار ذات جميل « اعرف انسانا في المسيح . . انه اختطف الى الفردوس وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لانسان ان يتكلم بها » (٢ كو ١٢ : ٢-٤) . ثم ارفق قائلا

« ولكن من جهة نفسى لا افتخر الا بضعفائى » (٢ كو ١٢ : ٥) . وقال فى نفس الموضوع « فيكل سرور افتخر بالحرى فى ضعفائى ، لكى تحل على قوة المسيح . انى حينما انا ضعيف ، فحينئذ انا قوى » (٢ كو ١٢ : ٩ ، ١٠) .

ارأيت يا اخانا الى ما قاله الرسول العظيم الذى رأى رؤى ، وكشف له من استعلانات ، كيف ينكر ذاته ، ويفتخر فى ضعفاته لكى تحل عليه قوة المسيح ؟ !! فما احرانا ان نتشبه به لتحل علينا نحن ايضا قوة المسيح ، ونستاهل لمواهب اكثر وأفضل .

٤ — اسباب اجتماعية :

كمديح الآخرين ، واعجابهم ، والاكرام والاحترام الزائدين الذين يقدمونها لنا ..

وهذه من الشباك الفعالة ، التى ينصبها عدو الخير فى طريق المجاهدين لاصطياد نفوسهم . من اجل هذا قال القديس يوحنا الدرجى « كبير هو الذى يدفع عنه مديح الناس ، واكبر منه الذى يدفع عنه مديح الشياطين » . اننا من طريق قبول المديح ، نستقط فى خطية السبح الباطل ، التى تقودنا الى الكبرياء .

قد تقول — مدانعا عن نفسك — انا لا امكر فى ذاتى شيئا ، ثم انا لا استطيع ان امنع الناس عن اعجابهم بى ، وتوجيه عبارات المديح لى ، وما يصاحبها من مظاهر الاكرام والاحترام . ومن ناحية أخرى ليست هذه هى سنة الحياة ان يقال للمحسن احسنت حتى يتشجع ؟

انا أوافئك فى انك لاتستطيع ضبط مشاعر الناس نحوك ، لكن فى استطاعتك ان تضبط مشاعرك . فما هى مشاعرك حينما تستمع الى مديح الآخرين لك واعجابهم بك ؟ الا تشعر بفرح داخلى ، يصاحبه تلذذ لدى سماع مثل هذا الكلام ؟ الا يكون لعبارات المديح رنين خاص فى أذنك ، وصدى عميق فى نفسك يدفعك الى محبة من مدحك ، حتى لو قلت انك مسكين وخاطيء ولا شيء ، وان الله هو العامل بك ؟ !! ومقتصر الامر عند هذا الحد ، بل قد يتطور الى حد ان الانسان يطلب أحيانا حكم الآخرين عليه فى عمل اناء ، أو خدمة قام بها ، تحت ستار الرغبة فى تلافى نقائصه وعيوبه . ومتى سمع عبارات المديح طابت نفسه لها ، وظهر من عبارات الاتصاع والمسكنة الروحية ما لا يعمرنه . لكن اعلم يا اخانا ، ان هذا هو بئيمه شيطان السبع الباطل يحركك الى ذلك ، لو فى التليل يستغل هذا الاتجاه لصالحه . فاحترس جيدا . واعلم ان زوان الكبرياء بدأ ينبت فى قلبك ..

ولكى تعلم مدى اهمية هذا المديح . كأداة فى يد الشيطان لاسقاطك ، فى السبح الباطل . استمع لى الى سور لك القديس المخبر يوحنا الدرجى « تعجبت من شيطان اذ رأته رزح من ارجل مكبر ومضى الى آخر وكشفها نه

ليخبر الأخ بها ويحذره منها ، حتى يطوبه كاتسان يعلم الغيب ، ويصنع الخير ، فيتجد في نفسه . ومعنى هذا أن الشيطان — لأنه يستخدم هذا السلاح كسلاح ماض في يده — لا ينتظر أن يمدحنا الناس ، وبعد ذلك يستخدم هذا المديح مادة لادخال الكبرياء الى نفوسنا ، بل انه يصطنع هذا المديح اصطناعا ، وذلك بأن يدفع الآخرين الى توجيه عبارات المديح الينا لكي يتم تصده الشرير !!

من أجل هذا كان الآباء القديسون جد حريصين في هذا الأمر ، حتى انهم قالوا « من يمدح أخاه ينصب لرجليه شركا » . وقالوا في تفسير ذلك « لا تمدح انسانا في وجهه لئلا يدخله الغرور ، ولا تمدحه في غيبته لئلا تثر عليه حسد الشياطين » . الى هذا الحد كان آباؤنا متحفظين من شيطان السبح الباطل .

والآن اهرب يا انسان الله من هذا ، وكن كميث عن العالم الذي « يمشي وشهوته » (١ يو ٢ : ١٧) . لا تبه لمديح الناس أو ذمهم . لا تطرب اذا مدحوك ، ولا تكتئب اذا ذموك . ان مدحهم أو ذمهم لا يغير من حياتك شيئا ، ان لم يتسبب لها في المعطب ، بل ان احتمال الذم والاهانة والمحقرة يخلصنا من المجد الباطل . لذا سارع اليها القديسون ، ودخلوا من بابها الضيق واحتملوا طريقها الكرب . يقول مار اسحق « كل يوم لا تقابلك فيه محقرة لا تحسبه في عداد ايام حياتك » .

ثم من أنت حتى تقبل مديحا ومجدا من الناس ؟ وهو ذا سيدك ومعلمك يقول « مجدا من الناس لست اقبل » (يو ٥ : ٤١) . واذا كان القدوس الذي بلا شر ، والكاامل الذي لم يعرف خطية ، قال ذلك ، فماذا عساي أقول ، انا الذي « بالاثم جبل بي وبالخطية ولدتني امي » ؟

الا تعلم ان الناس يحبون بك ويمدحون افعالك وحياتك ، لأنهم لا يرون منك الا الجانب الحسن ؛ اما افعالك الاثيمة ، وخطاياك ، وفضائحك ونقائصك ، فهم لا يرونها ، لأن الله سترها حتى لا يراها احد ، حبا فيك ، ورحمة بك . من أجل هذا نحن نشكره في بداية صلاة الشكر قائلين « فلنشكر صانع الخيرات . . لأنه سترنا » . وهذا السبب الذي نشكره تعالى عليه ، يأتي قبل اسباب أخرى هامة « اعاننا ، حفظنا ، قبلنا اليه ، اشفق علينا ، عضدنا واتى بنا الى هذه الساعة » . فاذا كان الأمر هكذا يا أخانا العزيز ، فما بالك تنسى نفسك وتقبل مديح الآخرين ؟ !

٥ — اسباب شيطانية :

وهي التي تكون نتيجة محاربة عدو الخير لنا بقصد استقامتنا . وقد تكلمنا عن ذلك ، وقلنا ان شيطان الكبرياء يحاربنا عن طريق الفضيلة ، يندس فيها أو يلبس ثيابها . فبعد أن يكون الانسان قد جاهد ضد خطايا كثيرة وتهرها يبرز شيطان الكبرياء في ميدان الحرب الروحية — لا محاربا أو

مقاتلا — بل مثنيا على ذلك المجاهد جهاده ، وممجدا احتماله وتضحياته ، حتى يعديه ثمرة جهاده القديم كله . وقد كان الآباء القديسون حريصين جدا في طرد هذا العدو الخطر كباقي الأعداء أيضا . ذكر عن أحد الآباء أن شيطان تراءى له في شبه ملاك نوراني وقال له « أنا غبريال ، قد أرسلت اليك » فأجابه على الفور « لعلك أرسلت الى غيري ، وأما أنا فخطيء » . وذكر من آخر كان يبصر الشياطين عيانا ، فلما رأى ابليس نفسه مقهورا منه ، ظهر له بمنظر نوراني قائلا « أنا هو المسيح » . فأغضض الشيخ عينيه . فقال له الشيطان « أنا المسيح وتغضض عينيك مني » ، أجابه القديس قائلا « لا أريد أن أبصر المسيح ههنا » .

وفي كلتا القصتين لم يحتفل شيطان الكبرياء تواضع القديس أو إفرازه باختفى في الحال .

٦ — سبب نفسي :

وقد تأتى الكبرياء أيضا عن طريق مقارنة الإنسان ذاته بمن هم أقل منه . وهو سلاح خطير يحارب به العدو ، حتى نلقى سلاحنا وننتوقف عن جهادنا ، مكتفين بما وصلنا اليه من حياة روحية أو معرفة روحية على حد سواء . ونحن نسالك يا أخانا : لماذا تقبى نفسك بمن هم دونك قداسة وبراً وفضيلة وعلماً . الخ : لماذا تقارن ذاتك بالشرار والجهلاء ، ولا تقارنها بالقديسين والعلماء ؟ ان هذا فضلا عن أنه يقتل من طموحك ، فانه يضعف من جهادك ، ويحد من نشاطك . ان الله يطالبنا ان نكون كاملين وقديسين ، لا على سبيل النصيح ، بل على سبيل الأمر بقوله « كونوا أنتم كاملين كما ان اباكم في السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) ، وأيضا « نظير القدوس الذي دعاكم كونوا اسم أيضا قديسين في كل سيرة » (١ بط ١ : ١٥) . واذا كنا نعلم علم اليقين ان بدون القداسة لن يرى أحد الرب (عب ١٢ : ١٤) وان « البار بالجهد يخلص » (١ بط ٤ : ١٨) ، وان حياة الفتور والتهاون مكروهة لدى الرب بقوله « هكذا لائق فاجر . . انا مزعم ان اتقياك من نومي » (رؤ ٣ : ١٦) ، فلماذا نقعد عن الجهاد متساهلين ، ونقنع بما نحن فيه من ضعف وغثور ؟ لا على سبيل القناعة ، بل شعورا منا باننا أفضل من غيرنا والحمد لله ، !!

ضع أمامك شخصيات كبار القديسين ، والرسل الكارزين ، والشهداء المجاهدين ، والتسكك العابدين من امثال بولس ومرقس الرسولين ، ومار جرجس ومارينا الشهيدين ، ودميئة وبربارة الشهيديتين ، وبولا وانطونيوس ومقاريوس وارسانيوس وباخوميوس وشنودة الرهبان الزاهدين . لأنه اذا وضع الانسان هؤلاء القديسين أمامه ، ونظر الى قداستهم وحبهم وتجردهم وزهدهم يحتر قلبه بالغيرة والحب المقدس ، وتصغر نفسه في عينيه ويهتف في انضاع « اذا كان الصديق بالجهد يخلص » ، فابن اظهر انا الخاطيء » !!



كبرياء الإنسان أمام ذاته

مرضنا فيما سبق لبعض الأسباب التي تتود إلى الكبرياء . وهذه الكبرياء إما تظل كامنة في القلب ، ويصبح صاحبها له من الخارج صورة التقوى ، وإما تتخذ سلوكا ظاهريا في حياة الإنسان . ونتكلم الآن عن كبرياء القلب الداخلية :

إننا محتاجون إلى نعمة الأفراس التي قال عنها القديس الانبا انطونيوس أب الرهبان أنها تفوق الفضائل جميعا إذ هي بمثابة سراح الجسد الذي يجعله نيرا كله . لكن القديسين قالوا أن نعمة الأفراس لا تأتي إلا عن طريق الانضاع ، فلنتضع إذن تحت يده العالية لكي يرفع وجهنا إليه ، ويعرفنا نواتنا على حقيقتها . ولنلجأ أيضا إلى الآباء المرشدين الروحيين ليعطونا التوجيهات الروحية ، بإرشاد روح الله الذي يتقانون به . هناك بعض النقاط التي يمكن أن نعرف أنفسنا على ضوءها . فكن صريحا مع ذاتك وأجب على الأسئلة الآتية ببلء الصراحة لتقف على حقيقة نفسك التي تحلها بين جوانبك .

✽ هل تشعر شعورا قلبيا ، أنك بدون الله ظلمة ، وعدم ، ولا شيء ؟
وإن كل ما فيك من حسن وصلاح هو منه تعالى ؟

✽ ما هو شعورك حينما تقف أمام الله للصلاة ، سواء كنت بمفردك أو مع آخرين في اجتماع صلاة ، أو في صلاة عامة ؟ هل تشعر بعدم استحقاقك للوقوف أمام الله ، يحدوك شعور العشار الذي شعر بخطيته ، ووقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء ، بل قرع على صدره قائلا اللهم ارحمني أنا الخاطيء ، (لو ١٨ : ١٣) ؟

✽ وإذا كنت ممن يخدمون في حقل الكنيسة ، فهل تشعر أنك تعطى أم تأخذ ؟ هل تشعر أنك تضحي بوقتك وجهدك في سبيل خدمة الله ، أم أنك تشكر الله الذي سمح لك أن تحمل كلامه وتعاليمه إلى الآخرين ، وتخدم خدمة المصالحة ، وأن مثلك ما كان يجب أن يعلم بل الأولى به أن يتعلم ، وأنت جلست على كرسي المعلم في الوقت الذي يجب أن تجلس تحت القدمين لتتعلم ؟

✽ ما هو شعورك حينما تصوم ؟ هل بداخلك نوع من الزهو أو الارتياح القلبي حينما تصوم إلى ساعة متأخرة انتطاعيا ، أم تعتقد أنك تصوم لأنك محتاج إلى الصوم لتلجم به جسديك المشاغب حتى لا يجعلك حزرا أمام الناس ؟ وأن صومك ليس من أجل قوتك الروحية بل من أجل ضعفك ، وأن انتقطاعك عن الطعام لوقت متأخر ، ليس هو مادة للزهو ، بل وسيلة لتقويم ذاتك المحرمة أكثر من بقية الناس ؟ ثم أن صومك هذا لا يقاس إلى جانب أصوام

الصوامين الحقيقيين .. ثم ماذا أيضا عن الصوم عن الخطية وعن شبه الشر ، هل أنت تفعل ذلك ؟

✽ ثم ما هو احساسك وأنت تعطى صدقة ؟ هل فيها تقدم عشورك لله ، يهلك حساس بأنك تمت بواجبك الذى أمرك به الله ، وأوفيته حقه ؟ من جهة الكيف ، هل أنت تقدم تقدماتك من أجل الناس ، لكى يمدحوك . ويشيدون بفضلك ، وهكذا « تصوت قدامك بالوق .. لكى يمدحك الناس » أم تحرص على ألا « تعرف شيالك ما تفعله يمينك لكى تكون صدقتك فى الخفاء ، فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ١ - ٤) .

أما من جهة الكم ، فهل تعلم أن تقدمة العشور هى الحد الأدنى للعطاء ، وانها كانت خاصة بالمعهد القديم ؟ أما السيد المسيح فى عهد النعمة فقد علمنا هكذا « يبيعوا مالكم واعطوا صدقة » (لو ١٢ : ٣٣) . أى يبيع كل ما لنا « وان كان لنا قوت وكسوة ملنكتف بهما . لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح اننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء » (١ تي ٦ : ٨ ، ٧) . وقد دعا الرسول الى السخاء فى العطاء بقوله « من يزرع بالسخ فبالسخ أيضا يحصد ، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد .. لأن المعطى المسرور بحبه الله . والله قادر أن يزيدكم كل نعمه ، لكى تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين فى كل شيء تزدادون فى كل عمل صالح . كما هو مكتوب فرق ، اعطى المساكين ، بره يبقى الى الأبد » (٢ كو ٩ : ٦-٩) .

وهذا المال الذى تتصدق به ليس هو لك ، بل هو لله « الذى منه وبه وله كل الاشياء » ، وقد اعطاك اياه . أما أنت فلا تملك شيئا من حطام الدنيا ، لأنك عريانا خرجت من بطن أمك ، وعريانا ستعود الى هناك ..

ثم ماذا تكون صدقتك وتقدمتك الى جانب تقدمات أولئك الذين لم يقدموا كل ثرواتهم فحسب ، بل قدموا ذواتهم أيضا لله وعاشوا « معنازين مكرويين مذلين ... تائبين فى برارى وجبال ومغايير وشقوق الارض » ، أولئك الذين شهد عنب الوحي الإلهى أن « العالم لم يكن مستحقا لهم » (عب ١١ : ٣٧) . (٢٨)

وبالحمد حاسب نفسك ، وانحص حركات قلبك ومشاعرك الداخلية ، واقطع ررع الكبرياء من جذوره ، حتى ينمو زرع الفضيلة ويأتى بثمر كثير .. قال يشوع بن سيراخ « لا ترفع ذاتك برأى نفسك ، كى لا تخطف كالثور نفسك . تؤكل أوراقك . وتفسد أثمارك . وتترك دالك كالعمود اليابس » (سى ٦ : ٢ ، ٣) .

بعض مظاهر الكبرياء

قلنا في النقطة السالفة ان قلب الانسان قد يموح بأفكار العظمة ، وقد يكون الفكر متعاليا ، ومع ذلك يظل الانسان من الخارج له صورة الوداعة . لكن يحدث في بعض الاحيان ان تنعكس آثار الكبرياء في السلوك الخارجى متخذة بعض المظاهر ، كطريقة المشى ، والتمادى في اناقة الملبس ، وارتفاع الصوت ، والتحدث الى الآخرين بطريقة أمره .. الخ .

وقبل الخوض في هذه النقطة ، نود ان نلفت النظر الى ثلاثة أمور :
الامر الأول : ان احكامنا على الناس يجب الا تكون حسب ظواهرهم ، فهذا محض خطأ . وقد حذرنا السيد المسيح من ذلك بقوله « لا تحكموا حسب الظاهر ، بل احكموا حكما عادلا » (يو ٧ : ٢٤) .

والامر الثانى : ان الشيطان قد يستغل هذه الكلمات ليجرنا الى خطية الادانة التى هى بنت الكبرياء .

والامر الثالث : اننا حينما نقول ان الكبرياء قد تأخذ مظهرا خارجيا ، فليس بالضرورة ان كل من كان له مظهر من المظاهر التى سنتناولها بالكلام، هو متكبر . انما قصدنا ببعض مظاهر الكبرياء انها قد تظهر احيانا فى سلوك الانسان . فعلينا ان نفحص ذواتنا حتى لا نعرث الآخرين ، وحتى لا نفقد صداقتهم ومحبتهم لنا، نتيجة نفورهم منا حينما يكون سلوكنا على ذلك النحو .

تد تأخذ الكبرياء مظهرا خارجيا فى طريقة المشى ، بان يمشى الانسان مترعفا متعاليا عن باقى آدميين . عليك حينما تسير على الارض ، ان تشعر انك تسير على اجساد آدميين مثلك تحولت اجسادهم الى تراب منذ مئات السنين . وصدق الشاعر حينما قال :

خفف الوطأ ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد

بل سيأتى اليوم يا اخى الذى يتحول فيه جسدك الذى تباهى برشاقته وجماله وحسنه ، الى تراب . قال الحكيم قديما « لماذا يتكبر الثراب والرماد » (سى ١٠ : ١٠) ؟

وقد تأخذ الكبرياء مظهرا فى اللباس الفاخر ، والتائق الزائد ، والكماليات المختلفة . تمثل بالرسول الذى قال « ان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بها » (١ تى ٦ : ٨) ، ولم يقل مثلا « ان كان لنا طعام وثياب فلنكتف بهما » . فالقوت هو ما يسد رمق الانسان ، والكسوة هى ما تكمو عريه .. وشتان

بين التعبيرين . كابن وديع تشبه بالهك الوديع ، الذي لم يكن يملك درهمين يوفى بهما الجزية (مت ١٧ : ٢٤-٢٧) ، وهو مالك السموات والارض « والذي افترق برادته ، ولم يكن له أين يسند رأسه (مت ٨ : ٢٠) .

وأحيانا نأخذ الكبرياء مظهرا في الكلام . ولا نقصد به مفهوم الكلمات بل طريقة الكلام ذاته كأن يتكلم الإنسان بسلطان ، وبطريقة أمرة . وأيضا في نبرات الصوت كأن تكون عالية جدا ، وكذا في الصياح . راجع نفسك يا أخانا العزيز وتشبه بسيلك ومعلمك الذي قيل عنه « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته . تصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفئ » (مت ١٢ : ١٩ و ٢٠) . لا تكلم أحدا بسلطان ، بل كن وديعا حتى في الموقف الذي يحتم عليك أن تكون أمرا . ونق كلامك من الخطأ في مواقف الغضب الاضطراري ، لأنه مكتوب « اغضبوا ولا تخطئوا » (اف ٤ : ٢٦) .

الكبرياء المسترة في الفضيلة

قلنا فيما سبق ، ان مما يزيد من خطورة الكبرياء ، انها تنسج في الفضيلة ، أو تستتر فيها . ومن امثلة ذلك :

(١) القدوة الصالحة :

قد يحارب الشيطان الانسان الذي يجاهد في حياة الفضيلة ، ويحاول ان يعدمه كل جزاء عمله وجهاده ، باسم القدوة الصالحة . وهو يحاول ان يقتنمه بأنه مطالب ان يكون قدوة صالحة ونورا للعالم ، ويورد له بعض الآيات الكتابية مثبتا خداعه ، مثل « فليضيء نوركم هكذا قدام الناس ، لكي يروا اعمالكم الحسنة ، ويبجدوا اباكم الذي في السموات » (مت ٥ : ١٦) . فمبتى اقتنع ذلك الانسان بمشورته الفاسدة ، يجعله كيف تصرفاته واقواله وافعاله ، حتى يبدو امام الناس قدوة صالحة ، ويشعر — وهو يتم هذه الوصية — انه يسهم في انتشار ملكوت الله على الارض ، حسب نص الآية المذكورة . ومن البين ان شيطان الكبرياء هو الذي يجرنا هذه التجربة ، حتى تكون عبادتنا كلها لاجل الناس ، وليس لاجل الله . ومن حيث ان عبادتنا كانت لاجل الناس ، فيليق بنا ان نقبل تقديرهم ومديحهم ، لكن في الوقت نفسه نكون قد استوفينا اجرنا .

ولا يختلط في ذهنك ما يفعله ذلك الانسان ، وتحسبه رياء . فالرياء خطية اخرى تختلف عما نحن بصدد . المرائي هو انسان يتظاهر بالفضيلة ، ويلبس ثوبها ، بينما داخله مشحون اثما ، وهو يعلم ذلك ، أو بحسب تصوير الرسول « له صورة التقوى ولكنه ينكر قوتها » .

اما الحالة التي نتكلم عنها ، فهي حالة انسان يحب الفضيلة ويجاهد من اجلها حقاً ، لكن عوض تقديم عبادته لله ، وابتناء مرضاته وحده ، ينصرف بخداع الشيطان ليرضى الناس تحت ستار القدوة الصالحة . وقد قال معلمنا بولس قولاً صريحاً في هذا الامر « لا بخدمة العيين كما يرضى الناس ، بل ببساطة القلب خائفين الرب . وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب للرب ليس للناس . فمالين انكم من الرب ستأخفون جزاء الميراث لانكم تخدمون الرب المسيح » (كور ٣ : ٢٢-٢٤) .

اذا حاربك شيطان السبح الباطل في مثل هذه الحرب بالآيات الكتابية — كما تجاسر واستخدمها في تجربته لمسيبك — فارشقه بسهام الاتضاع ، وقائله « بسبب الروح الذي هو كلمة الله » (اف ٦ : ١٧) . لمقدمها قال المرتل « مغبوط هو الرجل الذي يملأ جعبته منهم » (مز ١٢٧ : ٥) ، اي من امثال هذه السهام كما قصر القديسون . ويقول القديس اوجسطينوس الدرجي

« لا تقبل من شيطان الباطل اذا ما اتمار عليك ان تشهر فضلك
لينتفع الذين يرونها ، وانكر قول الرب ، ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم
كله وخسر نفسه » .

(ب) عدم اعمار الآخرين :

وقد يخفى شيطان الكبرياء تحت ستار الحرص على عدم اعمار الآخرين
بتصرفات معينة . وفي هذه الحالة يكون امتناعنا عن الشر وفعل الخطيئة ،
يحدثنا اليه الحرص على عدم اعمار الآخرين ، لا ارضاء الله ذاته ، وان كان
يرضيه ايضا عدم اعمار الآخرين . مفروض حينما نفعل الخير ان نفعله لذاته ،
ونفعله لأن الله — الخير الاعظم — اوصانا ان نفعله ، وان كان الناس يستفيدون
من هذا الخير عن طريق ما ينتج عنه من فائدة مباشرة ، او عن طريق القدوة .
وايضا حينما نتجنب الشر ، نتجنبه لأنه لا يليق بنا — كأولاد لله — ان نفعل
الشر ، ولأن الله ابانا — الذي يبغي الشر ويكرهه — اوصانا ان نمتنع عنه .
وقد يصيب هذا الشر بعض الناس ، اما عن طريق ما ينجم عنه من اذى مباشر ،
او بواسطة العثرات . وعلى ذلك ينبغي ان يكون تجنبنا لاعمار الآخرين مرده
الى ان العثرات امور غير لائقة في ذاتها . وما قلناه في النقطة السابقة الخاصة
بالقدوة ، نقوله هنا ايضا وهو انه يجب الا يكون تجنبنا لشر مراعاة للناس بل لله .

وثمة امر آخر يدخل تحت هذا العنوان ، وهو « الدفاع عن النفس
حرصا على عدم اعمار الآخرين » . فهناك انسان حينما يوجه اليه لوم ، او
ينسب اليه خطأ ، يثور مدافعا عن نفسه مدفوعا بكبرياء داخلية حقيقتها هي
رغبته في ان يبدو بلا عيب امام الناس . ولكنه اذ يحتج على ضميره ، ويبنعه
عن الدفاع عن نفسه تواضعا ، يحاول ان يخدع ضميره ايضا مستترا وراء
فضيلة عدم اعمار الآخرين . اما الميزان الحقيقي الذي وزن به فضيلة القلب في
هذه الحالة فهو سؤالنا له : هل الرغبة في عدم اعمار الآخرين هي السبب الوحيد
في دفاعك عن نفسك ؟ ام هل هناك رغبة اخرى هي حرصك على الظهور بلا
عيب امام الناس ، حرصا على سمعتك الروحية وكرامتك ؟ هل السببان
موجودان معا ؟ ان كان كذلك فايهما اقوى ؟ ايهما السبب الاول ؟ ايهما السبب
الاساسي والوحيد ، بينما يكون السبب الآخر في غالبية الحالات مجرد ستار
زائف ، او كذب نفساني يضيف الى خطية الكبرياء خطية اخرى !

ان هذا يا اخانا هو بعينه خداع شيطان الكبرياء ، فلا تستمع اليه ، ولا
تتجاوب معه . ضع امامك صورة سيدك ومعلمك القدوس ، الذي قيل عنه
« ظلم اما هو فتذل ولم يفتح فاه » (اش ٥٣ : ٧) . وايضا صور القديسين
الذين امنوا في انكار ذواتهم ، وصبروا على اتهمهم ولم يدافعوا عن شرفهم
وسمعتهم ، فتهروا بذلك اقوى اعدائهم . ومن امثلتهم القديس مقاريوس الكبير
الذي انتهته فناء حملت سفاحا بأنه زنى معها . وقد نال القديس من هذا الاتهام
الكثير من الاهانات والشتائم والضربات . كان خلالها صابما لم يدافع عن
نفسه . واخيرا قبل اهل الفتاة اخلاء سبيله بعد وساطة بعض المعتلاء ، وبعد

أن قبل أن يقوم بنفقات المولود حينما يرى النور . وقد ضاعف القديس شغل
يديه وكان يقول لذاته ؟ كذا يا مغاره ، لقد صارت لك زوجة . وفي وقت
الوضع تعسرت الحامل جدا ولم تجد شيئا يريحها الا اعترافها بالحقيقة ،
وباسم من أخطأت معه . فتمعجب أهل القرية من مرط احتمال القديس وانكاره
لذاته ودموا على ما مرط منهم . وانتقلب حقدهم عليه الى الرغبة في تكريمه
والاعتذار له ، فتوجهوا الى حيث كان يقيم ، لكنه كان قد سبقهم — بمجرد
علمه بما انتهى اليه الامر — الى البرية هاربا من المجد الباطل .

**ونحن حينما نذكر هذه القصة نذكرها لك لا لتقديها، لانه لا توجد
وصية الهية تنهاك عن الدفاع عن نفسك في قضية كاذبة ، حينما يكون هناك
داع لذلك . لكننا ذكرناها لتضع املك صورة رائعة لقديسين الذين ابعثوا
في احتقار انفسهم هربا من المجد الباطل ، حتى بعد ذلك لا تثور ، ولا تبذل
كثير اهتمام في الدفاع عن نفسك في أمور ناقصة أو نحو ذلك ، مستجيبا في ذلك
لشيطان الكبرياء الذي يستتر وراء أمثال هذه الفكرة .**

(ج) الدفاع عن الحق والمبادئ :

وكما يحرص شيطان الكبرياء أنسلا ويثير فيه الحمية للدفاع عن نفسه
حتى لا يعثر باقي الناس، كذلك يحركه للتحرك في عناد وأصرار وتسامخ
على محدثه تحت ستار الدفاع عن الحق . ومسلك الانسان في دفاعه عن قضية
الحق هو الذي يظهره انه على غير حق . فالحق يدافع عن نفسه في غير تعنت
أو تشامخ أو ضجيج أو صياح ، كما تنبثق الشمس من ليل مظلم ، تولى الادبار
أمامها جيوش الظلام . قد يكون أسلوب شخص ما ، ينم عن الكبرياء الذاتية
والغرور ، ولكنه حينما يوجه الى ذلك ، يدعى انه يدافع عن الحق . وقد يكون
مدفوعا بهشاعر صادقة ، لكنه مع ذلك مخدوع في ذاته .

**ويأتى تحت هذه النقطة ، الطريقة التي يدافع بها البعض عن المبادئ .
ونلمس ذلك في المحيط الروحي ، ومحيط الحياة النفسية ، والخبرة الدينية .
وكون انسان يتمسك بمبدأ روحي معين في الحياة الروحية عامة ، هذا حسن
ومفيد ، لكن الخطأ ينشأ نتيجة شعوره ، انه الوحيد الذي على صواب ، وكل
من عداه مخطئون . ان هذه ليست سوى كبرياء من نوع معين ، لنا ان
نسُميها « كبرياء المبادئ » . فإلله ليست له واسطة واحدة للوصول اليه ،
كما ان خدمته يمكن أن تكون بطرق متعددة ، وغالبا ما تكون هذه الطرق جميعها
مكيدة لبعضها .**

(د) جلال المركز الديني أو الاجتماعي :

ويحدث أحيانا أن بعض الذين يتقلدون مناصب خطيرة سواء في الكنيسة
أو المجتمع ، يظنون أن مناصبهم تقتضي الظهور بمظهر الترفع من أجل جلال
المراكز التي يتبوؤونها . والواقع أن شيطان الكبرياء ، هو صاحب هذا الفكر .
وإذا كان الاتضاع يرفعنا الى السماء ، أفلا يرفعنا في أعين الارضيين ؟ وإذا
كان الرسول يقول « يقاوم الله المستكبرين » ، وأما المتواضعون فيعطيهن نعمة ؟

(رعب ٤ : ٦) ، أفلا يعطينا هذه النعمة في أعين الناس فيخضعوا لنا من حب ، ويكرمونا عن تقدير ؟ ! أننا لم نعرف الله هكذا ، بل حينما ظهر في الجسد ، لبس التواضع كثوب أخفى تحته لاهوته ، ومع ذلك كلن الجميع يهابونه ، وأحيانا كانوا لا يجراؤون على سؤاله بما يعلن لهم . ولم يحدث أن اتضاع السيد المسيح اضاع هيئته أو أطاح بكرامته .

وإذا كان الاتضاع لازما لكل من يشغل مركزا رئيسيا بصفة عامة ، فهو الزم ما يكون لمن يشغلون مناصب في الكنيسة . يقول العلامة أوريجانوس في ذلك « غالبا ما تتسبب الكبرياء عن الجهل بمعنى الرتب الكنسية ، ودرجات الكهنوت والشمامسية . فكم من كهنة ينسون الاتضاع بعد سيامتهم ، كما لو كانوا قد سيموا لكي يتوقفوا عن الاتضاع !! كان يجب ان يتوخوا التواضع لأنهم حصلوا على رتبهم حسب كلمات الكتاب المقدس «ازدد تواضعا ما ازددت عظمة» (١ : ٣ : ١٨) . قد انتخبك الكنيسة فاحن رأسك باتضاع . قد اقيمت رئيسا فلا ترتفع ، بل كن بينهم كواحد منهم . يلزم أن تتضع ، ويلزم أن تهان ، ويلزم أن تهرب من الكبرياء رأس جميع الرذائل » .

ان الكبرياء لا تكسب الرئيس أو المدير احتراماً واجلالاً ، بل الذي يفعل ذلك هو الروحانية ، خاصة في الرتب الكنسية . أما الكبرياء فتسقط الرئيس الديني أو الخادم الكنسي لأنها لا تتفق وطبيعة خدمته .

الكبرياء العامة :

وكما ان الكبرياء تتولد فينا بسبب امور شخصية ، فهي قد تتولد ايضا لاسباب عامة او جامعة . ونقصد بذلك أن الانسان قد لا يفخر بذاته وصفاته وانما يفخر بشيء عام كاسرته أو بلده أو الهيئة الدينية التي ينتمى اليها (جمعية او مدارس احد) . ومن الواضح ان افتخارنا بأمثال هذه الاشياء يدل على كبرياء تعمل في النفس ، فضلا عن السطحية في التفكير وعدم العمق في حياة الروح . وتديما ومع معلنا بولس الرسول الكورنثيين قائلا « لأنه متى قال واحد انا لبولس وآخر انا لأبولس ، افلستم جسديين ؟ .. اذن لا يفخرن احد بالناس » (١ كو ٣ : ٤ ، ٥) . وقال ايضا للفلاطين « لأنه ان ظن احد أنه شيء وهو ليس شيئا فإنه يغش نفسه . ولكن ليمتحن كل واحد عمله . وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط ، لا من جهة غيره . لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه » (غل ٦ : ٣ - ٥) . لا نفتخر بالآخى الا بالرب ، فالرسول يقول « من افتخر فليفتخر بالرب » (١ كو ٣ : ٣١) . لا تفخر بانتسابك الى جمعية دينية شهيرة ، او بآئك تخدم في حفل ذي اسمهم موق في مدارس الأحد . لا تفخر بهذا ، لأنه لا يخلص نفسك ، ولا ينفعك أمام منبر المسيح المخوف العادل في اليوم الأخير ، بل افتخر دائما بالرب متشبها بدادود المرتل الحلو الذي كان يقول « **بالرب تفخر نفسي** » (مز ٣٤ : ٢) .

ان موضوع فخرنا الحقيقي ، أننا أولاد الله ، ويزداد فخرنا حينما نرى اسمه المبارك يتقدم في افواه الكثيرين بعد أن يملك على قلوبهم .

كيف يعالج الانسيان كبرياءه ؟

تحدثنا ونحن نعالج الاسباب التي تقود الى الكبرياء ، عن بعض العلاجات التي نعالج بها تلك الاسباب . ونحن هنا نجعلها فيما يلي :

١ - نسبة الخير الى عمل النعمة :

اشعر أن كل ما فيك من حسن أيا كان هو من الله ، الذي لما أبدع الانسان رأى كل ما عمله « فاذا هو حسن جدا » (تك ١ : ٣١) . ردد مع دانيال النبي قوله « لك يا سيد البر اما لنا مخزى الوجوه » (دا ٩ : ٧) . لا يبهرك العالم بضيائه الخادع ، ولا تنخدع بحلاوته الوتتية ، فانه يعقبها مرار وافسنتين . ازهد في العالم وكل ما فيه ، فانه يمضي وشهوته تزول .

٢ - اخفاء الفضائل :

ان كان الرب قد اعانك واتعم عليك ببعض الفضائل او المواهب ، فلا تتحدث عنها امام الآخرين ، حتى لو كنت قد حصلت عليها بعد جهاد طويل شاق ، بل ليكن شعورك في جهادك دائما قول السيد الرب « متى فعلتم كل ما امرتم به فقولوا اننا عبيد بطالون » ، لاننا انما عملنا ما كان يجب علينا « (لو ١٧ : ١٠) . اخف فضائلك لكي تنمو . انها كالكنز الذي متى كشف تعرض للسرقة . لقد اخفت أم موسى (النبي) طفلها ثلاثة اشهر ، وهكذا الفضيلة التي هي مولود النفس ان لم نخفها من فرعون الروحي ، الذي هو ابليس ، لن تنمو . هكذا سلك القديسون في حياتهم واخفوا فضائلهم ، بل كانوا احيانا يصطنعون تصرفات معينة ويتكلمون كلاما خاصا مستهدفين من وراء ذلك اخفاء فضائلهم . وحينما كانوا يضطرون للتحدث عن امور اختبروها في حياتهم الروحية ، كانوا يروونها كأنها حدثت مع غيرهم . ان اظهرت فضائلك ليمدحك الناس ويمجدوك فاعلم انك بهذا تستوفى اجرک هنا على الارض . قال ابراهيم ابو المؤمنين للحنى « اذكر انك استوفيت خيراتك » (لو ١٦ : ٢٥) . والسيد المسيح حينما تكلم عن المرائين الذين كانوا يتظاهرون بفضائلهم « لكي يمجدوا من الناس » قال « الحق اقول لكم انهم قد استوفوا اجرهم » (مت ٦ : ٥) .

٣ - الاحتراس الشديد وخاصة لخدام الكلمة :

خدام الكلمة سواء الكهنة او الوماط او خدام مدارس الاحد ، وبالجلة جميع المشتغلين بخدمة خلاص النفس ، محتاجون الى احتراس كبير من شيطان المجد الباطل اكثر من غيرهم ، وذلك بسبب ما يصاحب خدمة الله احيانا ، من

بركات ومعونات وآيات ومعجزات وقوات ، يتخذها شيطان المجد الباطل سببا لاندخال الكبرياء الى نفوس هؤلاء الخدام . لكن علينا ان نفهم امرين :
اولهما : ان النعمة التي يهبنا اياها الله في خدمتنا ، ليست بالضرورة من أجل قداستنا . بل قد تكون من أجل غائدة النفوس المخدومة التي يحبها ومات لأجلها .

وثانيهما : ان الله يظهر ذاته في عمله من أجل تمجيد اسمه القدوس .
نعمل الله ليس مشروطا بصلاح الخدام ، بل « ان نحن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لمن يقدر أن يفكر نفسه » (٢ : ٢ : ١٣) . وليس ادل على ذلك من قول السيد المسيح « كثيرون سيقولون لى في ذلك اليوم يارب يارب اليس باسمك نبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين . وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ اصرح لهم انى لم اعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم » (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣) . قد يكون الخادم سببا في خلاص نفوس كثيرة ، ومع ذلك نفسه تهلك كما قال معلمنا بولس الرسول « حتى بعد ما كرزت للآخرين لا اصير أنا نفسى مرفوضا » (١ كو ٩ : ٢٧) .

علينا — كخدام — حينما نحس بنعمة الله ، أن نقدم الشكر والحمد عالمين أننا لسنا العاملين ، بل الله هو العامل فينا ومعنا وبنا ، كتقول الرسول بولس « ليس الفارس شيئا ولا السائق بل الله الذى ينسئ .. فاننا نحن عاملان مع الله ، وأنتم فلاحه الله » (١ كو ٣ : ٧ ، ٩) . وايضا « نسعى كسفرء عن المسيح كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ٢٠) . فما أنت الا عامل مع الله ، والله يعظ بك ، هو الذى يعظ ، وان كان عن طريقك .

اسرع عقب الخدمة ، وقدم شكرك لله بالصلاة من أجل معونته وميله معك ، حتى اذا أتاك شيطان المجد الباطل ليؤزرع فيك أفكاره ، ويجد فيك موضعا ، تدفعه بقولك — كما كان يفعل أحد الآباء « لقد تأخرت في مجيئك ، وأنا قد قدمت كل شيء للرب » .

ان مثل هذا السلوك نجده واضحا في شخصية خادمة كالقديس **الابا هرابليون أبو طرحة** استشف المتوفية في القرن الماضي ، الذى انعم الله عليه بموهبة شفاء الامراض واخراج الارواح النجسة . هذا حين كان يدخل قلايته بعد عمل معجزة ما ، كان يسمع وهو يصارع مع نفسه التى كان يحركها شيطان المجد الباطل قائلا « بقى أنت يا صليب يا نتن ، يا عفش ، يا بيساع الزيت (١) ، تعمل معجزات . ده المسيح الهنا الى ميل . ويظل هكذا في صراحه مع نفسه حتى يولى شيطان السبح الباطل الادبار املم انكره لذاته .

(١) هذا كان اسمه وميله قبل رهبنته .

والله نفسه في خدمتنا يريدنا ان نتضع لنستاهل لنعم اوفر ، ولتصان من تلك الخطيئة التي اسقطت طفمة ملائكة وابوينا الاولين . فحينما اظهر الله ذاته لموسى النبي عند جبل حوريب ، في العليقة ، وحمله رسالة يبلغها الى فرعون ، وجعله قائدا لشعبه بواسطة المعجزات التي يسجريها الرب على يديه ، وبعد ان عمل الرب معجزة املمه ، وهى تحول العصا فى يده الى حية ، ثم الى عصا مرة اخرى ، قال له الرب « ادخل يدك الى عبك ، فأدخل يده فى عبه ثم اخرجها واذا يده برصاء كالثلج . ثم قال له رد يدك الى عبك . فردد يده الى عبه ثم اخرجها من عبه ، واذا هى قد عادت مثل جسده » (خر ٤ : ٢-٧) . وكان قصد الله من هذه المعجزة الاخيرة ، ان يلقي موسى درسا روحيا في انكار الذات ، حتى لا يتكبر بواسطة المعجزات التي سيملمها بيديه ، ويعرفه بالدليل الملموس ان اليد التي عملت منذ لحظات معجزة يمكن ان تصير برصاء في برهة قصيرة .

فلا نفق اذن بمقولنا التي تفكر ، وانواهنا التي نتكلم وتعلم وتمط ، وايدينا التي تعمل وتبنى ، عالمين ان الله هو العامل مينا وبنا . .

٤ - تذكر خطايانا :

معرفة الانسان ذاته وتذكر خطاياه السالفة ، لان فيها مادة كثيرة للخزي والخل . والفرض من ذلك ان تصغر نفوسنا في اعيننا . فليس معنى ان الله سامحنى في خطايائى وغفرها لى ، ائنى لم اتعد عليه واهينه في فترة من الفترات . حسن اذن ان اذكر خطايائى والىعالى التبيحة حتى تتضع نفسى . ولذلك كان داود النبي يقول « لائى عارف بهمايى . وخطيئى لئامى في كل حين » (مز ٥١ : ٣) ، حتى بعد ان قال له ناثان النبي « الرب ايضا قد نقل منك خطيتك لايموت » (٢ صم ١٢ : ١٣) .

٥ - معرفة المقياس الحقيقى للعظمة :

كانت مقاييس العظمة فى نظر ابناء العالم — وما تزال — هى المقاييس المادية ، كالجاه والعظمة والنفوذ ، والمال ، والثروة ، والمراكز العالمية ، والدرجات العلمية . الخ . كانت هى الخطأ الاول الذى ارتكبه الانسان الاول ، وبسببه طرد من الفردوس ، وخسر بركات كثيرة . وبه ايضا ما زال يفقد نعماء وقيرة .

لكن السيد المسيح ، فيما اراد ان يصحح الاوضاع ، ابان خطأ تلك المقاييس العالمية بقواله ، كما اظهر بشخصه المبارك وحياته وهو فى الجسد ان انكار الذات وما يصاحبها من المسكفة الروحية والزهد فى مباحج الدنيا ، هى مقياس العظمة الحقيقى .

ففى الوقت الذى فتح احضائه للاشراق . واوسع له صدره ، وغفر

للزانيات وقال لواحدة منهن امسكت في ذات الفعل « ولا انا ادينك . اذهبي ولا تخطيء ايضا » (يو ٨ : ٢-١١) ، نجده يحمل على الكبرياء والمتكبرين في شخصية الكثرة والفريسيين ، ويكيل لهم الويلات (انظر مت ٢٣) ، كما ندد بعبادة النظار وحب الرئاسات والتمكآت الاولى . وقال في ذلك الوقت « لأن من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (لو ١٤ : ١١) . كما قال ايضا « اكبركم يكون خادما لكم » (مت ٢٣ : ١١) . ولما طلبت ام ابني زبدي منه ان يجلس ابنها ، واحد عن يمينه والاخر عن يساره ، وكان نتيجة ذلك ان اغتاط بقية التلاميذ ، دعاهم يسوع وقال لهم « انتم تعلمون ان رؤساء الامم يسودونهم ، والعظماء يتسلطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم . بل من اراد ان يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما ، ومن اراد ان يكون فيكم اوليا فليكن لكم عبدا . كما ان ابن الانسان لم يات ليخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٠-٢٨) .

وشخصيه يوحنا المعمدان الذي شهد عنه رب المجد بانه « اعظم مواليد النساء » توضح لنا السر الحقيقي للعظمة . فقد جاء هذا في بشارة الملك لابيه زكريا « لانه يكون عظيما امام الرب » (لو ١ : ١٥) . وهكذا تكون العظمة الحقيقية هي العظمة « امام الرب » . هي عظمة الفضيلة ، والشركة المقدسة مع الاب السماوي . وهي عظمة حياة الروح وحياة التجرد والرهدة في العالم ومباهجه . وهي عظمة المثل العليا الروحية وفي مقدمتها انكار الذات .

ماذا من اعظم مواليد النساء ؟ ماذا عن مكانته وتوته . وعزته وسطوته ، وثورته وثقافته ؟ لم يكن على شيء منها بحسب مفهوم المجتمع . لكنه كان « صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب » ، اصنعوا سبلا مستقيمة » (مر ١ : ٣) لم يكن يلبس البز والارجوان ، لم يكن طعامه من موائد الملوك والعظماء ، ولم تكن له ثروة ورثها عن اجداده ، أو مركزا تقلده عن ابيه . ومع كل ذلك كان الملك برهه ، وكان رؤساء الكهنة يعملون له حسابا كبيرا . وكان الشعب يحله كنبى عظيم ، وكانت الجموع تخرج اليه معتمدين ، معترفين بخطاياهم . وبالجملية فقد كان عظيما امام كل الناس . لانه كان عظيما امام الله . ولعل سر عظيمته كائن في انكاره لذاته ، وزهده فيما يتكالب عليه غالبية الناس . بل ويفنون حياتهم في سبيل تحصيله .

وماذا عن بولس رسول يسوع المسيح ربنا ، وفيلسوف المسيحية ؟ بولس العظيم الذي اختطف الى السماء الثالثة . وسمع كلمات لا ينطق بها ، ولا يسوغ لانسان أن يتكلم بها (٢ كو ١٢ : ٤) . بولس العظيم صانع المعجزات الذي كانت المناذيل والعصائب التي تلقى عن حسده تشفى الامراض وتخرج الارواح الشريرة . بولس المشر العظيم الذي له اتماع كثيرة في

الكرازة تفوق اتعاب أى من الرسل (٢ كو ١١ : ٢٣-٣٣) . لكنه مع ذلك كان يقول أن لا يوافقه أن يفخر . وأن كان يجب الافتخار فسيفتخر بأمر ضمه (٢ كو ١١ : ٣٠) . بولس المبشر صاحب الشخصية الروحية الجبارة ، الذى وهو سجين ارتعب منه قاضيه — فيلكس الوالى — أثناء استماعه اليه وهو يحدثه عن « البر والتعفف والدينونة » (١ ع ٢٤ : ٢٥) . بولس الكارز بالخلاص الذى من غرط اعجاب الناس به ، نادوا به الها وارادوا أن يقدموا له الذبائح ، لكنه مزق ثيابه (١ ع ١٤ : ١١-١٤) .

بولس هذا ، كان سر عظيمته انكاره لذاته . لقد حسب ذاته انه كاتذار العالم ووسخ كل شيء (١ كو ٤ : ١٣) . نسي كل شيء : علمه وفلسفته ومعارفه وخدمته واتعابه فيها . رفض كل كرامة عالمية قدمت له . اظهر ضعفه فحلت عليه قوة الرب ، واعلن جهله فاخذ من الله حكمة « ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون » (١ كو ٢ : ٦) . ولا محجب في ذلك . حسبته انه سمع من الرب قوله « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢ كو ١٢ : ١٩) .

هذا هو سر العظمة الحقيقية . أن نكون عظماء فيما للرب عظماء فى التقوى والفضيلة . عظماء فى حياة الروح . عظماء فى حياة الزهد والتجرد الاختيارى . .



الكرامة

« من عدا وراء الكرامة هربت منه ؟
ومن هرب منها بمصرفة ، تبعته
وأرشدت الناس اليه » .
(مار اسحق)

- + المسيحية وكرامة الانسان .
- + لماذا أهرب من كرامات العالم ؟
- + كيف أقتنى الكرامة ؟

للفظ الكرامة استعمالات كثيرة في الحياة الدنيا ، للتعبير عن دوافع ومشاعر داخلية مختلفة . فمنها ما هو جيد كالكرامة التي تقدم لله ، ولخدايه ، والوالدين والمعلمين ، ولأن يكبروننا سنا ومركزا ومقاما . وهذه كرامة واجبة نقدمها للآخرين . ومنها ما هو رديء ، كالكرامة المفتعلة التي يريد الإنسان بها أن يكرمه الآخرون سواء بحق أو بغير حق ، أو الكرامة المزعومة التي يباسمها يرتكب أفعالا خبيثة كالاغتياء بالضرب أو القتل من أجل أهانة لحقت به أو لحو عار نشأ عن فساد خلقى لأحد ذوي قرباه . ولطالما اقتضت لفظ « الكرامة » بمفهومها الخاطئ مضاجع الكثيرين ، فسلبتهم سلامهم وهدوءهم وسعادتهم ، وحرمتهم روح السباحة ، وأحلت محلها روح القلق والسخط من الحياة والتبرم بكل ما فيها . وربما اقتادتهم الى ساحة القضاء لينالوا جزاء عادلا عن جرائم ارتكبوها بتهور ونزق . .

وليس هدفنا من هذا الموضوع أن نتحدث عن أنواع الكرامات المختلفة كما عدناها ، لكننا سنقصر حديثنا عن الكرامة الشخصية التي يسعى اليها الإنسان لتحقيقها بمختلف الطرق والوسائل ، وهي الكرامة الخاطئة من جهة دوافعها .

الكرامة المنحرفة بنت الكبرياء :

لا شك أن الكرامة المنحرفة في فهمها وغرضها تعتبر بنتا من بنات الكبرياء والمغظة ، لأنها تستهدف دائما كرامة الذات والدفاع عنها . والإنسان المسيحي الحقيقي هو الذي خلع عنه ثوب الكرامة العالمية ، ولبس التواضع كتوب متشبه بسيد . فهو والحال هذه ، لا يقيم وزنا لكرامات العالم كما يقول الرسول « نحن جهال من أجل المسيح . . أنتم مكرمون ، وأما نحن فبلا كرامة » (١ كو : ١٠) .

دافع الكرامة المنحرفة يثور الإنسان ويفضض الغضب الرديء الذي « لا يصنع بر الله » (يع ١ : ٢٠) ، وهكذا يفقد وداعته ، ويباعد بينه وبين سيده الوديع الذي أوصانا أن نقشبه به ، فنجد راحة لنفوسنا (مت ١١ : ٢٩) وباسم الكرامة المنحرفة يتعنفت ويتشبت لانه لا يليق به أن يتنازل عن جزء من حقه ، فيكون ذلك اقلال من كرامته . وباسمها أيضا يثور ثورات علرمة على من يهزأ به أو يفتصب حقا من حقوقه ، قد لا تحمد عواقبها .



المسيحية وكرامة الانسان

لكن هل معنى ما تقدم أن المسيحية تهدر كرامة الانسان وتحط من قدره في نظر الناس والمجتمع ، فلا يثور لكرامته أو يتحرك دفاعا عن آدميته ؟!

إن المسيحية تكرم الانسان جدا ، وترفع من قدره باعتباره تاج الخليقة وسيدها دون منازع . لكنها ديانة روحية ، تستهدف خلق مجتمع روحى ، واستئصال روح الشر من الانسان ، والعودة به الى صورته الاولى قبل الخطية . حينما خلقه الله على صورته كشبهه (تك ١ : ٢٦) . فهم حينما توصيوا أن يحب أعدائنا . ونبارك لأعدائنا ، ونحسن الى مبغضينا ، ونصلى لأجل الذين يسيئون إلينا (مت ٥ : ٤٤) ، إنما تفعل ذلك لكى تنصلح حال هؤلاء وأولئك ، فلا يعودوا أعداء بل أصدقاء . وحينما تفعل ذلك ، لا تجعل منا أناسا سلبيين خائفين ، بل إيجابيين خيبر . هي تعطينا سلاحا قويا نقهر به أعدائنا ، لكنه سلاح الخير الذى يستأصل الشر من جذوره « لا يفلبك الشر بل أغلب الشر بالخير » (رو ١٢ : ٢١) . وهكذا يكون الاحتمال هنا صادرا عن قوة وليس عن ضعف لأن « مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (أم ١٦ : ٢٢) .

والامر واضح كل الوضوح في حياتنا الخاصة ، من أن انتماء أمثال هذه الوصايا — الذى يحسب البعض أن في تنفيذها امتحانا لكرامة الانسان — يكسب المرء كرامة وقدرًا عن طريق الوداعة والمحبة ، لا عن طريق الخشونة والتعالى . ويحول الأعداء الى أصدقاء ، والخصوم الى أصدقاء .

وليس هذا قاصرا على الحياة الخاصة فحسب بل يشمل الحياة العامة والسياسية كذلك . وقد برهن رعيم الهند غاندى ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن أمثال هذه المبادئ السامية ، يمكن تنفيذها عمليا وتأتى بأطيب النتائج . وإن أنت فعلت هذا تكون قد عملت معجزة تعجز القوة الفاشية من تحقيقها . . ولم يقل أحد ، ولن يقول أن الذى يزعج جبال الكراهية من النفوس ويزيل معالمها ، ويمهد القلوب بالمحبة والاتضاع ، يكون قد فقد كرامته وأهدر شرفه إنسانيته ، بل العكس هو الصحيح . ولم يقل أحد عن الزعيم غاندى ، والذى آمن بأمثال هذه المبادئ ، أنه رجل ضعيف أو معتوه ، بل رفعوه الى منزلة التقديس بعد أن وقف هو وأتباعه عزلا من كل سلاح مادي أمام الإمبراطورية التي كانت لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها ، وانتصر في النهاية .

ولو تحركت النخوة والغيرة في رجل نحو عذراء له اخطأت ، أو سيدة تنكبت السلوك الخلقي القويم وقتلها زعما منه أنه بذلك يغسل عاره بجمائها حرصا على كرامة اسمه واسم عائلته ، لارتكب خطأ كبيرا . فما يمثل هذه الطريقة ، يمكن أن تعالج امثال هذه الاخطاء . فالذى يفعل ذلك ، يدل على أنه أسرع ويتر عضوا مريضا كان يمكن علاجه ، وهكذا يكون قد صحح خطأ بخطأ . لقد سلك المسيح الهنا سلوكا مغايرا لذلك في معاملته لبعض الزانيات الساقطات ، وافتتح مجال التوبة امامهن ، فخلق منهن عضوات نافعات في المجتمع الانساني ، تحولن الى خدامات قديسات .

الله يثار لكرامة اولاده :

ان ما أوردناه فيما سبق خاص بكرامة الانسان على ضوء تعاليم الشريعة المسيحية السحاء . لقد ابنا اننا ، فيما لا نجاري أهل العالم في التشبث بمعنى الكرامة المخاطنة ، انما نبني النفوس ونكسب كرامة أفضل . هذا من الناحية الروحية الشخصية .

لكن هناك ناحية أخرى الهية ، تجعلنا نكف عن المطالبة بكرامتنا الذاتية، فالله الحريص على كرامة اولاده — دون ان نطلب منه انتقاما من أحد — يثار لنا ويقتص من مقاومينا ، ويذل اعدائنا ومبغضينا ، ويرد لنا الكرامة مضاعفة . ولا عجب في ذلك ، وهو القائل « الذي يرذلكم يرذلني » (لو ١٠ : ١٦) . فان كان يعتبر رذلنا واهانتنا — من أجل اسمه — رذلا واهانة له ، أملا نسترد كرامتنا حينما يثور هو لكرامته ؟! قال معلمنا بولس الرسول « اذ هو عادل عند الله ، ان الدين يضايقونكم يجازيهم ضيقا » (٢ تس ١ : ٦) . وقدبها اتي كوشى وبشر الملك داود قائلا « الرب قد انتقم لك اليوم من جميع القائمين عليك » (٢ صم ١٨ : ٣١) . وقدبها ايضا قال موسى لشعبه قبيل عبورهم البحر الاحمر « لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم . الرب يقاتل عنكم وانتم تصمتون » (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) . لا تسع نحو الكرامة ، واترك السماء تعلن كرامتك .

قصة :

ويحمل لنا التاريخ المعاصر قصة أب كاهن قديس كان في إحدى قرى الصعيد أثناء الحرب العالمية الاولى . هذا قصد الى عمدة تلك القرية وطلب اليه قبول رجائه في أمر معين . ولما كان ذلك العمدة رجلا اكلت العصبية الحمقاء قلبه ، فقد قابل ذلك الأب مقابلة جافة ، واساء معاملته ، بل قام وصفعه على وجهه كنوع من التشفي . انصرف الكاهن والدم يغلي في وجهه من اثر الصغمة وقصد لتوه لكنيسة التي كانت باسم الشهيد مار جرجس ،

حيث كانت هناك خدمة دينية تنتظره وفيما هو في الكنيسة يصلى ، اذا بالعمدة يسير في احدى طرق القرية ، حيث قابله فارس يمتطى جوادا ، اوقفه وسأله عن السبب الذى لاجله اهان الكاهن . ودون أن ينتظر منه جوابا ، صفعه على وجهه صفعة قوية انقضته احدى عينيه . وللحال اختفى ذلك الفارس ، الذى لم يكن سوى الشهيد مار جرجس .

قصه اخرى :

وثبة قصة اخرى حدثت في بداية هذا القرن في احدى قرى الصعيد ايضا . كان ذلك في احدى ليالى شهر كيهك حيث تقيم الكنيسة التسبحة الكيهكية (سبعة واربعة) . وكانت كنيسة تلك القرية باسم الشهيد مرقوريوس (أبى لسيفين) ، وخادماها كاهن مسم على جانب كبير من البساطة . وحدث في تلك الليلة ان الاب الكاهن ، فيما كان يسير عند اطراف القرية في طريقه الى الكنيسة ، اذا قاطع طريق يدعى بلال استوقفه وطلب اليه ان يعطيه ما يحمله من مال . ولما لم يكن مع الكاهن شيء ، أراد ان يفتشه فرفض . فما كان من اللص الا ان غتشه بالقوة ، واذا لم يجد معه شيئا صفعه على وجهه وتركه . اتجه الاب الكاهن من موره الى الكنيسة وهناك وجد المرتل وبعض الشماسة يرتلون بعض التراتيل والمدائح في انتظاره . بدأ ذلك الكاهن التسبحة الكيهكية كما دتته ، وما هي الا فترة قصيرة حتى قطع الصمت الذى ران على الكنيسة ، صوت طلق نارى مزق سكون الليل في تلك القرية الهادئة . وتساءل الناس لغيل لهم « بلال مات بطلق نارى » . وما أن علم الاب الكاهن بذلك ، حتى استأنف النسبيح بحماس زائد . ومن عجب ان رجال الامن ، في معاينتهم للحادث ، لم يجدوا اثرا لذلك الطلق النارى الذى قتل بلال . واصبح الامر واضحا ان معجزة ملها الرب اظهرا لكرامة خادمه .

ارابت يا اخانا كيف ان الرب يرد اليك كرامتك التى اريد اهدارها واتت صامت ؟ انه يردها لك مضاعفة ، ومطربة تعجز أنت منها .

الانسان في نظر الله

لا تحسب يا اخانا أنك كم مهمل في نظر الله ، بل أنت مخلوق محبوب لديه ، ومكرم أكثر من كل الخليقة ..

(١) الانسان اعظم من كل الخليقة :

أنت المخلوق الوحيد الذى خلقه الله على صورته ومثاله ، والمخلوق الخالد الذى لن يفنى . أنت أعظم من الكون وكل ما فيه ، بل أنت سيده ، الذى تخضع لك كافة الخليقة المنظورة . فقد خلقت الخليقة كلها لتكون في

خدمتك « لتتسلط على سمك البحر وطير السماء وكل حيوان يدب على الأرض » (تك ١ : ٢٨) . أنت لم تفقد سلطانك على الوحوش والحيوانات المفترسة إلا بعد أن فقدت سلطانك على ذاتك بالخطية ، وما زلت تستطيع أن تسترد هذا السلطان بالتححرر من نير الخطية ، كما نلاحظ في حياة القديسين الذين يتأسسون مع الوحوش .

أنت الوحيد الذي جملة الله بموهبتي العقل والنطق . أنت الذي وضع الله لذته فيك (أم ٨ : ٣١) . أنت الذي غسل الرب قدبك . أنت الذي أعطاك الرب جسده ودمه ، وهو ما تشتهي الملائكة أن تطلع عليه ، لكي تثبت فيه وهو فيك .

أنت الذي يقرع الله على بابك ، ويود أن تمتح له ، ليصنع عندك منزلا (رؤ ٣ : ٢٠ ، يو ١٤ : ٢٣) . أنت الذي — بالايمان — تأمر الأرواح الشريرة فتطيعك . أنت الذي — إذا كنت كاهنا — لك سلطان حتى على السماء تحل وترطب فيها (مت ١٨ : ١٨) . أنت واحد ممن قال عنهم « أنا أمضى لأعد لكم مكانا . وإن مضيت وأعددت لكم مكانا أتى أيضا وأخذكم إلى ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا » (يو ١٤ : ٢ ، ٣) . أنت الذي تتكلم في وليمة الملك ، وتكون في معيته « حيث أكون أنا هناك أيضا يكون خادمي » (يو ١٢ : ٢٦) . أنت الذي قال الرسول عن أعضاء جسديك أعضاء المسيح (١ كو ٦ : ١٥) . أنت الوحيد الذي قيل عنك أنك هيكل لله ، وروح الله يسكن فيكم (١ كو ٣ : ١٦) . أنت الذي — بالايمان بابن الله — تعمل الأعمال التي كان يعملها وأعظم منها (يو ١٤ : ١٢) .

(ب) لأجل الإنسان تجسد الله وتالم :

أنت يا إلهي الذي لا تسلك السموات على رحابتها ، حللت في أحشاء عذراء لأجلي ... « أنت الذي ولدت بشبيهي لظنني بشبهك . ولدت في مغارة مثل من ليس له بيت ولا مأوى ، وأنت خالق الأرض والسماء وملجأ كل العالم . لففت بالخرق واستنوك على التراب في المزود كافتقر فقير في هذه الحياة ، وأنت مصدر الغنى وفخر الحياة . حملوك وهربوا من وجه إنسان ظالم ، وأنت ميناء المتعبين وملجأ الهاربين . اضطهدت مثل مستحق الموت ، وأنت معطي الحياة لكل ذي جسد . اعتمدت بالماء لتقدسني وأنت قدوس القديسين .. أهنت لتكرمني ، وأهنت ذاتك لترفع رأسي . شربت الخل والمر لتعطي الحلوة لحلقى بعد أن شربت المر بارادتي من يد العدو » (١) .

(١) عن صلاة لمر يوحنا سلبا (الشيخ الروحاني) .

أنت الذى احتملت الهزء والعار لتكرمنى ، ونذقت الموت مارادتك لتحمينى .
 أنت يا من لم تعرف الخطيئة جعلت خطيئة لنصير نحن بر الله ميك
 (٢ كو ٢ : ٢١) .

(ج) الإنسان هو ابن الله الذى تخدمه الملائكة :

أنت يا أخى الإنسان المشابه لصورة ابن الله « ليكون مكرأ بين أخوة
 كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) . أنت حبيب الله ، الذى شرفك بأن دعاك أخا له ،
 وقال لمريم المجدلية بعد قيامته « اذهبي الى أخوتى وقولى لهم » (يو ٢٠ : ١٧) .
 أنت الذى لك ملاك يحرسك . أنت الذى ملاك الله حال حولك وينجيك
 (مز ٣٤ : ٧) ، أنت الذى تخدمك الملائكة كعتيد أن يرث الخلاص (عب ١ :
 ١٤) . أنت الذى تحبك الملائكة وتفرح بتوبتك (لو ١٥ : ١٠) . أنت الذى
 تهلت الملائكة لخلاصك وبشرت الرعاة (لو ٢ : ٨-١٤) . أنت الذى الملائكة
 فى خدمتك ، تخرجك من الضيقات ، وتسد عنك أفواه الاسود ، وتطفىء
 لهيب النار ، وتطلب وتشفع فيك ..

والآن هل عرفت يا أخى قدر نفسك ، وقدر كرامتك ؟ الا تزداد يقينا
 الآن ان المسيحية تكرم انسانيتك كرامة رفيعة ، وان كان بطرق تغاير طرق
 العالم ، لانك لست من هذا العالم (كو ١٥ : ١٩) !!



لماذا أهرب من كرامات العالم ؟

انضح مما أوردناه سابقا أن هناك نوعين من الكرامة : كرامة الالهية ، وكرامة عالمية . فما هي حقيقة الكرامة العالمية ، ولماذا يجب على أن أهرب منها ؟

(١) لأنها تافهة وباطلة :

إن كرامات العالم ، مهما تنوعت صورها وضخامتها ، لا تعدو أن تكون خداعا . انها كالسراب الخداع الكاذب في بيداء هذه الحياة ، يراه الانسان على مرمى البصر ، فيحمله هدفا له ، يرنو اليه ، ويسمى نحوه ، لكن مهما جد في طلبه ، غلن بدركه ، كالظل الذي لا يلحقه صاحبه .

انها أمور تافهة اذا قيست بالكرامة الحقيقية التي يعطينا الله . ولذا يقول الحكيم ابن سيراخ « تطلب من الرب سلطة و منبر الكرامة من الملك » (سي ٧ : ٤) . ان الكرامة التي يقدمها لنا العالم ، اما في كلمات رنانة ، أو القاب طنانة ، أو مراكز مغرية ، أو ثروة طائلة .. لكنها باطلة .

فلسطين بن داود ملك اسرائيل ، الذي خبر كل هذه الامجاد الزائلة ، وشهد عنه الكتاب انه لم يكن رجل مثله في الملوك كل ايامه (١ مل ٣ : ١٣) ، أفرغ جماع اختباراته عن الحياة وكرامتها الزائلة التافهة في كلماته الخالدة « باطل الاباطيل الكل باطل .. أنا الجامعة كنت ملكا على اسرائيل في اورشليم ، ووجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة من كل ما عمل تحت السموات . هو غناء رديء جعلها الله لبني البشر ليعنوا فيه . رايت كل الاعمال التي عملت تحت الشمس ، فإذا الكل باطل وقبض الريح » (جا ١ : ٢ ، ١٢ - ١٤) . وقال ايضا أنا ناجيت قلبي ثائلا : ها أنا قد غلظت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلي .. فعرفت ان هذا ايضا قبض الريح . لأن في كثرة الحكمة كثرة الغم ، والذي يزداد علما يزداد حزنا » (جا ١ : ١٦ - ١٨) . كما قال « مهما اشتتهه عيناى لم أمسكه عنهما . لم أمنع قلبي من كل فرح .. ثم التفت أنا الى كل أعمالى التي عملتها يداى ، والى التعب الذى تعبته في عمله ، فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس » (جا ٢ : ١٠ ، ١١)

أرايت يا أخى الى ما قاله سليمان ؟ او نظن أنك مهما مسوت في قدرك وحكمك وفنك تبلغ الى ما بلغه ؟!

(ب) لانها وقتية :

ان كرامات العالم قصيرة . فالسيد المسيح اراه ابليس « جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان » (لو ٤ : ٥) . نعم في لحظة من الزمان . وهذا يشعرنا بسرعة زوال امجاد العالم !!

لقد احتفلوا بالمسيح ملكا في يوم الاحد وهتفوا « اوصنا » ، وبعد اربعة ايام هتفوا امام بيلاطس « اصلبه . اصلبه » . فما اقتص زمان كرامات العالم !! ومضلا عن انها قصيرة فهي ايضا وقتية . فالمحتفى بهم ، يلبسون في الحفلات افخر الثياب ، يتزينون بها . ولكن ما أن يقبل المساء ويحل لوان النوم والراحة حتى يضطرون الى خلعهما ، اذ لا يمكنهم ان يرتاحوا وهم لابسوها . هكذا نحن ايضا سيعركننا ليل حياتنا — الموت — ولا بد لنا أن نخلع هذه الاشياء الزائلة رغم ارادتنا . وعلى ذلك فليس الاوفق والاكرم أن نتخلى عنها بارادتنا ونحن احياء بالجسد قبل أن نتخلى عنها رغم ارادتنا بالموت . . . لقد وقف القديس الاتبا انطونيوس أمام جسد ابيه المتوفى ، وهو بعد في المنزل ، ونظر اليه ثم قال « لقد خرجت انت من العالم بغير ارادتك ، أما أنا فسأخرج منه بارادتي » .

وكرامات العالم ايضا لا تدوم معنا في العالم الآخر . فمن لا نستطيع ان نأخذ منها شيئا في حياتنا الاخرى . فباب الملكوت الضيق لا يسمح الا بدخولي عريانا « عريانا خرجت من بطن أمي ، وعريانا أعود الى هناك » (أي ٢١ : ١) . وان كنا سنوجد عراة أمام كرسي المسيح الديان ، فقل لي يا أخى ان كنت هناك تستطيع أن تميز الملك من الصعلوك ، او العالم من الجاهل او العني من الفقير . . . !!

(ج) لانها مخوفة بالمخاطر :

قال القديس يوحنا ذهبى الفم « الرأس كثير الاوجاع » . كما قال ايضا « عجبى لرئيس يخلص » . وما ذلك الا لان هناك أخطارا كثيرة تصاحب كرامات العالم وامحاده ، والمناصب الكبيرة والمراكز الرئاسية . مكلما ارتفعت مكانة الانسان الاجتماعية ، وارتقى في منصبه ، كلما كان ذلك مدعاة لازدياد اعبائه والتزاماته ومشغوليته ، ولوجود ذاته مقيدا بربط كثيرة ، يعسر التحرر منها . وغير خاف ما يقترب على هذه الربط الكثيرة المنوعة من مشغوليات يغفو من العسر معها أن يهتم الانسان بخلاص نفسه اهتماما كبيرا . ومع الكرامات التى تصاحب المناصب الكبيرة ، تاتى المشاكل المعقدة ايضا ، التى هى بمثابة الاشواك التى تحاول خنق الانسان روحيا . ومعها ايضا تشتد حروب الكبرياء ، ويتجرد شيطان المحدث الباطل لقتالنا .

ولا تقتصر مخاطر الكرامات العالمية على هذا الدهر فقط ، بل تمتداه الى الدهر الآتى . قال القديس ايرونيوموس « انه لصعب جدا أن يتمتع الانسان بالخيرات الحاضرة والمستقبلية . وان ينتقل من الافراح الزمنية الى

الافراح الدائمة الابدية . وإن يكون معتبرا ومكرما هنا وهناك . حينما قدم يوسف ابنه افرام ومنسى لابيه يعقوب اسرائيل ليباركهما ، أقام الاكبر وهو افرام عن يمينه ، ومنسى وهو الاصغر عن يساره ، حسب ما هو متبع في العالم من اكرام الاكبر . لكن يعقوب حلف يديه ووضع يمينه على رأس منسى ، وشماله على رأس افرام . هذا هو ما يفعله الله في نهاية العالم . يسمح التقدم للصغار والمساكين بالروح والمهاتين في هذه الحياة الدنيا . . . وقد أوضح لنا الرب ذلك في مثل الفنى ولعازر المسكين (لو ١٦ : ١٩ — ١٣) . لقد انقلب الحال بعد موتهما . فبعد أن كان لعازر « يشتمى أن يشبع من السمات الساخط من مائدة العنى » . طلب الفنى من ابراهيم أن يرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لسانه .

لما أكثر الاخطار التى تهدد حياتنا نتيجة سعيها وراء الكرامات العالمية . . . !!

(د) لانها تعذبنا بركات الله

قال معلمنا بولس الرسول « ديماس قد تركنى اذ احب العالم الحاضر » (٢ تي ٤ : ١٠) . كثيرا ما بهرت اعضاء الكرامات العالمية انتظار اولاد الله ، فاخرجتهم من الحظيرة . انها كالسيول الجارفة التى يخشى ، أن نحن اقتربنا منها أن نجرفنا معها . وهى كالقطب المغناطيسى الكبير الذى لو دخلنا في مجاله لجذبنا اليه ، ولاكتسبنا خواصا جديدة غير خواصنا الاصلية التى لاولاد الله ، تماما كما يحدث لقطعة الحديد التى حينما تدخل في مجال مغناطيسى لا بد وان تنجذب الى القطب الذى أحدثه ، وتكتسب خواصا جديدة ، بل تصبح هى الاخرى مغناطيسا ! هكذا تكون كرامات العالم سببا في حرماننا من بركات الله . فكثيرون من اليهود في زمن المسيح آمنوا به « غير أنهم بسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع لانهم احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله » (يو ١٢ : ٤٣ ، ٤٣) . وببلاطس حكم على يسوع بالموت ، وهو حاكم باطلاته ، ومقتنع ببراعته ، وذلك خوفا على مركزه (يو ١٩ : ١٢ ، ١٣) . وهيرودس قتل أطفال بيت لحم لكي يتخلص من المخلص فيحوم ملكه « مت ٣ » . وفيلكس الوالى في قيصرية ، رغم أنه ارتعب بينما كان بولس يكلمه عن البر والتعفف والدينونة ، لكنه تركه مقيدا لانه كان « يريد أن يودع اليهود منه » (١ ع ٢٤ : ٢٧) .

قال القديس الانبا باخوميوس اب الشركة « اذا اكرمك انسان فلا يفرح قلبك بل احزن ، لان بولس وبرنابا لما اكرهما الناس شقا ثيابهما ، وبطرس وباقي الرسل لما افترخوا عليهم وجلدوهم ، فرحوا ، لانهم حسبوا اهلا لان يهانوا من اجل الاسم العظيم » . كما قال أيضا « لقد طلبت حواء مجد الالهية فتمرت من المجد الانساني ، كذلك من يلتمس مجد الناس يحرم من مجد الله » .

كيف أقتنى الكرامة ؟

(١) باقتناء الله ذاته :

قال سليمان الحكيم عن الحكمة (المسيح) « أنا الحكمة .. عندي الغنى والكرامة » (ام ٨ : ١٨) . فما أبدع هذا القول ، وما أعمقه ، وأكثر صدقه ! ان المسيح الهنا عنده الغنى والكرامة ، لانه هو « المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » (كو ٢ : ٣) ! فمن اراد ان يقتنى الكرامة الحقيقية فليقتن أولا المسيح الذي فيه كل المشتبهات . انه الكنز المخفى في أعماقنا ولا نشعر به (مت ١٣ : ٤٤) .

أي كرامة تنالك يا أخانا ، حينما يكون المسيح حالا في هبلك الضعيف ، حينما تحمله كما حملته أمه العذراء مريم ، حينما يكون معك فتحس أن الذي معك أكثر من كل الذين عليك (٢ مل ٦ : ١٦) ، حينما يعطيك نما وحكمة لا يقدر جميع معانديك أن يقاوموها أو يناقضوها (لو ٢١ : ١٥) ؟ !!

ان الرب يكرم أصفياه وأتقياءه . قال الرسول « مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح » (رو ٢ : ١٠) . لقد أكرم الرب تديسه يوحنا ذهبى الفم بطريك القسطنطينية بسبب نسكه وغمرة وخدمته ، فاحتل اسما عظيما شاع في الكنيسة كلها ، ونال حبا شديدا في قلوب شعبه ، وكرامة لم ينلها الملك أو الملكة في وقته ، حتى أن من كانت له شكاية عليهما كان يذهب اليه . لقد صدق الرسول بولس حينما قال « لا يدل أحد هذه الكرامة من نفسه » (عب ٥ : ٤) .

وحتى لو مضى وقت نحسب فيه أن العالم أهمل اولاد الله أو نسيهم أو استقطهم من حسابيه ، لكن الله يعود في الوقت المناسب ويظهرهم للعالم . اليسوا هم نور العالم ، وملح الارض ، ورائحة المسيح الذكية ؟ . فهل يقدر العالم ان يحيا في ظلام مستغنيا عن النور ، ويغير ملح يمنعه من الفساد ، تنوح منه رائحة النجاسة والخطية ؟ ! ان الحياة الدنيا لا تستقيم بغير وجود الاتقياء والقديسين ، وان كانوا دائما قلة في العالمين ، لانها في حاجة اليهم ، حتى لو اضطهدتهم وانزلتهم .

لقد كان الفتى الصغير داود يرعى الغنم ، منسيا من ابيه ، فاخذه الله من المراعى واقامه ملكا على شعبه . واختفى يوحنا المصعدان في البرارى . لكن الله اعطاه كرامة ومجدا ، اذ شهد عنه بانه « لم يقم بين مواليد النساء اعظم منه » .

ويعوزنا الوقت ان نحن تكلمنا عن المواهب الالهية التى اعطاها الله
لاتقيائه واصفيائه وقديسيه ، نصنعوا المعجزات ، وشفوا المرضى ، واتاموا
الموتى ، ونقلوا الجبال ، وسدوا افواه الاسود ، وجازوا النيران ولم
يحترقوا . . افهل توجد كرامة افضل من هذه ؟ !

طوبى للانسان الذى يقضى الله فى قلبه ، فاته يصبح عرشا لمولاه ،
وهيكلا طاهرا لسكناه .

(ب) بالانضاع :

قال الحكيم « نواب التواضع ومخافة الرب هو عنى وكرامة حياة »
(ام ٢٢ : ٤) . ان كرامات العالم ليست الا خيالا او ظلا ، لا يمكن اللحاق
به والاستحواذ عليه . او بعبارة اخرى لا يكون هذا الظل تحتك الا فى حالة
واحدة ، حينما تنطرح ارضا . هكذا الكرامة لن تحصل عليها الا بالانضاع .
وهذا ما عبر عنه داود النبى بقوله « لصقت بالتراب نفسى » ، فأحيتنى حسب
كلمتك » (مز ١١٩ : ٢٥) . ويقول الحكيم « مخافة الرب ادب وحكمة ،
وقبل الكرامة التواضع » (ام ١٥ : ٣٣) . كما قال ايضا « قبل الكسر ينكبر
تلب الانسان . وقبل الكرامة التواضع » (ام ١٨ : ١٢) .

اريت يا اخى الى يوحنا المعمدان كيف كان منكرا لذاته ، وحينما سألوه
اذا كان هو المسيح ، اجاب « لست اهلا أن اهل سيور خذائه » (لو ٣ : ١٦) .
ولما جاء ملء الزمان لبدا الرب عمله الكرازى « تقدم الى يوحنا ليعتمد منه ،
وهناك كرم حبيب ، واخذ يده التى قال انه غير مستحق أن يحل بها سيور
خذائه وكرمها بان وضعها على راسه فى مياه الاردن !

اريت كيف يكرم الرب الفقير الجالس فى التراب ، ويرفع البائس من
المزلة ويجلسهما مع رؤساء شعبه (مز ١١٣ : ٧ ، ٨) ؟ لقد نال رب الحد
الكرامة بتحملة الاهانة بارادته « لذلك رفعه الله ايضا واعطاه اسما فوق كل
اسم » (فى ٢ : ٩) .

(ج) بالزهد فيها :

ان زهدنا نحن فى كرامات العالم من اجل الله ، فאלله يحبنا ويكرمنا .
قال مار اسحق « ازهد فى العالم يحبك الله ، وازهد فيما فى يد الناس يحبك
الناس » . وقال ايضا « ان حقرت ذاتك لكى يكرمك الناس ، فالترب يفضحك .
وان انت ازدريت بذاتك واحتقرت نفسك واعمالك فى قلبك بالحق من اجل
الحق ، فאלله يوهى الى جميع الخليقة لتكرمك » .

قال الله لسليمان بن داود ملك اسرائيل « من اجل انك سالت هذا الامر
(الحكمة) ، ولم تسال لنفسك ايها كثيرة ، ولا سالت نفسك غنى ، ولا سالت

أنفس أعدائك ، بل سألت لنفسك تمييزا لتفهم الحكم ، هوذا قد فعلت حسب كلامك . هوذا أعطيتك قلبا حكيما ومميزا ، حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ، ولا يقوم بعدك نظيرك . وقد أعطيتك أيضا ما لم تسأله غنى وكرامة حتى أنه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك » (١ مل ٣ : ١١-١٣) . فسليمان حينما رأى الرب زهده في أمجاد العالم وكراماتها ، أعطاه إياه الرب دون أن يسألها منه . . . وحتى بعد أن أعطيت هذه الكرامات لسليمان ، وبعد أن أخبر كل شيء بخصوصها ، قال عن اختبار « باطل الإباطيل الكل باطل . ما الفائدة للإنسان من كل تعب الذي يتعبه تحت الشمس . دور يمضي ودور يجيء ، والأرض قائمة إلى الأبد . كل الانهار تجري إلى البحار ، والبحر ليس يملأ . إلى المكان الذي جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة » (جا ١ : ٢ - ٧) .

ثم أين « عظماء هذا الدهر الذين يبتلون » (١ كو ٢ : ٦) ؟ أين الاسكندر الأكبر ، وبوليوس قيصر ، ونابليون بونابرت ، وهتلر ؟ أين هم الآن ؟ أن كنت لا تعرف ، فسل اللحد لتخبرك ، والتراب لينبئك !! أما قديسو الله الذين زهدوا في كرامات العالم وأمجاده ، فما يزال ذكرهم حيا ، ولذا قال الرسول عن أمثال هؤلاء « وإن مات يتكلم بعد » (عب ١١ : ٤) . ما زال ذكرهم حيا يعملون المعجزات بين الناس سواء بقوتهم الطيبة وحيثاتهم المقدسة أو بشفاعتهم المقبولة لدى الله .

لقد ازدري موسى النبي بمجد فرعون وقصره « حاسبا عار المسيح غنى أعظم من خزان مصر » (عب ١١ : ٢٦) ، فأتاه الله مدبرا لشعب إسرائيل ، بل جعله الها لفرعون (خر ٧ : ١) .

(د) بالفرار منها :

إن الكرامة التي اقتناها القديسون ، لم يقتنوها بالراحة ولا بالتمتع لأجل احرازها ، بل بالفرار والهرب منها . وفي ذلك يقول مار أسحق « من عدا وراء الكرامة هربت منه ، ومن هرب منها بمعرفة تبعته وأرشدت الناس إليه » .

حينما نشعر أن كرامات العالم أحاطت بك ، وبدا الناس يمدحونك كثيرا اهرب . فالسيد المسيح لما أرادوا أن يجعلوه ملكا هرب منهم وانصرف إلى الجبل وحده (يو ٦ : ١٥) ، مع أنه كان نعم الملك في حكمه وعدله ، أن آدم الأول انتهى الكرامة فنزعت عنه ، وآدم الثاني - الرب يسوع - هرب من الكرامة « فرغعه الله . . . وأعطاه اسما فوق كل اسم » (في ٢ : ٩) .

والتاريخ خير شاهد على ذلك : فالقديسون الذين هربوا من كرامات العالم نالوا من الله كرامة عظيمة وحفظت أسمائهم ، لا في الأرض وحدها ، بل في السماء أيضا : فتسطنطين امبراطور الدولة الرومانية حينما سمع بخبر

الابنا انطونيوس ، ارسل اليه يطلب بركة له ولاولاده ولملكته . والاتنا موسى الاسود الذى كان قبل توبته ورهبته رئيسا لعصابة لصوص ، سعى اليه احد حكام مصر فى البرية لكي يراه . والقديس الابنا صرابامون ابو طرحة استشف المنوبة فى القرن الماضى ، الذى كان بائعا متجولا يبيع الزيت على الدابة قبل رهبته ، سعى اليه والى مصر — محمد على باشا — لبشفى له ابنته التى كان بها روح نجس .

ومن خير الامثلة التى نسوقها فى هذا الصدد: **سيرة القديس الابنا مئاريوس البطريك ٨٧** الذى يعتبر من اعظم البطارقة الذين تبواوا الكرسي المرقسى . قداسة وروحانية . فلما رقى الى درجة القسيسية وهو فى سن الثامنة عشر ترك دير هريا من المحدث الباطل وقصد دير القديس انطونيوس . وهناك انكر ذاته ولم يظهر انه قس ، بل كان يخدم كشماس سسيط . ولكن الكرامة التى هرب منها لحقته فى المكان الجديد وظهرها الرب بقوة معجزة . متى ذات مرة . اثناء القداس الالهى ، خرجت يد من الهيكل واعطته البخور ثلاث دفعات عند قراءة الانجيل . فلما نظرها بعض الشيوخ الرهبان القديسين وتحققوا من رؤيتها ، اعلموه انه لا بد ان يصير بطريكا . فلما سمع هذا منهم حزن جدا ونرك الدير قاصدا اورشليم هريا من الكرامة . وهناك عمل كأجير يأكل من كده . ولكن الكرامة لاحقته ايضا فى ذلك المكان الجديد ، فقد علم بالروح مكان كمية من المال كانت قد سرقت من راعب غريب أتى وشكا اليه ، واحضرها له ، فكان هذا سببا فى اشتهار امره فى تلك الجهات . مهجرها فرارا من المجد الباطل الى دير الابنا انطونيوس ومنه الى الدير المحرق . ولما خلا الكرسي البطريكى عقب نياحة البابا غبريال الرابع استقر رأى اراخنة الشعب على ترشيحه لمنصب البطريكى . فهرب منهم وقصد الى مركب كنت راسية على شاطئ النيل ، مريدا بذلك الهرب الى البلاد القبلية . لكن الرب انطق طفلا صغيرا واعلم الاراخنة بمكان اختفائه ، مذهبوا اليه وامسكوه . وقد تحايل اثناء ذلك بطرق مختلفة للهروب من المنصب وكرامته ، حتى انه لما وجد انه لا وسيلة للهرب اخذ مقصا وقطع به طرف لسانه حتى يصير أخرسا ، لكن الرب الذى اطلق لسان زكريا اطلق لسانه ايضا . فما كان منه فى النهاية الا ان أحنى رأسه فى خضوع واستسلام وقبل رتبة البطريكى رغم ارادته .

وهكذا تعطينا هذه القصة الفذة وغيرها من سير الابهاء وتواريخهم صورة حية على ان الفرار من كرامات العالم هو وسيلة هامة لاقتناتها ، مصداقا لقول مار اسحق « من عدا وراء الكرامة هربت منه ، ومن هرب منها بمعرفة تبعته وارشدت النفس اليه » .

حياة الطهارة

« من غلب جسده فقد غلب طبيعته ، ومن غلب طبيعته فقد صار فوقها ، ومن صار فوق الطبيعة الانسانية ، فقد شارك الطبيعة الملائكية »
(القديس يوحنا الديرجي)

- + شرف حياة الطهارة
- + الشاب وحياة الطهارة
- + كيف نحارب بالخطايا الشبابة ؟
- + كيف نقتنى الطهارة ؟
- + الطرق الوقتية
- + الطرق العلاجية
- + ما بعد السقوط
- + الاحلام والاحتلام
- + ارشادات هامة

سُرف حياة الطهارة

قال الوحي الالهي في سفر الحكمة « ما احسن الجبل العفيف » (حكمة ٤ : ١) . وقال القديس بولس الرسول الى التسالونيكين « لان هذه هي فرادة الله قداسكم ان تمتنعوا عن الزنا .. لان الله لم يدعنا للنجاسة بل للقداسة » (١ تس ٤ : ٣ ، ٧) . والقداسة هنا في العفة او الطهارة التي هي ضد الزنا او النجاسة . وقال معلمنا بولس الرسول ايضا « لاني خطبتكم لرجل واحد لاقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) .

انها حياة الملائكة في السماء كتقول رب المجد « في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كملائكة الله في السماء » (مت ٢٢ : ٣٠) . قال القديس كبريانوس الشهيد مخاطبا بعض العذارى مثبنا هذا المعنى « لقد ابتدأت الآن وانتن في هذه الحياة ان تتمتعن بها سيكون لكن في السماء بعد القيامة . لانكن بحفظن بكارتن ، قد تشبهتن بالملائكة » . وقال الاب يوحنا كسيان « انه لن توجد فضيلة تعادل تشبه البشر بالملائكة مثل فضيلة العفة ، لان البشر يعيشون بواسطة العفة — وهم في الجسد — كمن لا جسده لهم وكانهم ارواح مجردة كتقول الرسول (واما انتم فليستم في الجسد بل في الروح) » (رو ٨ : ٩) . بل ان البشر الذين يحيون في العفة والطهارة يسمون عن الملائكة الذين ليس لهم اجساد تشتهى ضد ارواحهم » .

وقد كرم الله هذه الفضيلة . فانه لما اراد ان يرسل ابنه الوحيد في الجسد مولودا من امرأة ، ما اراد الا ان يولد من عذراء بتول فذرت حياة العفة والطهارة . ويقول القديسان ايرونيوس واوغسطينوس ان الرب يسوع كان يحب يوحنا تلميذه اكثر من بقية التلاميذ من اجل بتوليته . ولذا نجد ان قول سليمان الحكيم « من احب طهارة للقلب .. يكون الملك صديقه » (ام ١١ : ٢٢) ، قد فسر بعض المفسرين مطبقين آياه على يوحنا البتول الذي احبه الرب يسوع اكثر من بقية التلاميذ ، وكان له من الدالة ما جعله يتكئ على صدره ، ويسأله بما لم يجسر بقية التلاميذ ان يسألوه (يو ٢١ : ٢٠) . ولما اظهر الرب يسوع نفسه لبعض تلاميذه على بحر طبرية بعد قيامته المجيدة ، لم يعرفه احد منهم الا يوحنا البتول الذي قال لبطرس « هو الرب » (يو ٢١ : ١-٧) . ولقد علق القديس ايرونيوس على هذا الحادث بقوله « لم يعرفه احد منهم

« لا يوحنا . لان البتول وحده عرف البتول ابن البتول » .. واخيرا ، في اخرج اللحظات واتساعها ، نجد الرب يكرم البتولية والعفة والطهارة ، في شخص امه البتول وتلميذه يوحنا البتول . فلم يوص امه الا بالتلميذ البتول ، ولم يوص التلميذ البتول الا بامه البتول (يو ١٩ : ٢٦ ، ٢٧) .

وقد اظهر لنا يوحنا البتول في رؤياه سمو قدر العفة والطهارة في السماء ، حينما تحدث عن المائة والاربعة والاربعين الفا البتولين الذين راىهم فوق جبل صهيون السماوي ، يرنمون ترنيمة جديدة ، لم يستطع احد ان يتعلمها الا هم وحدهم ، هؤلاء الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم ابكار . هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب » (رؤ ١٤ : ١-٤) . غليس اذل على شرف حياة العفة والطهارة من انهم ينفردون بترنيمة خاصة بهم ، وانهم « يتبعون الخروف حيثما ذهب » .

واذا كانت فضيلة العفة والطهارة لها هذه الميزة لدى الله ، فعلى النقيض من ذلك نجد خطية الزنا والتجاسة . فبسببها اباد الله العالم القديم بالطوفان ، واحرق مدينتي سدوم وعمورة ، وقتل في يوم واحد ثلاثة وعشرين الفا من الاسرائيليين في البرية بعد ان زنوا مع بنات موآب . وبسببها ايضا اصيب داود بضرر بالغ ، وسجد ابنه سليمان للاصنام . وبالجيلة فان الرب غضب على شعبه قديما لان « روح الزنى في باطنهم » (هو ٥ : ٤) . ولا عجب في ذلك فالرسول يحددنا انه بسبب هذه الخطية « ياتى غضب الله على أبناء العصية » (اف ٥ : ٥ ، ٦) . **ان قوة الرب ومعونته تفارقان الانسان الذي يستعبد لهذه الخطية .** فكما ان الحمامة التي اطلقتها نوح عادت الى الفلك ثانية لما لم تجد لها مستقرا بين الجثث الميتة ، هكذا روح الرب — الذي تشبهه تلك الحمامة — لا يسكن في الاجساد النجسة بل في الطاهرة .



الشباب و حياة الطهارة

ما من شك في ان اهم ما يعوق الشباب عن السلوك في حياة الفضيلة والنمو فيها هو المسألة الجنسية . ويظن البعض ان حياة الطهارة بالنسبة للشباب امر يكاد يكون مستحيلا . ولكن الواقع غير ذلك . ولما امثلة كثيرة في الكتاب المقدس والتاريخ الكنسى تدحض هذا الظن .

فالانسان خلق طاهرا على صورة الله . والله يريد ان يكون طاهرا . ومن ثم اعطاه كل الامكانيات التي تساعد على حياة الطهارة ، فكيف بعد ذلك يشك انسان في هذه الامكانية ؟ والواقع اننا لو بحثنا الخطايا الشبابية كلها لوجدنا ان الانسان هو الذى يوقع نفسه بنفسه فيها نتيجة انحراقاته وتعرض ذاته للمخبرات . وفي ذلك يقول القديس فيلوكسينوس « ان الشهوة لا تغلبنا لانها اقوى منا بل من اجل عجزنا وتراخيها . لانها لا تجسر على مقاتلتك ان لم تاذن لها ارامتك ، او اذا كانت تقاوتك من حركة طبيعية غير ارادية » .

سر قوة الشباب :

تكمين قوة الشباب في طهارته وعفائه . فالشباب المنتصر في حياته الجنسية ينتصر كذلك في كل نواحي حياته (تقريبا) . والشباب الذى اوقع ذاته اسيرا لشهوته فانه يكون غاشلا في حياته كلها (تقريبا) . والكتاب المقدس والتاريخ الكنسى ومشاهداتنا اليومية في حياتنا الاجتماعية ، كل هذه تعطينا امثلة حية على صحة ما نقول :

فشمشون الجبار الذى دوح الفلسطينيين وقتل منهم مئات ومئات ، بعد ان استسلم لشهوته على ركبتى دليلا ، اوقع نفسه في يدي اعدائه ففتقوا عينيه واصلوه الى مرتبة البهائم ، فصار يعمل في الطاحون بدل الحيوان الاعجم (قض ١٦) .

اما يوسف الضعيف الذى كان في طهارته امينا لالهه وامينا لسيدته فوطيفار — هذا خلص . الرب من الضيقة واخرجه من سجنه ليصبح مدبرا للشعب مصر وعائلا لهم بل وللشعوب المجاورة (تك ٢٩-٤١) .

وكان **البابا متاوس** البطريرك السابع والثمانون ، وهو بعد في شبابه يرعى الغنم ، محاول الشيطان اسقاطه في الخطية الشبابية . فحرك قلب امرأة كانت في ذلك المكان الذى كان يتردد عليه فاخذت تداعبه . فلما سألها عن سر اعجابها به قالت له : انها حواحبك ايها الشاب . فما كان منه الا ان

انفرد على ناحية وكشط حاجبيه في جراحة مذهلة واخذها وجاء بهما الى تلك المرأة قائلاً لها « خذي يا امرأة شعر الحاجبين اللذين اشتبهتكما » . فلما نظرت المرأة فرغت من جرائه وشدة تعلقه بالطهارة ..

قصة :

وعد حفظ لنا التاريخ قصة عذراء عفيفة هادئة كانت تسكن منزلها ، فحرك الشيطان قلب شاب لكي يحبها حباً نسياً . فلم يكن يكف عن التردد على بيتها . فلما سمعت العذراء بمرده . شق عليها ذلك وحرنت . وحدث في أحد الايام انه جاء كمادته يطرق الباب وكانت حالسة على المنسج . فلما علمت أنه هو الذي يطرق على الباب خرجت اليه ومعه مخارزها وقالت له « ما الذي يأتي بك الى ههنا يا انسان » فقال لها « هواءك يا سيدتي » . فقالت « وما الذي تهواه في ؟ » فقال لها « عيناك فتنناني ، واذا ابصرتك يلتهب قلبي » . فجعلت مخارزها في احدى عينيها وقطعتها بصرامة ورمتها له . وشرعت في قلع الاخرى ، فأسرع الشاب وامسك بيدها فدخلت الى منزلها واغلقت بابها . فلما رأى الشاب ان عيناها قد قلعت حز جداً وندم على ما كان منه . وخرج من ساعته الى البرية وترهب (صار راهباً) .

قصة اخرى :

وحدث اثناء اجتياح جيوش العرب لبيت المقدس أن هجم الجنود العزاة على أحد اديرة العذارى وامسكوا بعذراء راهبه جميلة وقدموها هدية لقائد فرقته . ولما اراد افسادها قالت له : تبهل على قليل لا يبدى مهنة تعلمتها من العذارى ، ولا يصلح لعملها الا عذراء والا فلا نفع لها » فقال لها « وما هي ؟ » قالت له « هي دهر . اذا دهر به انسان فلن يؤثر فيه لا سيف ولا اي نوع من الاسلحة البتة . وانت محاص الى ذلك لانك في كل وقت تخرج للحرب » فقال لها « وكيف اتحقق من ذلك ؟ » فأخذت زيتاً ووجهت اليه الكلام قائلة « ادهن رقبتك واعطني السيف كي اصربك به » فقال لها « لا . بل ادهني انت رقبتك أولاً ، وأنا اضرب بالسيف » . فاجابته الى ذلك بششائه ، وأسرعت فدهنت رقبتها وقالت « اضرب بكل قوتك » فاستقل سيفه وكان ماضياً جداً . ومدت القديسة رقبتها ، وضرب بكل قوته فتدحرج راسها على الارض . وهكذا رصبت عروس المسيح أن تهوت بالسيف ، على أن تدنس بتوليبتها . محزن ذلك القائد جداً ، وبكى بكاء عظيماً اذ قتل مثل هذه الصورة الحسنة ، وعرف انها خدعته لتفلس من الدنس وفعل الخطية .

قصة ثلاثة :

وفى عصور الاضطهاد الرومانى للاتباط فى مصر ، اخذت الدهشة الحكام الوثنيين كل مأخذ من شدة تمسك الاقباط بايمانهم لدرجة انهم يفضلون الموت — بل يقتلون عليه بصدر منشرح — على أن ينكروا ايمانهم ، فآخذوا يبحثون عن سر هذه القوة حتى وصلوا فى نهاية بحثهم الى أن سر قوة الاقباط هو فى تمسكهم بعقائهم وطهارتهم . ومن ثم أخذ الولاة يحاولون افساد طهارة من يرغبون الاذعان لأوامرهم من جهة انكار الايمان المسيحى .

ومن بين هؤلاء شاب مسيحى رفض أن ينكر الايمان فربطوه على سرير بالحبال وأتوا اليه بالمرأة لعوب تداعبه حتى تثير شهوته فتنهار قوته . لكن هذا البطل لم يجد وسيلة للهرب ، ووجد أن هذه المرأة سادرة فى غيها ، ممعنة فى مداعبته ، لم يجد عضوا من أعضائه حرا إلا لسانه فأخرجه من فمه وقضبه بأسنانه وبصقه فى وجه تلك المرأة الشريرة فسال خلفه سبل من الدماء . وما أن رأت المرأة ذلك حتى فزعت لوقتتها وهربت لساعتها . وهكذا فضل ذلك الشاب أن يقطع لسانه ولا يدنس جسده ويفسد طهارته .

قصة رابعة :

وهناك أيضا قصة بطلين شهيدين من أجل حياة الطهارة ، استشهدوا فى حكم دقلديانوس ، هما الشهيدة ثيودوره والشهيد ديديموس . فقد أراد الوالى بعد أن فشل فى اقناع الفتاة ثيودوره فى التبخر للأوثان ، افساد عذراويتها ، فأودعها أحد بيوت البغاء . ولكن شابا قبطيا يدعى ديديموس تمكن — بحيلة — أن ينقذها من ذلك البيت بعد أن استبدل ملابسها وأخرجها من البيت فى زى جندى وبقي هو مكانها . ولما اكتشف أمره ، أمر الوالى بقطع رأسه بالسيف وطرح جسده فى النار . وبينما كان الجند يسوقونه لمكان الاعدام رؤيت ثيودوره تعدو خلفه ، وقالت له بلهجة التوبيخ « لماذا هكذا يا أخى تختلس الكلبى ؟ فاكشف أمرها واستشهد الاثنان فى وقت واحد سنة ٣٠٢ م .

هذه بعض امثلة لابطال الطهارة الذين وقفوا امام الحكام وأذهلهم بجراتهم وشجاعتهم فأحنوا هاماتهم اعجابا وتقديرا . وما ذلك إلا لانهم عرفوا كيف يضبطون نفوسهم ويتهرون مهولهم . وصديق سليمان الحكيم فى قوله « مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (ام ١٦ : ١٢٢) .

كيف نحارب الخطايا السبائية ؟

يقول القديس مار فيلوكسينوس « احفظ نفسك من الاسباب سي تجذبك الى الشهوة ، وسد المنافذ التي تدخل اليك منها ، لانك اذا ما قطعت الوسائل التي منها تتولد الاوجاع قليلا ، تكون قد حصنت نفسك حسنا . عائلشهوة قد تبدأ من الجسد وقد تبدأ من حركات الافكار ، او من اسباب خارجية . لذلك ينبغي أن نميز الاسباب ونقطعها ونسعى في سد مداخلها » .

ومعنى هذا أن القديس قد لخص الاسباب التي تجذبنا الى الشهوة في ثلاثة :

(اولا) الجسد :

ويقصد به حرارة الجسد او استرخاؤه او مرضه .

(ا) وحرارة الجسد تتولد اما طبيعيا بحكم السن كفترة الشباب ، او المراهقة مثلا ، واما من الافراط في المأكولات ووجود طاقة زائدة في الجسد من حاجته العادية ، كما تتولد من تناول بعض مأكولات معينة تهيج الاعصاب مثل بعض الاطعمة الحريفة (كالتوابل) ، وكذلك المشروبات التي تهرق الاعصاب .

(ب) اما استرخاء الجسد فيأتي من الكسل وكثرة النوم ومن اعطاء الجسد راحة أكثر مما يحتاج .

(ج) واما مرض الجسد فيقصد به خلل في بعض الغدد ينتج عنه تهيج في النواحي الجنسية ، بسبب أن هذه الغدد لا تسير في افرازها سيرا طبيعيا . وهذه الحالة تحتاج الى علاج طبي خاص . وقد يكون هذا المرض نتيجة زيادة حساسية في الجهاز الجنسي ناتجة عن كثرة ارهاق سابق ، ربما للامور في ممارسة الخطية بحيث أصبح الجسد يتأثر لائق سبب ، لا يؤثر في غيره من الاجساد .

(ثانيا) الفكر :

ويقصد به الافكار الفجسة التي تضائق الانسان وتلج عليه بصورة متفاوتة في بشاعتها . وغالبا ما يكون ذلك نتيجة انشغال الفكر بهذه الامور او عدم انشغال الفكر أصلا بأفكار صالحة وامور مفيدة . وقد يكون

سحرد حرب من الشيطان يوقعها على الاطهار القديسين مبتغيا من وراء ذلك ان يتنازلوا الى الفكر ويتفاوضوا معه او يلتنوا به فينجسهم عن ذلك الطريق وهذه النقطة تدخل في البند الاتي وهو الاسباب الخارجية .

(ثالثا) اسباب خارجية :

وهي العثرات التي تاتينا عن طريق الحواس ..

الحواس هي مداخل المعرفة للانسان ، وهي ايضا مداخل العثرات .
مالعين مثلا تنظر مناظر مثيرة ، والاذن تسمع اقوالا بذنة مثيرة كذلك . وفي كلتا الحالتين يرتبط النظر والسمع بالفكر ومن هنا تحدث الخطية .

(أ) النظر :

هو باب مهم جدا تدخل الينا عن طريقه الخطايا الشبابة . ولذا يعتبره القديس اوغسطينوس اول حلقة من حلقات السقوط . وخطايا النظر تكون إما عن طريق التطلع الى الجنس الآخر في غير تحفظ ، او النظر الى الصور الخيعة (السينما او التلفزيون او المجلات او غيرها من المطبوعات) او قراءة الكتب البذيئة ، ومطالعة المجلات الرخيصة التي تستهدف اثاره غرائز الشباب . والكتب التي تعالج الموضوعات الحسنة بطريقة خاطئة .

(ب) السمع :

وهذه هي الاخرى حاسة لها فعلها القوي . فبالاستماع الى القصص الفكاهات والاحاديث النجسة من اشخاص منحرفين (اصدقاء المسوء) ، ولوث افكارنا وتتحرك تبعاً لذلك شهوتنا الجنسية .

(ج) اللمس :

سنطيع ان ندرك خطورة هذه الحاسة في الاماكن الشديدة الازدحام .
بها تعمس النقطة المباشرة في موضوع العادة السرية .

نخلص من كل هذا الى ان وجودنا في مجال الخطية يقودنا الى اتمامها ،

اذ سرعان ما تنهار مقاومتنا الروحية ، او تقل او تضعف . فقطعة الحديد المطاوع مثلا ، ان هي ادخلت في مجال مغناطيسي ، لابد ان تنجذب الى القطب المغناطيسي الذي احدث ذلك المجال . هذا امر لا جدال فيه ... وينتج عن هذا ان قطعة الحديد تكتسب خواص جديدة بأن يصبح هي الاخرى مغناطيسا له خواص المغناطيس الاصلى . ولا سبيل لارجاع قطعة الحديد الى خواصها الاولى الا باخراجها خارج المجال المغناطيسي . وعلى هذا التحوفاتنا ان ادخلنا انفسنا في مجال شهوة فلا بد وان ننجذب اليها لاننا بشر قابلون للاثرة . ولا سبيل لان نترك هذه التأثيرات الجديدة الى تاترنا بها او الخواص الجديدة التي اكتسبناها من المجال الجديد ، ونعود الى طبيعتنا الاولى الطاهرة النقية الا بالابتعاد عن

مجال الخطية . . قال القديس الشيخ الروحاني « هذا هو ترتيب حواس رجل الله بافراز : امنع عينيك عن النظر الى حسن الانسان الفاني وذلك بالنظر في الله . امنع اذنك عن الاستماع الى كل سمع رديء . وذلك بالاستماع الى اسرار القدير ، واحذر استنشاق الروائح الشريرة ، واغلق فمك بالحذر الكلي لان في هذا غايه الانتهاء . احفظ فمك من كل مذاق العالم . ومن كل كلام باطل واكتف بالتحدث الى الله والتكلم مع خالقك والحاسة الخامسة واعنى بها اللمس اسلمها الى الحافظ الباهر . واطلب العفة في كل حركاتك ولمساتك ليحرسك الرب من الافكار النجسة . . » .

(رابعا) اسباب اخرى بالاضافة الى ما ذكره القديس فيلوكسينوس :

١ — اخطر حالة :

عندما تصبح الناحية الجنسية شهوة في القلب ، ونقصد الشهوة الثابتة الدائمة الراسخة التي تستعبد لها الانسان جميعه ، فتخرج من القلب الى الفكر وتستعبده لاشباعها فاما ان يجول فيما امامه من مشيرات ، واما ان يخرع مشيرات نشر فيه اللذة البهية ، ويستخدم الحمال بطريقه فاسدة فيؤلف قصصا ، ويتصور مناظر ، ويدير احاديث ، كما تخرج الشهوة من القلب الى الحس فتحسه ايضا . وهكذا يفقد سيطرته . ويتصور الفحاسة في كل شيء حتى فيما يقع تحت حواسه من امور بريئة . وبهذا يلهث الحس ويحس الحسد كله . ويشير فيه حركات شهوانية . . قال السيد المسيح « كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه » (مت ٥ : ٢٨) ، ولم يقل « من ينظر الى امرأة فقد زنى » اذ ان العنصر الاساسي في هذه الخطية هو الشهوة التي « اذا حبست تلد خطية ، والخطية اذا كملت تنتج مونا » (مع ١ : ١٥) .

وعلى اية الحالات مانه يوجد تعاون بين المصادر الاربعة التي تخرج منها الشهوة سواء القلب او الفكر او الحس او الجسد . فمن امها تبدأ الشهوة ، يمكن اذا تنجس الفكر ان يتنجس معه القلب والحس والجسد ، واذا تنجس الحس يمكن ان يتنجس معه الفكر والقلب والجسد ، وهكذا دواليك .

وتظهر بشاعة الخطية الجنسية في انها — عندما تكمل في حالتها الفعلية — تشمل الانسان جميعه في جسده وفي نفسه وفكره وحواسه وكل ما فيه . وهكذا عندما يسقط يكون سقوطه عظيما لانه لا سرك منه حجر على حجر الا وينقض قال معلمنا بولس : « اهربوا من الزنا . كل خطية يفعلها الانسان هي خارجة عن الحسد . لكن الذي يرنى مخطيء الى جسده » (١ كو ٦ : ١٨) .

٢ - الكبرياء :

وهذا السبب خارج عن نطاق المحيط الجنسي كله ، فما علاقة الكبرياء بلغزنا ؟

الاجابة واضحة وهى ان الانسان المتكبر تتخلى عنه النعمة الالهية بسبب كبريائه فيقع فى الخطية ويسمح الله له بهذا لكي تذل نفسه ويشعر بضعفه فيترك كبريائه . ولا توجد خطية تذل الشخص المنتفخ بحياته الروحية اكثر من خطية الزنا التى من عظم بشاعتها تسمى احيانا خطية النجاسة . قال القديس يوحنا الدرجى « اذا لم تنتق من العظمة فلن تغلب وجع الزنا ولا شيئا من الاوجاع » . وقال ايضا « ليس احد غلب جسده الا الذى سحق قلبه ، ولا احد سحق قلبه الا الذى امارت هواه » . قال الاباء القديسون « المتعرج بالنسك يقع فى الزنا والمتعرج بالمعرفة يقع فى التجديف » .

وتستقر فى الكبرياء وتتحصن بها « الادانة » . لا تسمح لنفسك ان تدين انسانا ساطعا فى الخطايا الجنسية ، بل ليكن لك عطف وشفقة عليه ، لا تسخط عليه ولا تستهزئ به ، بل صل لاجله الى الرب لكي يقيمه ، وليكن سقوطه حافزا لك على التواضع ، عالما انك انت ايضا انسان تحت الالام مثله ، ضعيف جدا ، وانك فى مهبط الخطية كالتراب الذى على الارض . قل لنفسك « لقد سقط هو اليوم ، وربما اسقط انا غدا » . واعلم انك اذا كنت سريعا فى ادانة الآخرين واحتقارهم ، فان الله سيعطيك درسا لا تنساه ، حتى تعرف ضعفك ، وقد يحدث ان يسمح الله ان تجرب بنفس تجربة اخيك . قال الرسول « لا تستكبر بل خف » (روم ١١ : ٢٠) .

فاتظر يا اخى الى نفسك لتلا تكون سائرا فى الطريق الالهى باحتراس ما عدا المحاربات الجنسية ، ولا تعرف سببا جنسيا يبرر تعبك هذا ، الذى قد يكون مرجعه كبرياء فى النفس انت الى تخلى النعمة عنك .

سببان علمان :

هناك امران حيويان يدخلان فى المسألة الجنسية وهما الحب والطاقة .

● فكل انسان عاطفة حب ، ان لم تتصرف تصرفا سليما ، قد يستغلها الشيطان ويربطها بالجسد فتعرج وتدخل فى نطاق الحب الجنسي ، وتتجسس بهويات الجسد . ولذلك فلن الأشخاص الذين اتبعوا ما لهم من عاطفة حب لتباعا روحيا سالما ، هؤلاء يستريحون جدا من القاحلة الجنسية من هذه الجهة . ومن امثلة الاتباع الصالح لعاطفة الحب ما يأتى :

(١) زيارة المرضى : اذ يتخذ بها للحب مظهر حنو وعطف سامعين ، من المستحب جدا ان يحارب الانسان لتناعها بشهوة جنسية .

(ب) **انتقاد الفقراء والارامل والعنيلة بالايتم** في خدمة الملاجئ او اينما كانوا ، وبقى الخدمات الاجتماعية المنوعة .

(ج) **الخدمات الروحية المتنوعة** في تخفيف آلام المتضايقين ومواساة الحزاني ، وزيارة المسجونين ... الخ .

(د) **خدمة التعليم** كمدارس الاحد مثلا ، وما يكتنفها من شعور بالابوة وعاطفة الرعاية ...

(هـ) **الصداقات** : فالشخص المنطوي الذي لا صديق له ، والذي لا يجد اناسا يبادلهم المحبة ويستودعهم اسرارهم ، هذا غالبا ما يقع فريسة للمحررات الجنسية ويستقط ، لعله يجد فيها ما يشبه قلبه الخالي من الحب . ولذلك ننصح الانسان الذي يحب ان يقي ذاته امثال هذه المثرات ، ان يجعل نفسه مستودعا للحب يفيض به على اصديقه الاطهار الذين يبادلونه ايضا حبا بحب فلا يبحث في المحال الجنسي عن حب آخر كناحية تعويض .

(و) **وقد يدخل ايضا في هذا النطاق** الذين يشبعون عاطفة الحب عندهم بحب وطني او هواية عاطفية كالشعر والموسيقى او ما شاكل ذلك من الوان مختلفة .

● **ولكل انسان طاقة وحرارة ، ان لم يستخدمها في طريق نافع فقد ينصرف الى الطريق الجنسي الضار** . فالذي يستنفذ طاقته الجسدية في دراسة او عمل اجتماعي مفيد او حتى في رياضة جسدية ، لا يترك طاقة زائدة في جسده تحاربه ، بعكس زميله الذي يعطى ذاته راحة زائدة .

مراحل الخطية :

تمر المسألة الجنسية في مراحل متنوعة تختلف في شدتها وعمقها ، ونحتاج كل منها الى علاج خاص يناسبها . وان كان هذا لا يمنع وجود نصائح عامة تفيد جميع الحالات . اما هذه المراحل فهي :

(١) **حالة حرب من الخارج** ، بينما القلب نقي من الداخل

(ب) **استجابة سطحية للخطية** مع فكر غير عميق .

(ج) **حالة التهاب كلي** ، فكرا وحواسا وتلبا ، وهي تنقسم الى قسمين : قسم منها فيه مادة الخطية موجودة ويمكن ارتكابها ، والقسم الآخر فيه مادة الخطية بعيدة ، والانسان يسمى في الحصول عليها .

(د) **حالة رابعة** وهي تحول الخطية الى عادة .

كيف نقضى الطهارة ؟

هناك وسائل كثيرة تتلخص في ثلاثة أمور :

(أ) طرق وقائية تمنع الإنسان من السقوط وتعطيه حصانة ضد الخطية وهي تتلخص في الهروب من الخطية وأسبابها ، ومن جهة أخرى تقوية حياة الإنسان الروحية حتى ينفر بطعمه من الخطية .

(ب) طرق علاجية إذا ما صدم الإنسان فعلا بالخطية ، سواء بفكر عارض أو مكر يلح بشهوة خفيفة أو شهوة عنيفة .

(ج) طرق تستخدم بعد السقوط في الخطية وارتكابها .

أولا الطرف الوقائية

١ البُعد عن مجال الخطية

أنت تعرف الأبواب التي تأتي اليك منها الخطية فعليك إذن على قدر طاعتك أن تسد هذه الأبواب . وتبتعد عن كل أنواع المثيرات وكل أسباب الخطية سواء الخاص منها بالحواس من نظر أو سماع أو لمس ، أو ما يتعلق بالقراءات المختلفة ، أو بالمقابلات والخططات المعثرة ، أو ما يختص بالإمكنة التي تساعد على الخطية ، أو المحاطة بذكريات خاصة غير طاهرة .

ولك أن تعرف أن الإنسان مخلوق قابل للتأثر بأحدى العاليتين سواء الخير أو الشر . وإياك أن تنظر في نفسك أنك قوى وقادر على المقاومة ، فإني لست أقوى من داود النبي الذي قال عنه الرب ذاته « وجدت داود بن يسي رجلا حسب قلبي » (أع ١٣ : ٢٢) ، ومع ذلك لم يحتل منظرا واحدا فسقط (صم ١١) . ولست أقوى من شمشون الجبار الذي مع معرفته يحترق دليلا ، لم يستطع أن يمنع نفسه عنها ، وكسر في سبيلها نذره وأضاع شرفه وكرامته . ولست أقوى من سليمان أحكم أهل زمانه الذي أمالته النساء عن الرب . لقد قال سليمان عن هذه الخطية بالذات أنها « طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أتوياء » (أم ٧ : ٢٦) .

اياك يا اخي أن تظن أن الهروب هو لون من الجبن أو الخوف . فالهروب هو العلاج الاول والاساسي لهذه الحرب النجسة . تذكر أن يوسف الصديق مثل العفة والطهارة هرب من امرأة غوطيفار ، وكان هربه لوما من البطولة . ولم يقل احد ولم يقول ان هذا الهروب قتل من قدر يوسف .

يقول يشوع بن سيراخ « لا تصدق عدوك الى الدهر » اى ١٢ . ١ . هكذا لا تثق بجسدك ابدا . لانه كما أن الحديد من طبعه ان يحصد . الجسد تتولد فيه الشهوات الشريرة . لا تثق بالجسد ولو بدأ هادئا . أحيانا يتم في لحظة واحدة أو ساعة واحدة ما لم يصنعه خلال سنوات طويلة . وهو دائما يدبر في صمت استعداداته للهجوم !! قال القديس بوحى الدرس « التعلب الخبيث اذا اراد اقتناص طائر تظاهر بأنه نائم أو ميت . ماد . الطير منه يثب عليه ليقتله ويأكله . هكذا شيطان الزنا يكف عن قتال الجسد ليخدع النفس فلا ترصده ، فيسقطها . لا تثق بطبع الجسد حتى تلقى المسيح »

اياك من ضربة يمينية يخدعك بها الشيطان ، يصور لك بها بطول . قائلا لك في منطق مسموم « ان كنت بطلا حقا ، ماتزل ودرت و... لا يا صديقى . هذه معامرة خاسرة ، لانك قد ترمى بنفسك الى الحرب و... الحرب عليك تسقط . وعلى رأى سليمان الحكيم الذى - بخصوص أحد الفحاسة يسأل متعجبا « ياخذ انسان نارا في حوضه ولا يسترق سابه لا او يمشى انسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه » (ام ٢٧: ٦ ، ٢٨) . وحتى ان انتصرت يا اخي انتصارا ظاهريا ولم تسقط فعليا ، فلا تظن انك انتصرت . انتصارا كاملا ، اذ قد تكون قد تلوثت في الطريق ، وربما تكون اشياء معينة قد ترسبت في عقلك الباطن وفي ركن مخفى من اركان ذاكرتك ، وقد برجع اليك في فترة ضعف وتعبك . فالشخص الذى يدخل طاحون الدقيق بهلاس نظيفة . ولا يقرب الى شيء مما بداخله يخرج منه وقد غطته طبقة من تراب الدقيق الابيض الرفيعة دون أن يشعر . والانسان اللابس ثوبا ابيض اذا صارع فحاما أو اسانا ملونا بالطير . فانه حتى لو تمكن من التعلب عليه وطرحه ارضا . النتيجة ان ثوبه الابيض الجميل يكون قد تلوث من آثار الفحم أو الطين . هكذا تعرضنا للمثيرات الشبابية تؤثر فينا بالضرورة وتترك خلفها آثارا .

✱ ان سليمان الحكيم يدعو ذاك الذى يخاف اسباب الخطية وينحسب رجلا حكيما ، ويسمى من يثق بنفسه جاهلا ، فيقول « الحكيم يخشى ويحيد عن الشر ، والجاهل يتصلف وثيق » (ام ١٤ : ١٦) .

في احدى المرات مر شيخ مع تلاميذه على دير ووجد عثرة معينة فرفض المبيت فيه . فسأله تلاميذه « حتى انت يا ابانا تخاف ! » فأجابهم « أما بالطبيعة فأتى لا أخاف ، ولكن مالى وقتال مفسد » .

وأعرف يا أخى أن أسباب الخطية ومجالاتها ، أن لم تترك في الإنسان المختلط بها تأثيراً مباشراً سريعاً ، فقد تترك فيه تأثيراً بطيئاً غير محسوس ، ينمو فيه خبيث ، ثم يعلن عن نفسه فيها بعد . والإرادة التي لا تسقط دفعة واحدة قد تخور بالتدريج . لا تمس نجسا « أهرب لحياتك .. ولا تقف في كل الدائرة » (تك ١٩ : ١٧) .

وعندما ننصح بالهروب من المعثرات والمثيرات ، إنما ننصح بمداومة هذا الهروب . لأن اشخاصا بدأوا حياة الطهارة بنفس منسحقة شاعرة بضعفها ، كانوا يهربون في أول أمرهم ويحترسون جيدا ، ولكنهم ما أن قطموا في الطهارة مرحلة محسوسة وشعروا بقوتهم ، حتى ظنوا أنهم قد تحصنوا ضد الخطية حصانة تسمح لهم بتخفيف احتراسهم ، وعدم التخوف من المعثرات والمثيرات . وهكذا بدأوا يدخلون في مجال الخطية غير مكرثين ، ودون أن يشعروا زحلت الخطية إلى نفوسهم واكتشفوا أنهم قد فقدوا مقاومتها الأولى .

وهناك نوع آخر من العودة إلى الاختلاط بمجالات الخطية — ليس عن طريق الشعور بالقوة — وإنما عن طريق الاضطرار بحكم الإرشاد والتعليم . يبدأ مثل هذا الإنسان يصرى إلى مشاكل الآخرين الجنسية وتقصصهم وأخبار سقطاتهم ، واللوان محارباتهم . وقد يضيف إلى هذا دراسات خاصة في هذا الموضوع بقصد الخدمة أيضا . وكنيجة لكل هذا قد يمتلئ عقله بأفكار الخطية وبذكرات سمجة تلوثه ويتمتع هو شخصيا ، ونحن ننصح هؤلاء ألا يقتلوا على أنفسهم بأعباء لم يؤهلوا لها روحيا ، وننصحهم بأن يكونوا صرخاء مع أنفسهم .

هذه النقطة تحتاج إلى مناقشتها في ندوة تربوية لتقرير سياسة بخصوصها . وهناك فكرة نعرضها ضمن المقترحات العديدة للحل ، وهي تحويل أمثال هذه المشاكل إلى آخرين مؤهلين لحملها أمثال آباء الاعتراف ، أو خدام قداسي تساعدهم ظروفهم وقامتهم على عدم المعثرة بها . وفي فروع الخدمة الكثيرة يمكن تخصيص أفراد معينين للرد على الموضوعات التي لا يمكن لكل إنسان أن يتقنها . فمثلا ليس بإمكان كل عضو في فروع الخدمة أن يجيب على المشاكل اللاهوتية التي تقدم فيها أحيانا بعض أسئلة معقدة تحتاج إلى دقة في التعبير ، وسلامة في الفهم اللاهوتي . وإنما يمكن تحويل أمثال هذه الأسئلة إلى شخص مختص يتقنها سواء في نفس الفرع أو غيره . ونفس هذا الأمر يمكن أن يطبق على كثير من الموضوعات الجنسية .

❷ البعد عن الفراغ

الفراغ نافع جدا للشخص المتقدم روحيا . للنجاح في الصلاة والتأمل والتهنيد بالالهيات ، حيث يتفرغ من مهام العالم ومشغوليته ومعطلاته ، ويجد وقتا لعمله الروحي . أما الإنسان المحارب جنسيا ، المتعب من هذه

التاحية ، فإن الفراغ — بالتسبة اليه — عدو خطر ينبغي له الابتعاد عنه .
 لأن عقل الانسان ان لم يتفرغ للتفكير في الشهوة الجنسية ، فعلى الاقل قد يطيش في أمور كثيرة منتقلا من فكرة الى فكرة ، ومن خبر الى خبر ومن تذكر موضوع الى تذكر موضوع آخر ، الى ان يصادفه وسط كل أولئك موضوع جنسى فيقف عنده ليتأمل فيه ، وقد ينحرف في تأمله هذا ويلدذ فكره بالخطية فيسقط . فإن كنت تريد ان تبقى نفسك من الدخول الى حرب جنسية قد تسقط فيها ، فاهرب من الفراغ ، واشغل نفسك باستمرار حتى اذا ما أتاك الشيطان ليبدل فيك أفكاره التجسية ، لا يجدك متفرغا له .

واذا ما شغلت نفسك بشيء نافع ، تكون قد ربحت فائدة مزدوجة : التخلص من الحرب الجنسية وما يلحقها من نجاسة وتعيب ، وايضا منفعة العمل الصالح الذى انشغلت به . والمشفويات تشمل ما يأتى :

(أ) الاخلاص لعملك :

طالب المهتم بدراسته مثلا ، تملأ علومه الدراسية شعاب فكره وتملك عليه اهتمامه ، يستفيد فوائد عدة منها : التفوق العلمى ، وثقة اساتذته واسرته واصدقائه ، واعداد نفسه لمستقبل كريم ، وارضاء ضميره من جهة الاخلاص لعمله . وبالإضافة الى كل هذا ينجى نفسه من حروب جنسية كثيرة ، ويحفظ فكره في نظافة منها . وهذا نلاحظه على الطلبة في أسابيع امتحاناتهم اذ يكونون غير معرضين للسقوط الجنسى كما فى باتى أيام السنة . وما نقوله على الطالب نقوله على الموظف ايضا .

(ب) القراءة :

الانسان الذى يقرأ كثيرا يمتلئ بالمعرفة ويتسع عقله وينشط تفكيره وفى نفس الوقت يمنع عن عقله الفراغ الذى يحارب فيه بالخطية . ولا ننصد القراءة الروحية فقط ، وانما قراءة أى لون من المعارف العامة . فالمعتل بطبيعته يفكر فيما يقرأ ، وينشغل بما يفكر فيه ، فالقراءة تنير العقل . يقول القديس الأنبا انطونيوس « اتعب نفسك في قراءة الكتب فهي تخلصك من التجاسة » . ويقول مار اسحق « كن مداوما الهذى في الكتب وسير القديسين . لأنه من التذكارات والنظر الدائم في الكتب وسيرة طرق الآباء ، تكثر لديك أفكار حارة . وتصبح امام عينيك اعمال خوف الله سهلة ، والضوائق هينة » . ونحن نريد — في موضوعنا هذا — ان ينشغل الفكر بأى شيء نافع يسمع انشغاله بالخطية . ولكننا ننصح في موضوع القراءة — وبالأخص في الاوقات التى تبدو فيها خطية مقبلة من بعيد ، ان يقرأ الانسان أفكارا ذات عمق . لأن القراءات الخفيفة قد يطيش الفكر أثناءها في موضوع آخر ، وقد لا تمنع الأفكار الجنسية — التى تثب الى العقل أثناء القراءات ايضا وتشغله ، بحيث تصبح تراءات

سطحية . أما القراءات العميقة فتركز التفكير . لأن القارئ يجمع فيها قوى عقله وانتباهه ويركزها ليفهم .

وانجح ألوان هذه القراءات ما يعرض أمام الفكر عقدا تحتاج إلى حل ، أو قصة يتشوق العقل إلى أكملها ، أو موضوعا جوهريا يهم الإنسان أن يلم به ، أو معلومات جديدة تزيد ثروة الإنسان الفكرية . وهذه الأنواع الأربعة من القراءات تختلف من شخص إلى آخر حسب نوع الموضوع دينيا كان أو علميا أو اجتماعيا أو أدبيا . . . كما تختلف أيضا حسب سن القارئ ودرجته العقلية والروحية .

ومن ناحية القراءة الدينية مثلا قد يفيد في منع الأفكار الجنسية الانشغال بموضوعات كالعقائد المقارنة سواء بين المسيحية وبأى الأديان ، أو بين الأرثوذكسية ، والمذاهب المسيحية الأخرى ، أو بين المسيحية والعلم . لأن هذه الموضوعات بالإضافة إلى أنها لا تترا تراة سطحية وإنما تحتاج إلى تركيز الفكر وانتباهه ، فهي أيضا تثير في الإنسان حماسة دينية وغيره قلبية ، فلا تشغل الفكر فقط وإنما القلب أيضا ، كما تستنفذ بعض الطاقة المخزنة .

وننصح الذين — إذا تركوا لذواتهم لا يقرأون — بأن ينظموا هذه القراءات إما بمناهج خاصة ، أو ارتباطات معينة ، أو تداريب روحية ، أو بالاتضمام إلى معاهد مسائية . . .

(ج) النشاط الاجتماعي :

قد تكون القراءة موهبة تتفاوت فيها درجات الناس . فبينما تنفع جدا للعصر ، ربما لا تنفع غيرهم أو تكون منفعتها ضئيلة . لذلك سننضع إلى جوارها أنواعا أخرى من المشغوليات ، في مقدمتها النشاط الاجتماعي . ونقصد به خدمة الفقراء والمرضى والأيتام والأرامل ، وفك ضيق المتعبد بضيق متنوعة ، وخدمة القرى المحرومة ، وخدمة مدارس الأحد ، والتعليم عموما . .

(د) الهوايات :

يستطيع الإنسان أن يشغل وقت فراغه بهوايات نافعة حسب موهبته ، كالرسم والتصوير والانشغال اليدوية على اختلاف صورها ، والتسليات الكثيرة . ويمكن أن نضم إلى هذه الهوايات الشعر والموسيقى والألحان ، على شرط أن تتجه اتجاهها روحيا سليما . فالذي يدرس الألحان الكنسية مثلا يقض وقتا في استلام الألحان من المعلم ، وفي مراجعتها وتثبيتها على أنفراد ومع آخرين . كما تملك عليه جانباً من قلبه وعاطفته ، غير كونها لتعزيتة الخاصة في خلوانه . وتعطيه فرصة للاندماج في الكنيسة والاشتراك الفعلي في العبادة العامة . كما تعرفه بأوساط دينية وأصدقاء جدد يقضى معهم أوقات روحية . وفي كل ذلك يكون قد وقى نفسه من الانشغال بالتفكير الجنسي الخاطيء . . .

(هـ) الرياضة :

قال معلمنا بولس الرسول : « الرياضة الجسدية نافعة لقليل » (٢ نى ٨ : ٤) . ولا شك أن من هذا القليل بعض المحاربين بالنواحي الجنسية . لان أشخاصا منهم قد تكون لهم اوقات فراغ كثيرة ، ولا يقوون على القراءة ولا على الانفراد لممارسة هوايات خاصة ، وفي نفس الوقت يجدون في الرياضة هواية نافعة لهم تشغل فكرهم ووقتهم ، وتستنفذ كثيرا من طاقاتهم الزائدة ، وتبعدهم عن الوحدة التي تزايلهم بالشيطان . هذا حسن ، فليمارسوا الرياضة . ولكننا ننصحهم باختيار الوسط الرياضى المصالح حيث الزملاء الاطهار الذين يفهمون الروح الرياضية الحقة ، وجبذا لو تمكنت كثير من هيئاتا الدينية من انشاء النوادي الرياضية التي تقدم وسطا طاهرا تحت اشراف اشخاص روحيين .

❷ الوقاية الإيجابية

ليست الوقاية الإيجابية من السقوط الجنسي تتركز في محبة العفاف فحسب، وإنما تأتي أيضا من التقدم والنمو في الحياة الروحية عموما . فالإنسان الذى يتقدم في الحياة الروحية عامة، ويكره الخطية جلة، وينمو في محبة ربنا يسوع المسيح ، ويشعر بأباطيل العالم كله وفنائه ، لاند أنه — ضمنا — سيسمو عن الخطا الجنسي . شأنه شأن أية شهوة أخرى من شهوات الجسد، وبمعكس هذا ، الإنسان المحب للعالم وما فيه من متع متنوعة ، فلا بد أنه ضمنا سيخضع للذة الجنسية ، استكمالاً لمتعة الجسد التى يسمى اليها بطرق شتى .

ولذلك ننصح — كوقاية من الخطية الجنسية — بالتدرب على حياة السمو الروحي ، الذى يعبر عنه قول معلمنا يوحنا الرسول « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم » (١ يو ٢ : ١٥) . وهذا ملاحظه عليا، فان الشاب الذى يحضر الى الكنيسة ، ويستمع الى عظاتها وتعاليمها ، ويفكر جدبا في تغيير مسلك حياته والسير في طريق الله ، بعد أن تنهذب حياته من جهات عدة، يصل في يوم ما الى هذه النقطة وهى مقاومة أخطئه الجنسية . وكلها يحب الله ، كلها يزهد العالم وشوهراته . وكلها يعلق قلبه بالشوق الى العالم الآخر والحياة العتيدة أن تكون بعد القيامة ، براه يرتفع — بالضرورة — على شهوات الجسد ، وتبدأ قواه الجنسية تنسamy وتتصرف طاقاته المخترنة تصرفا سليما وروحيا .

وكأمور تساعد هذا النهج الروحي :

(١) **ممارسة الصوم بطريقته المثلى** التى يقاوم فيها الصائم شهوات جسده ، كما يتدرب على إخضاع جسده ويقوى على منعه اذا اشتهى طعاما

معينا فلا يعطيه اياه ، او يمنعه عن الأكل ميموا الى ساعات معينة من النهار على الرغم من جوعه وطلبه للاكل . وكما تنمو بهذه الممارسة قوة الارادة في الانسان وسيطرة نفسه على شهوات جسده ، هكذا أيضا بالمثل ينتقل نجاحه الى الناحية الجنسية أيضا . اما الذين يمارسون الصوم ويظنون انهم ناجحون فيه ، ومع ذلك يشعرون بفشل ظاهر في الناحية الجنسية ، فهؤلاء ننصحهم بمراجعة انفسهم في طريقة صومهم ، ربما يكونون قد مارسوا من الصوم مجرد مظهره الطقسي دون ان يدربوا انفسهم على كبح جماح شهواتهم الجسدية من جهة الطعام . قال القديس يوحنا الدرجي « الذي يقتل الزنا ولا يمسك بطنه يشبه انسانا يطفىء النار المشتعلة بالزيت والقش . ومن يقاثل الزنا بالصيام وهذه دون اتضاع فهو كمن يسبح البحر العظيم بيد واحدة » .

(ب) التدريب على الصلاة : يعطى الفكر نوعا من الحياء، فيخجل الانسان من ذاته عندما يخضع لفكر جنسى ، ويخجل من الله عندما يتق امامه ليصلى وهو ملوث الفكر جنسيا . وننصحك ايها الأخ الحبيب بالاكثار من عنصر الصلاة حتى يكثر لديك هذا الحياء المقدس ، وحتى يستضيء فكرك بالله ، وايضا لكي تنال بالصلاة معونة خاصة ضد الحروب الجنسية .

وهناك سبب جوهري ، وهو أنك بالصلاة تتذكر الرابطة التي تربطك بالله ، وتشعر بوجود عهد بينك . منه ان تحيا له حياة مقدسة . وهذا العهد تشعر بكسره كلما نسقط جنسيا . - الناس يخجلون من الصلاة بعدد السقوط ، وبالتدريج يتركوها ، ولكننا نقول لهؤلاء ان هذا خدعة من الشيطان يكسب بها معركة ثانية . اما انت يارجل الله فلا تترك الصلاة من اجل نجاسة الجسد . لا تنتظر ان تصير طاهرا ثم تصلى ، وانما صل لكي بالصلاة تحصل على الطهارة . وان كنت في خجل من الصلاة فاعرف ان هذا الخجل مفيد لك ، ولانه يوقفك امام ضميرك ، وامام الله . وامام ما ينبغي ان تكون ، فترجع الى ذلك وتقاوم ...

اشغال الفكر بالهذير في الالهيات ، وترديد الاقوال الالهية ، وتدريب تلاوة المزامير المحمولة ، تدريب نافع ومفيد جدا في هذه الحالة ، وكذلك ترديد المدايح والترانيم والالحان الروحية ... وفي ذلك يقول مار اسحق « كثرة الكلام هي معنى الفضيلة يجدد كل ساعة في النفس شهوة الفضيلة » ، ويقول ايضا . « كما ان القدح الكثير يخرج شرر بار . هكذا أيضا من الهذير الدائم هي الالهيات بكرة الحرارة » . وايضا « حسنا نهمل الهذير في الصلاح تبطل في عينيك الشهوة اليه »

(ج) التأمل في آلام ربنا يسوع المسيح التي احتملها عنا ، وجراحاته المحيية من اجل خلاصنا ، تؤد بنا حياء وخشوعا . تأمل في هذه الآلام وتسل لنفسك « كيف يسوع لى التلذذ . اشوات الدمنة ، وهو « جروح لاجل معاصينا

مسحوق لأجل آثامنا » . قل ما تاله أوريا لداود « ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام ، وسيدي يواب وعبيد سيدي نازلون على وجه لصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتى ! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الامر » (٢ صم ١١ : ١١) . قال القديس أوغسطينوس « أنه لن يوجد علاج يضاد افكار الزنا مثل التناول في الآم سيدي يسوع المسيح وموته » .

(د) ممارسة الاعتراف بالطريقة المثلى التى تحدثنا عنها تفصيلا في موضوع الاعتراف . لا تخجل من كشف أمارك لأبيك الروحي ، لأنه بذلك تأتيك معونة لهية كبيرة : أولا ، لأن شيطان الرنا يتقهر بكشفه . وثانيا من طريق ارشادات ونصائح أبيك الروحي وصلواته عنك ، وثالثا نتيجة تذلل أمام الله وأنت ستعرف بضعفك مما يجعل معونة الله تتقدم لتسندك وتؤازرك .

(هـ) يفيدك جدا مع الاعتراف ، التناول من السرائر الالهية — اذا صرح اب اعترافك بذلك . فبالتناول ينال المجاهد في حروب الشهوة ، قوة عظيمة ضد أعدائه . قال القديس مقاريوس الكبير « بالتناول تحفظون من الأعداء ومن يتهاون بهذا السر فان قوات الظلمة تقوى عليه » . وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « لنعد من هذه المائدة (التناول) كاسود تضطرم مينا نار المحبة ، ونربعب منا الشياطين » . وقد تكلمنا عن ذلك بأسهاب في موضوع التناول .

(و) يفيد الانسان جدا في حياة الطهارة قراءة حياة القديسين ، لأن ذلك يضع أمامه مثلا عاليا من النوع السامى . واذا يتأثر بحياتهم ويجتذب الى تقليدهم ، يستمسو نفسه من تلقائها عن الشهوات الجسدية وتسلك في الطهارة دون تعب . وكما أن قراءة القصص الجنسية تثير هذه الشهوة في الانسان ، كذلك تعمل سير القديسين من الناحية العكسية — فانها تثير في القارئ محبة الفضيلة وحياة الطهارة . يقول مار اسحق « شهية جدا هي اخبار القديسين في مسامع الودعاء ، كالماء للغروس الجديدة . فلنكن مرسومه عندك صورة تدبير الله مع القدماء ، كالادوية الكريمة للعين ، واحفظ لكرهم في كل اوقات النهار واهذ فيهم وتفكر لتتحكم منهم » .

(ز) كذلك من المفيد ايضا قراءة الكتب الخاصة بالحياة النسكية واحتقار اباطيل العالم والكتب الروحية عموما ، فانها توجه رغبات الانسان واشتياقاته الى وجهة علوية مقدسة . ويحصله بكرة الخطية ومبحث عن خلاص نفسه . فانما ما اقترنت هذه القراءات بالتدريبات الروحية كانت الفائدة اعم .

(حـ) تفيد الانسان ايضا التراءه عن الإبدية والدينونة . ما الذى لا تربطه المحبة بالله تد يربطه به الخوف . وان كان الخوف درجة أقل ، ولكنه يصلح ان يكون في موضوعنا هذا كدرجة ابتداء . قال المرنم « رأس الحكمة مخافة الرب » (مز ١١١ : ١٠) . ويمكن أن نترجم هذه الآية « بداء الحكمة » . قال القديس

أوغسطينوس « ان الخوف يعد مكانا للمحبة . وعلى ذلك فان لم يوجد الخوف فلا سبيل للمحبة ان تدخل » . وقتل القديس الأنبا أنطونيوس « رأس الحكمة مخافة الله . كما ان الضوء اذا دخل الى بيت مظلم ، طرد ظلمته وأناره ، وهكذا خوف الله اذا دخل قلب الانسان طرد عنه الجهل ، وعليه كل الفضائل والحكم » .

لذلك اقرا يا اخي الحبيب عن الموت والدينونة والحياة العتيدة وعقوبة الاشرار . اقرا عن النفس ومصيرها وحالتها في مكان انتظارها . اقرا سفر الرؤيا وتفسيرات الآباء له واحضر الجنازات ، وسر في مواكب الموتى ، واذهب وعز اسرات المنتقلين . والاثر العميق الذي يتركه في نفسك كل أولئك ، لا تضيعه سريعا ، وانما استغله لتجلس الى نفسك وتفكر في مصيرك لئلا تبطل ايضا ، وتحمل اعبالا ثلث بالثوبة .

(ط) يفيد الانسان ايضا في حياة الطهارة قراءة قصص الاطهار ، الذين عرضت لهم الخطية فأبوا ورفضوا في عزم قوى عجيب ، ولم يسمحوا لانفسهم بان يخضعوا للخطية معتذرين بالضرورات القاسية الجديدة الضاغطة عليهم ، بل قاوموا حتى الدم مجاهدين ضد الخطية (عب ١٢ : ٤) ، واطاعوا الله حتى الموت . وقد أوردنا بعض هذه القصص في صدر هذا الموضوع ، لا ليقلدها القارئ تقليدا حرميا وانما لنعرض امامه صورا من السمو الخلقي .

ويمكن ان يضم الى هذا النوع نوع آخر أسى ، وهو قصص القديسين الذين أجبرتهم اسراتهم او سادتهم على الدخول في زيجات ، فعاشوا مع زوجاتهم كاخوات ، وانتقلوا من هذا العالم دون ان يمسوا امرأة ، على الرغم من ان بعضهم احتمل ذلك الوضع عشرات السنين من امثلة هؤلاء القديسين القديس مقاريوس الكبير ، والقديس آمون . والقديس يحنس كما ، والقديس ديمتريوس الكرام البطربرك وغيرهم ... اما الذين أجبرهم سادتهم : فمن امثلتهم القديس صموئيل المعترف الذي سباه البربر ، وربطه سيده الوثني الى جارية يرعى معها الابل سنوات وهما مربوطان معا ... والقديس بالخوس الذي كتب سيرته القديس ايرونيوس ...

(ي) ويفيد ايضا في هذا المجال قراءة قصص التوبة . ونعني بالذات قصص التائبين والتائبات من حياة فاجرة منحلة ، مثل قصص القديسة ماريا ابنة اخ القديس ابراهيم المتوحد ، والقديسة مريم المصرية ، والقديسة بيلاجية المتوحدة والفاجرة التي انقذها القديس بيساريون تلميذ الانبا أنطونيوس ، والقديس يعقوب المجاهد والقديس أوغسطينوس وغيرهم ...

(ك) ومن المفيد ايضا قراءة قصص عن النساء القديسات ايا كن سواء الشهيديات او الراهبات او الخادمت او المشتغلات بالنشاط الديني أو الاجتماعي او شهيرات النساء عموما المحاطات بهالة من البطولة والشهامة والقديسية ..

وقصدنا من هذا اللون من القراءة أن تتغير فكرة الإنسان عن المرأة . فهناك أشخاص تتعمهم الناحية الجنسية جداً إلى درجة أنهم لا يتصورون المرأة إلا على أنها مخلوقه للاستعمال الجنسي . فمثل هذه القراءة قد تغير تفكيرهم عن المرأة وبدركون أن النساء يمكن أن يعملن أعمالاً عظيمة كالرجال في نواحي عدة .

(ل) **اسلك في تداريب الاتضاع** ، فتقى نفسك من حرب الزنا التي تأتي نتيجة لنحلي العنسية الابلية بسبب الكبرياء . والاتضاع يقهر الشياطين ، ونقصد به الاتضاع الكامل النواحي ، أمام الله والناس ونفسك . . . سال بعض الاخوة القديس اعثو بخصص قتال الزنا فأجابهم «امضوا واطرحوا ضعفكم تدام الله فتجدوا راحة» . وقال القديس يوحنا الدرجي « الذي يريد أن يفلح الحسد بقوة قتاله ، فقتاله باطل . لانه ان لم يهزم الرب بيت الحسد ويبني بيت النفس فباطل هو سهر المجاهد وصومه . لكن جاهد وأعرف ضعفك والجأ إلى الله ليعينك ، فتقبل من الله نعمة العفة » .

(م) **اشبع عاطفة الحب في نفسك بطريقة سلمية** ، لتنجو من الحروب الجنسية الناتجة من انحراف في اشباع حاجة القلب إلى حب . ويكون ذلك اما بالخدمات الاجتماعية والشعقة على كل أحد أو التمتع بأصدقاء أطمسار تبادلهم الاخلاص والتعاون والنضحية ، أو بروح الحب الكامل التي تربط بينك وبين أفراد أسرتك . أو حتى بالشعقة على الحيوان ، أو بالاتضمام إلى مهمات عاملة في مجال محبة الآخرين كجمعية الاسمان مثلاً . . .

(ن) أكثر من رسم علامة الصليب على الصدر والجبهة والقلب ، فلتها علامة ربنا يسوع المسيح « الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم » (غل ١٤: ٦) . انها العلامة التي ترتعب منها الشياطين وتهرب . لكن لاكتف برسمها الظاهري بل ارسها بايمان ، وستشعر بالقوة العجيبة التي تصاحبها .

ثانياً الطرف الملاصقة

لقد نصحننا القاريء بأن يهرب من حرب الزنا قدر طاقته ويقبها من يديه . ولكن ماذا يفعل اذا اصطدم بهذه الحرب في وقت ما : اما لتهاونه ، أو لاتها اعترضت طريقه على الرغم منه ؟ هنا نقسم معالجة الامر حسب اهل التي تجازها الخطية إلى الانسان :

١ مرحلة الحرب الخارجية النفسية

الميزان الذي نعرف به حرب الزنا أي ثقيلة أم خفيفة هو في القلب ، واليد المسكة به هي الإرادة . ففكر الربا الذي يمر على الانسان تأتي به الحواس ، أو يخرج من المعتل الباطن ، أو تلقية الشياطين . فان لم يجد في القلب شهوة

زنا تسنجيب له ، عبر كالذخا ن دون أن يترك اثرا . والى هنا مايزال الانسان ظاهرا لم تصدر عنه خطية . لم يستطع الفكر أن يثير حركات الجسد أو يلذ الحواس ، أو يحرك مشاعر القلب ، ولكن هذا الفكر العابر قد يشهد فيطرق ذهن الانسان طرقا ملحة متتابعة . ومع هذه الشدة في الحرب الا انها شدة من الخارج لم تتسبب عنها نجاسة بعد . بل يستطيع الانسان أن يطرد هذه الافكار جيبها كما قال الرسول « قاوموا ابليس فيهرب منكم » (يع ٤ : ٧) .

كل ما يريده فكر الزنا في بدء القتال هو أن تتناقش وتتفاوض معه ، وأن تعطيه فرصة لينمو . وهذا التفاوض مع الفكر عمل ارادى محض يقع تحت مسؤولية الانسان روحيا . ان المفتاح بيد الارادة ، والفكر يطرق الباب من الخارج ، وفي امكان الارادة أن تطرده أو تسمح له بالدخول . والحكمة كل الحكمة هي في طرد هذا العدو لانه خطر على سلامة القلب والفكر والجسد جميعا . ولكن الشيطان قد يخدع الانسان ويقول له « افحص كل الاشياء وتمسك بالحسن ، اية خطية في هذا الامر ؟ انك سوف لا تلتذ بالفكر ، وانما ستفاهم معه ، لتعرف من أين اتى ، وماذا يريد ، وما هو مصيره ، وتفحص ما هو خطره ، وتفكر في ماذا يحدث لو ادخلته الى قلبك ثم تطرده بعد ذلك » . . اياك يا صديقي من هذا المنطق المسموم . فليس كل شيء يحتاج الى فحص ، لان هناك امورا ظاهرة . انك لست محتاجا أن تقلب العترة في يدك لتعرف انها عترة ، وانما بمجرد رؤيتها من بعد تدرك انها عترة . وتدعوك الحكمة لا الى فحصها — وانما الى قتلها ، او على الاقل الهرب منها بسرعة . اما اذا امسكتها ومحضتها مستلذعة وتلقى سبها في جسمك ، هكذا بالضبط افكار الزنا . يقول القديس مرقس افرام السرياني « كما تطرد الكلب ، جابو بافتهار شيطان الزنا » .

وافكار الزنا هذه التي تطرق باب العقل قد تكون معروفة لديك او مجهولة منك ، تكشف لك عن شخصيتها بعد حين ، وهذا النوع الاخير يحتاج الى اجتراس ويقظة وفكر .

افكار الزنا الواضحة المكشوفة ، ليس للانسان عذر في عدم طردها عنه بسرعة ، بل الافكار المحضة مبدأ مسؤوليته ارائها حالما يدرك ما يحتجب وراءها . وكل انسان له خيرات خاصة مع الافكار يستطيع في حالات كثيرة أن يكشف الافكار التي تدخل الى ذهنه في ثوب مريء ، وفي مظهر بعيد كلفة عن الزنا . ولكنها ما تلبث أن تتطور وتنحور وتتغير حتى تصل الى موضوع جنسى بحث . فعلى الانسان أن يستفد من خبراته السابقة ومن حروبه القديمة . وما احكم ذلك شبح الذي قال « لا اسدر أن الشياطين اطفونى مرتين غلط في امر واحد » .

وكمثال لهذه الافكار ، شخصية معينة تعرف أن العدو يحاربك بها شهوانيا . وهذه الشخصية تربطك بها ذكريات صالحة ، وذكريات عادية ، وذكريات نحسة . وقد يبدأ الشيطان فيذكرك بهذه الشخصية وما يحيط بها من فضائل وأعمال مقدسة . ثم يتناول أخبارك العادية معها ، وأخيرا يصل إلى الذكريات النجسة وتبدأ حرب الشهوة . فإن كنت بخبرائك المسابقة تعرف أن كل الافكار الاولى ليست سوى مقدمات للشهوة ، وأنه في كل مرة يأتي اليك الشيطان بتلك المقدمات ينتهي إلى نفس النهاية ، فواجبك أن تطرد عنك كل المقدمات ذاتها على الرغم من عدم نجاستها ظاهريا ، بل من واجبك أن تطرد عنك بالجملة كل فكر يربطك بتلك الشخصية . ما دامت الافكار تسيير بك في النهاية إلى النقطة السوداء في علاقتكما .

قلنا أن المحتاح في يد الإرادة ، وهي حرة تطرد الفكر أو تفتح له ، عابرا كان أو ملحا . ونضيف بأن الإرادات تختلف قوة وضعفا ، وقد توجد إرادة مثلا تستطيع أن تطرد الفكر العابر ، ولكنه إذا ألح واشتد طريقه تضعف أمامه وتفتح له . نصيحتنا لمثل هذه الإرادة التي لا تستطيع أن تقاوم الفكر أن تهرب منه ، أما طرق الهرب فسنشرحها في النقطة المقبلة .

٢ مرحلة الحرب الداخلية المتوسطة

تبدأ هذه الحرب عن طريقين : أما أن الفكر الخارجى عندما يطرق عقل الإنسان ، يجد في قلب هذا الإنسان شهوة كامنة ، فيخلط بها وينجب منها لذة حسية ، وبهذا تكون الخطية قد بدأت في أولى مراحلها ، وأما أن هذا الفكر لا يصادف شهوة في القلب ولكنه لا ييأس ، ويظل يلح على الإنسان ويطرق باب عقله طالبا منه التفاوض معه ، فإن تنازلت الإرادة وفتحت له الباب يدخل ويلقى أمتعته ، وأمتعته هي أدوات يلذذ بها الحواس ، فتبدأ الشهوة الجنسية . وكلا النوعين — سواء منها الذى سببته شهوة كامنة أو الذى سببته شهوة من الخارج — إذا ما وصلا إلى هذه المرحلة يتخذان طريقا واحدا ، سنتحدث الآن عنه وعن مقاومته .

هذه اللذة الحسية الخاطئة تكون ضعيفة جدا في بادئ الامر ، وفي إمكان الإرادة أن تطردها وتتخلص منها ، سواء أكانت مجرد لذة في الفكر أو لذة في الحس الخارجى أو الداخلى أو شهوة في القلب . . . وذلك لأنها تكون أولا لذة يشعر بها الإنسان ويشعر أيضا بأنه مخطئ فيها ويرى وجوب مقاومتها . إلى هنا تكون حربا داخلية خفيفة ، وشئ بسيط من شجاعة الفكر وعزم الإرادة يجعل الإنسان يلقيها عنه ويستريح .

وننصح في هذه الحالة بالنصائح الآتية :

(أ) إذا انتك هذه اللذة الجنسية من فكر معين ، فغير في الحال مجرى أفكارك : أما بالتفكير في شيء آخر ، وأما بالقراءة أو بالصلاة أو باتشاد لحن أو ترتيلة أو مديحة أو باى شيء آخر يشغلك عن الفكر . وإذا كنت ستحول هذا الفكر النجس بالتفكير في شيء آخر ، فاختر لونا من التفكير العميق الذى يشغلك ويجذب اهتمامك ويسيك الفكر الاول . لآنك لو فكرت في شيء غير مهم فسيطيش فكرك أثناءه في مضايعة الفكر الاول . وإذا اخترت القراءة أو الصلاة للهروب من الفكر ، فلتكن أيضا عميق ، ولا تهتم إذا كانت غير مركزة في الابتداء ، فربما يحتاج الامر الى فترة انتقال الى أن تنسى الفكر النجس أو تنشغل عنه . استمر في القراءة والصلاة ولو بطياشة فكر الى أن تتجمع أفكارك اليك . إذا اخترت مديحة أو ترتيلة أو لحنا ، فيحسن اختيار النعم « الحزائنى » ، أو اللحن الذى يحتاج الى انتباه فكرى لضبط هزاته الموسيقية ، أو النوع الذى تحبه نفسك وتشتهيهِ وتلتصق به ...

(ب) إذا لم تنفعك إحدى هذه الطرق ، وبقي الفكر يلاحقك واللذة تنمو ، فاترك مكانك وأجل بصرك في أشياء أخرى لعلك تنشغل بها . فإذا لم تنفع من هذا أيضا ، اختلط بأخرين واستمع وتحادث معهم ، فبالضرورة ستتخلص من فكر المحاربة لآنك سوف لا تستطيع الجمع بين الأمرين معا .

(ج) إذا أتاك الفكر وأنت وسط آخرين ، فاخرج عن صبتك وتحديث معهم .

(د) إذا أتاك الفكر بسبب قراءة معينة فاتركها مباشرة ، مهما كان نوع هذه القراءة حتى لو كانت دينية .

(هـ) وإن كان مصدر هذه اللذة الجنسية سببا حسيا ، كاللمس أو النظر أو السمع ، فاهرب من هذا السبب . أبعد عن مكان التلامس ، وحول نظرك عن المنظر المعثر ، واهرب من السمع الضار . وإن لم تستطع إطلاقا في إحدى الحالات فعلى الأقل اشغل نفسك في ذلك الوقت بشيء عميق فأن انشغال الفكر يمتلئ الشعور بالحواس أو على الأقل لا يجعلها مركزة في المعنى الجنسي ، فتضعف الحرب .

(و) ونحن لا نريد أن نحققك بوسيلة معينة ، وإنما اختر أية وسيلة أخرى ترى أنها تساعدك على الهروب من الفكر والتحول عن اللذة اللاصقة به .

(ز) إياك أن تسمع لخداع الشيطان أو خداع العقل المنتشى باللذة الحسية ، فتظن أنك تتفاوض مع الفكر الخاطئ بمفاوضة العدو لكى تقضى عليه ، وتظهر له فساد سبله كلها . أن الفكر لا يهيم أن تظهر له فساد سبله وخطره ، فهذا كله واضح ، وأنت تعرف هذا من بادىء الامر . وحتى أن انتهى

بك الامر — بعد وقت — الى طرد الفكر النجس، فلا شك انك تكون قد تنجست أثناء هذا الوقت الذي مر ما بين مجيء الفكر وطرده . وانك مع الرغبة لم تطرده كنت مثل هذا ببقائه . وهذا كله ينافي محبتك لله وحياة الطهارة . اطرد الفكر بسرعة ولا تناقشه ولو مناقشة عدو .

اطرد الفكر بسرعة لان الحرب سمع انها داخلية — الا انها مازالت خفية، لان الارادة مازالت تتمتع سلطان على الفكر ، وما تزال في الانسان رغبة في طرد الفكر ، على الرغم من استبقائه . ولكن الوقت — في هذه الحالة — ليس في صالح هذا الانسان المحارب . لانه كلما مر الوقت على الفكر الخاطيء وهو يلذذ الانسان ، تزداد الارادة ضعفا ، وفي نفس الوقت يقوى الفكر ويستبد ، وتبدأ الرغبة في طرده تقل، والملائكة المحيطة بالانسان تبدأ في التحول عنه وتركه ، وكذلك قد تتخلى النعمة عنه أيضا ، وذلك كله بسبب تهاونه مع الخطية وعدم طرده اياها وميله اليها في داخله . . .

وهذا كله يقوده الى المرحلة الثالثة الخطرة . ويكون في كل ذلك مدانا امام الله لانه — بكامل ارادته — اوصل نفسه الى نقطة الخطر . انه يشبه بني اسرائيل الذين خالفوا الله واستمقوا الكنعانيين ، فتسببوا في هلاك شعب الله واغروهم على عبادة الالهتهم . اما انت فقل مع المرتل في شجاعة قلب «في اوقات الغدوات كنت أقتل جميع خطاة الارض ، لأبدي من مدينة الرب جميع صانعي الاثم » (مز ١٠١ : ٨) . ومد يد الرب هنا هي اورشليم الداخلية — قلبك .

٣ الحرب الداخلية العنيفة

وهي اخطر مرحلة . . . ونقصد بها المرحلة التي تنطفي فيها اللذة الجسدية على الانسان ، بحيث يميل الى اكمال الخطية ولا تقوى ارادته على رفضها ، فيقع بين عدوين خطيرين أحدهما من الخارج والآخر من الداخل ، ويكون مغلوبا على أمره . ويشعر انه في خطأ ، يريد ان يبركه فلا يستطيع ، لان اللذة الحسية تجذبه اليها . هذه المرحلة من الخطية الجنسية هي اقسى مرحلة ، وكثيرين من الذين يجتازونها يسقطون في الخطية وهم يكون امام الله بسبب ضعفهم .

ماذا نقول لك يا اخانا الذي يجتاز هذه المرحلة العنيفة . لمسا نريد الآن ان نؤنبك لانك تسببت في توصيل نفسك الى هذا الخطر ، وانما نحن نشفق عليك . والله ايضا العارف بضعف البشر وقوة العدو المحارب لك، هو برحمته يقدر موتك ، ويستطيع ان يتحنن عليك . انما المهم انك — حتى في هذه الحالة — لا تيأس ، ولا يخدعك العدو بانك قد سقطت وانتهى الامر ، فلا مناص

من أن تكمل الخطية بالفعل . لا تستمع لهذه الشماعة من الاعداء ، وانما جاهد الى آخر رمق من ارادتك . وتنصحك بالهروب من مادة الخطية اذا كانت قريبة منك ، ولا تسع اليها ان كانت بعيدة عنك . حاول في هذه الحالة ان تهرب من الوحدة الى حيث يوجد اناس يمنحك وجودهم من فعل الخطية . وحاول ان تهرب من وجودك منفردا مع شخصية يقاتلك بها العدو . وعلى أسوأ الحالات خير لك أن تسقط بمفردك من أن تسقط غيرك معك ، فترتكب خطييتين بدلا من خطية واحدة ، وتحمل نتائج الخطية التي لا تضمن مداها .

... لا بأس ...

ثق انه حتى لو اشتعل جسدك كله بالخطية ، ومع ذلك هربت من فعلها ، فلك عند الله اكيل من آكائيل المجاهدين ، والله لا ينسى لك انك من اجله حرمت جسدك لذة يشتهيها . واعلم يا احانا ان من أهم الامور التي تعينك على مغالبة حرب الشهوة القاسية ، **ان تقضى لك قلبا قويا شجاعا في النضال ضدها .** ومصدر هذه القوة هو الثقة بان الله معك ، وبانه لا يسلمك الى ايدي أعدائك لانه يريد خلاص نفسك . قال القديس الانبا باخوميوس اب الشركة « كن قوى القلب ، واقتن لك شجاعة منذ الابتداء لتقدر على الوقوف قبالة غضب التنين ، لانه يصعب قتالك له منذ الابتداء اذا وجدك غير مستعد لتاومته ، وذلك ليجعلك جزءا من اول الطريق ... كن قوى القلب ، وقاتل كالجبار في حرب الشهوة . اطرح عنك ضعف القلب لئلا يملكك الكسل وقلة الايمان فيطعم نيك أعداؤك . اجعل قلبك كقلب اسد » .

ان كنت في حجرتك الخاصة مضغ فيها اشياء تبكتك وتذكرك بالله وتردك ان وصلت الى هذه الحالة ، مثل بعض الآيات والصور المقدسة والكتب الالهية

وحتى هذه المرحلة يمكن ان يتخلص الانسان منها عن طريق تحويل مجرى افكاره مشيء من الوسائل الكثيرة التي ذكرناها في المرحلة السابقة ، وان كانت ثورة جسده تخذ بالتدريج ، الا انها ستخضع على أية الحالات ، اذا قاوم ...



ما بعد السقوط

هناك نوعان من السقوط : سقوط عن استهتار ، وسقوط عن ضعف . .
والنوع الأول شرير جدا يحرم الانسان به ذاته من نعمة الله أما النوع الثاني
فيُنظر الله اليه باشفاق ويهد يده بالمعونة ليقوم الساقط ويفسله من خطيته
إذا ناب . ومع ذلك فالانسان غالبا ما يشعر بعد السقوط — في كلا نوعيه —
باشمئزاز من الخطية وندم على ارتكابه لها .

استغل هذا الندم وهذا الإشمئزاز اللذين يعقبان السقوط — استغلها
للسير في حياة جديدة مستقيمة . وحتى لو توالى سقوطك وتكرر ، لا تياس
أيضا ما دام سقوطك عن ضعف . فقد قيل عن أخ كان ساكنا في دير ، وأنه
من شدة القتال كان يسقط في الزنا مرارا كثيرة . لم يكت يكره نفسه ويصبر كي
لا يترك أسكيم الرهينة . وكان يكمل قاتون عبادته بحرص ويقول في صلاته
« يارب أنت ترى شدة حالي ، وشدة حزني فانتشلني يارب ان شئت أنا أو لم
أشأ ، لاني مثل الطين استاق واحب الخطية ولكن أنت الاله الجبار اجعلني
أكف عن هذه النجاسة ، لانك ان كنت ترحم القديسين فقط فليس هذا بعجيب
وأن كنت إنما تطهر الاطهار فقط فما الحاجة ، لأن أولئك مستحقون . ولكن
في أنا غير المستحق يا سيدي ، أظهر عجيب رحمتك ، لاني اليك أسلفت
نفسى » . وكان يكرر هذه الطلبات كل يوم سواء أخطأ أو لم يخطئ . فلما
كان ذات يوم وهو مستمر في هذه الصلاة أن الشيطان ضجر من حسن رجائه
فظهر له وجها لوجه وهو يرتل مزاميره وقال له « أما تخزي أن تقف بين يدي
الله كلبية ، وتسمى اسمه بفمك الفجس ؟ » فقال له الأخ « ألسنت أنت تضرب
مرزبة وأنا أضرب مرزبة ؟ أنت توقعني في الخطية ، وأنا أطلب من الله الرحوم
أن يتحنن على . غانا أضربك على هذا الصراع حتى يدركنى الموت ولا أقطع
رجائي من الهى ، ولا أكف عن الاستعداد لك وسننظر من الذى يعلب ، أنت أم
رحمة الله » . فلما سمع الشيطان كلامه قال « من الآن لا أعود الى قتالك لئلا
أسبب لك أكاليل نتيجة رجائك في الهك » . وتحنى عنه الشيطان منذ ذلك اليوم
ورجع الأخ الى نفسه ينوح ويبكى على خطاياہ السالفة . وكان اذا قال الفكر
له « نعم لانت تبكى » ، فكان يحيب فكره بذكر خطاياہ السالفة . واذا قال
الفكر له « أين تذهب لانت قمعت خطايا كثيرة » . كان يقول « مراحم الرب
واسعة وهو يفرح بحياة الميت ووجود الضال » .

وفي نفس مرحلة سقوطك ، استخدم على قدر امكانك ما سبق ان ذكرناه
لك من طرق وقائية . وان لم تات تلك الطرق بنتيجة سريعة فلا تياس ،

ولا يصور لك الشيطان ان الشهوة اتوى من طبيعتك او انه من المحال عليك ان تنصرف عليها . واعلم ان الامر يحتاج الى وقت الى ان تأتى الطرق الوقائية الايجابية بشر . وان تنقية ذاتك من الخطية وحصولك على العفة الكاملة أمور تحتاج الى صبر ولا تأتى دفعة واحدة . فتمسك بالرجاء وأكثر من الصلاة ، وابتعد ذاتك عن اسباب الخطية ، ولابد انك ستحصل على العفة ولو بعد حين ما دمت سائرا في طريقها . وكل ما يريده العدو من اسقاطك مرات — ولو في خطايا فعلية — هو ان تياس وتسلم له تسليما كاملا على اعتباره انه لا فائدة من الجهاد ...

وحاذر من شيطان الخجل الذى يأتى ليفتدك بعد شيطان الزنا ، وبمنعك من كشف الخطية لأب اعترافك . احترس جدا من هذا الخداع . واعترف بخطيتك في ملء بشاعتها . واعرف ان هناك خطايا يستريح الانسان منها بمجرد الاعتراف . ويدعى الآباء ان **شيطان الزنا بالذات ينقهر بكشفه** . واعلم ايها الأح المجاهد ان أب اعترافك هو أيضا انسان ، ويعرف ضعفات البشر ، بل انه انسان ذو خراب كثيرة في هذا الامر ، لاستبعاده الى قصص سقوط عديدة جدا في اعتراف غيرك من الناس ، وأنه سيستمع الى اعترافك في اسفاق لا في اشمئزاز كما تتصور . فكن امينا في اعترافك . ولا تتأخر ، ولا بخدعك الشيطان بأن تنتظر حتى تحسن حالتك ثم تذهب فتعترف . كلا ، بل ان حالتك تتحسن باعترافك . وانت لا تضمن ماذا يحدث لو اجلت اعترافك ، ربما تسوء حالتك جدا ، وربما تكرر مرات سقوطك ويزداد ارباطك بالخطية.

الاحتلام والاحتلام

الاحتلام — بالنسبة للشباب — هم ان يحس منه سائل موى أثناء النوم ، وهو على نوعين : نوع غير مصحوب بحلم شرير ، وهذا امر طبيعى لا يعتبر خطية ، ولا يصح أن تترعج له به مجرد خروج مادة زائدة عن حاجة الجسم . اما النوع الثانى من الاحتلام فهو الذى يسبقه حلم نجس . ومع ان ارادة الانسان غير كاملة فيه او شبه معدومة ، الا انه غالبا ما يكون نتيجة لارادة سابقة خاطئة . وكلا النوعين من الاحتلام تعتبره الكنيسة فطرا . ولا يصح للمحتلم ان يتناول صبيحة احتلامه من الاسرار المقدسة ، بل على حسب حكم سفر اللاويين ، يبقى نجسا الى المساء (لا ١٥) . كما لا يصح له ان يدخل الهيكل او يلمس الأواني المقدسة ، وان كان هذا الاحتلام لا يمنعه من الصلوات العادية والعبادة الخاصة . وان كان يستحسن ان يغتسل ويغير ملابسه الداخلية .

والاحتلام امر مفروض ان يعترف به الانسان أيضا ، ويبين ما اذا كانت حالات حدوثه تلبلة أو كثيرة . **وللمتعين من الاحتلام نضع النقاط الآتية :**

١ — هناك احتلام يأتي من شهوات جنسية مختزنة أو مكبوتة ، أو من صور خاطئة لاصقة بالعقل الباطن أو من ذكريات أو أخبار نجسة عالقة بالذاكرة . وكل هذه الأمور تحتاج الى علاج روى أثناء النهار . ويمكن أن يهتم الإنسان بالنهار بتفادي أسباب الخطية التي يحلم بها ، وإذا أكملت طهارة الإنسان في حياته الواعية ، فمن النادر أن يحلم حلما نجسا ، بل إذا أتاه حلم كهذا لا يحتلمه ويستيقظ .

٢ — هناك احتلام يأتي نتيجة أسباب جسمية مثل كثرة الطعام ، أو زيادة الاطعمة الدسمة ، أو كثرة النوم ، أو إعطاء الجسم راحة أكثر مما يحتاج ، أو النوم على مرائش ناعم أكثر من العادي . وهذا السبب من السهل علاجه ، والذين يتننون السهر والصوم يقل احتلامهم .

٣ — وقد يتسبب الاحتلام عن طريقة النوم ، كان ينام انسان على ظهره فيسخن عموده الفقرى ، أو أن ينام على بطنه فتمنخن أعضاؤه التناسلية ، والوضع الصحيح هو النوم على الجنب الايمن .

٤ — وقد يكون السبب هو الملابس الداخلية ، والمفروض فيها أنها لا تكون ضاغطة على أعضاء الجسم الحساسة .

٥ — ولاتقاء الاحتلام يحسن عدم الشرب كثيرا قبل النوم لتفادي امتلاء المثانة البولية .

٦ — ويحسن أيضا عدم الذهاب الى الفراش الا اذا كان محتاجا فعلا للنوم .

٧ — وتفيد جدا الصلوات الكثيرة قبل التوم حتى يتقدس فرائذك بالصلاة وتحيط بك الملائكة أثناء نومك وتحفظ عفئك . وعلى العكس من ذلك فإن الافكار الدنسة التي قد تشغل الفكر قبل النوم ، تسبب له أحيانا احتلاما أثناء نومه .

٨ — على الإنسان أن يحترس أيضا في أعطيته وهو نائم ، ولا يدعها تحتك جسده . كما يحترس من البرد الذى يجعله ينكش انكباثا تنضغط به بعض أعضائه . وأيضا الدفء الزائد قد يسبب احتلاما .

٩ — وقد يتسبب الاحتلام عن خوف زائد منه يجعله شاغلا للذهن بطريقة مبالغ فيها .

١٠ — وقد يأتي عن هرب من الشيطان يريد بها أن يزعج الإنسان ، أو أن يحرمه من تناول من السرائر الالهية ، أو أن يستقله في اليأس ، أو أن يقدم له افكارا نجسة تحارب به فيها بعد : الزنا الإرادى . والآباء ينصحون بعدم تكرار الأجساد التي حورب بها الإنسان في نومه لئلا تكون حربا له في يقظته . قال القديس يوحنا الدرجى « لا تفكر في اليقظة ما تخيلته من النجاسة في المنام ، فهذا هو غرض الشياطين من الاحلام النجسة » .



ارشادات هامة

١ - اذا اشتدت عليك حرب الشهوة فانحص ذاتك جيدا لتعرف المنافذ التي تسربت اليك منها فتفلقها . وتقف على الاسباب التي تولدت عنها وتلاشيها . فاذا لم تجد سببا جنسيا ، فانحص ذاتك من جهة افكار العظمة والمجد الباطل (الكبرياء) . فان وجدت انها قد تسربت الى مخدعك الداخلي (قلبك) ، ماتضع وتذل امام الله ليرفعها عنك . وان لم تعرف لها سببا من هذه الناحية ايضا ، فاعلم انها قد تكون من حسد الشياطين . وهذه الحالة ايضا يسمح بها الرب حتى يدوم الانسان في الانضاع ، كما يقول القديس يوحنا الدرجى .

٢ - من اهم الامور التي تعينك في جهادك ضد حروب الشهوة ، قوة القلب وشجاعته ، اى الاحتفاظ بروح معنوية عالية . فالقلب الضعيف الخائر لا يقدر ان يثبت امام الاعداء . بل حينما يرى الشياطين ذلك في انسان ، يتحفزون اكثر لقتاله ، ويشتمون بسقوطه . اما الانسان القوى القلب فانه كالقلعة الحصينة التي لا تسقط سريعا . في هذه الحرب اقتن لك قلب اسد كما يقول ابونا القديس باخوميوس .

٣ - اياك والياس . بل ليمتلئ قلبك رجاء في الله واتكالا عليه ، وايمانا بقوته في هذه الحرب النجسة القاسية . باعد بينك وبين الياس ، وثق ان المعونة ستاتيك حتى لو بلغت الهزيع الرابع من ليل جهادك ، فالرب يقول « لانه على اكل فانجيح ، استره لانه عرف اسمى ، يدعونى فاستجيب له ، معه انا في الشدة انتذه وامجده . طول الايام اشبعه واربه خلاصى » (مز ٩١) . ويقول القديس مار افرام السريانى « على الجنة تجتمع النور ، وعلى النفس اللبائسة من ذاتها تجتمع الشياطين » .

٤ - يحدث احيانا ان الشباب المجاهد في هذه الحرب ، رغم اقتناعه فكريا اقتناعا تاما بخطا الافكار النجسة والتهادى فيها والتلذذ بها ، وخطا الاستسلام للشهوات الجنسية ، انه يشعر في داخله ببيل جارف نحو الخطية واتهامها . يتخذ عدو الخير من هذا الشعور مادة لاشاعة اليأس في نفس ذلك الاخ المجاهد . يقول له مثلا « اما وقد تنجست افكارك بهذه الصورة ، واصبحت ميولك على هذه الحال من النجاسة ، فهل من فائدة في جهادك » ؟! حتى في

هذه الحالة لا تياأس أيضا . أن هذا الميل هو ناموس الخطية الكائن في أعضائك ، الذى حدثنا عنه معلمنا بولس الرسول (روم ٧ : ٢٣) . لا تياأس يا أخانا ، بل « انتظر الرب . لينتدّد وليتشجع قلبك . وانتظر الرب » (مز ٢٧ : ١٤) . لا تشك في أن « الرب قريب » (في ٤ : ٥) . في بدء حياتك الروحية ، وفي بدء جهادك نحو حياة مقدسة ، لا تنتظر أن تجد نفسك بطبيعتها نافرة من الشر ، كارمة الخطية ، مشتمزة من الشهوة ... أن هذه كلها درجات روحية عالية تصل إليها بعد جهاد وتغصب في طريق الروح . ضع هذا في قلبك ، ألا تياأس حتى لو كنت في عمق الخطية ، وفي عمق اللذة الحسية التى يضادها عقلك المقتنع بخطاها . أننا نشدد على هذه النقطة لأنها من أسباب نصرتك . نشيبت في هذه الحرب أكثر ، بأسلحة الروح التى تحدث عنها الرسول : درع البر ، وترس الايمان ، وخوذة الخلاص ، وسيف الروح الذى هو كلمة الله (١ : ١٧) .

٥ - يحدث أحيانا أن الشيطان يتحليل لتنفيذ خطته لاسقاط المجاهد ، فلا يأتى اليه بشهوة ساقرة لئلا ينفر منها فتفسد خطته ، بل يمهّد لذلك — ربما طويلا . أنه بمكره وخداعه يلبس الشهوة ثوبا من ثياب الفضيلة حتى لايفتح أمره « ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور » (٢ كو ١١ : ١٤) . قد يلبسها ثوب المحبة أو الرحمة أو الفيرة على خلاص النفس . من أمثلة ذلك : شاب يتطوع لاعطاء درس خاص لفتاة قد تكون فقيرة ، أو غير فقيرة ، مدفوعا بحبه أو عطفه . وشاب ينشئ علاقة مع فتاة يشعر انها في جو خائق موبوء بالخطية ، ويهدف من وراء ذلك الى انتقاذها عن طريق تبصيرها . هذا ، وقد يكون الانسان صادقا في مشاعره من ناحية المحبة أو الرحمة أو الفيرة المقدسة . وقد يبدأ بهذه الدوافع المقدسة ، لكن يحدث انحراف في الطريق اما بسبب الضعف البشرى ، واما بسبب ابليس الذى وجد مادة للخطية يمكن استخدامها لاسقاط ذلك الانسان . على أى الحالات ، علينا أن نعمل الخير ، ولكن لنحترس لئلا يكون ذلك على حساب حياتنا الروحية . بل لنهرب من شبه الشر ، وكل مكان ابليس .

٦ - أعلم يا أخانا أنك لست الوحيد الذى نجاهد في ميدان الشهوة ، وتسير في طريق الفضيلة . يوجد لك زملاء كثيرون ، يصارعون ابليس ، ويقاومون حتى الدم مجاهدين ضد الخطية ، وقد جعلوا شعارهم « ولكننا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذى احبنا » (روم ٨ : ٣٧) .

٧ - أعدد ذاتك من الآن ، وقدم افكارك وأعضائك حتى تستحق أن تلبس الثياب البيض ، وتضرب بقبيلة الروح ، وترنم الترنيمة الجديدة أمام عرش النعمة ، فوق جبل صهيون السماوى ، مع المائة والأربعة والأربعين ألفا البتولين . تلك الترنيمة التى قال عنها الرأى ، انه لم يستطع احد أن يتعلمها الا « الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم أبكار . هؤلاء الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب » (رؤ ١٤ : ٤) .

صلوات

ايها الرب الهنا العظيم القدوس . الذى خلقت الانسان على غير فساد
وجعلته على صورتك ومثالك ، ليكون هيكلًا مقدسًا لك . هب لى نعمة بها
انتقى وانظهر لآكون مسكنًا لك . انزع منى كل ما لا يرضى صلاحك ، ولاش
وقدس وطهر ونى كل ما فى ياربى ، وانزع من قلبى كل الابداس ، طهر كل
حواسى ، واحفظ كل اعضئى . حصنى ضد مغريات العالم . انت الذى
خلقتنى ، وانت وحدك الذى تعلم ضعف طبعى . وانت ايضا الذى تعرف
الشروع الكثيرة المحيطة بى فى العالم . والمغرات التى معترض طريق حياتى .
اهلنى بنعمتك لحياه بلاؤها الطهارة والبر . الحزم كل شهواتى ، واعط هدوء
لجسدى . ايها الرب الهى الذى انتهرت الريح فصار هدوء عظيم . الا يارب
انتهر رياح الشهوات التى تؤذى سفينه حياتى . التجات اليك لما فشلت فى
السيطرة على سفينتى فى بحر العالم المضطرب بعواصف التجارب . ورياح
الشهوات العنيفة . التجات اليك لاستريح تحت ظلال كفك يا الهى ، واسكن
فى سترك ايها العلى . سامحنى فى كل معاصى وآثامى . لا تعاملنى حسب
كثرة ذنوبى وجهالات صباى ، بل انسها ولا تسلمنى الى ايدى اعدائى .
احرس حياتى طاهرة ، وليكن ذلك بمعنتك لا بقوتى . استجبنى يا الهى
بشفاعه جميع مصاف قديسيك الاطهار . ولك المجد الى الابد آمين .



الغضب

« ولو أقم الغضوب أمواتا ، فما هو مقبول
عند الله » .

(مار اسحق)

- + نوعان من الغضب
- + الغضب المقدس
- + الغضب الخاطئ من جهة سببه
- + الغضب الخاطئ من جهة طريقته ونتائجه
- + وجوب الإبطاء في الغضب
- + معاملة الغضوبين
- + بعض نصائح لمن يغضبون

① نَوَعَانُ مِنَ الْغَضَبِ

ليس كل غضب خطية . فهناك نوعان من الغضب ، أحدهما لازم ومقدس والآخر باطل وشرير . ويمكن التفريق بينهما بمعرفة سبب الغضب وطريقته وتطوراته . ولذلك لم يقل السيد المسيح « كل من يغضب على أخيه يكون مستوجب الحكم » وإنما « كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » .

هذا الغضب الباطل يكون الدافع اليه سببا شخصيا وليس سببا الهيا . كما قد تصحبه أخطاء منها عدم ضبط الأعصاب ، والإهانة والتجريح ، والسب واللعن ، وقد يمتد إلى العراك والضرب ، وإلى القتل أحيانا . من هذه الأخطاء وأمثالها حذر بولس الرسول بقوله « اغضبوا ولا تخطئوا » (أف ٤ : ٢٦) ، ومن أجلها أيضا قال يعقوب الرسول ان « غضب الإنسان لا يصنع بر الله » (يع ١ : ٢٠) .

هذا الغضب الشرير هو الذى قال عنه سليمان الحكيم « الحجر ثقيل والرمل ثقيل ، وغضب الجاهل أثقل منهما » (أم ٢٧ : ٣) معتبرا الغضب نوعا من الجهل أى عدم الحكمة . إنك قال أيضا « لا تسرع بروحك إلى الغضب ، لان الغضب يستقر في حضن الجهال » (جا ٧ : ٩) . وقال كذلك « تعقل الإنسان يبطئ غضبه » (أم ١٩ : ١١) .

② الغضب المقدس

أما الغضب المقدس فيكون الدافع اليه غيرة ظاهرة على اسم الله ومقادسه ووصاياه ، ورغبة صادقة في الدفاع عن الحق في غير ما غرض شخصي . ويعتبر عدم الغضب في أمثال هذه الحالات تقصيرا في واجب مقدس يدان عليه الإنسان لعدم شهادته للحق ، أو لاستهانته بأمور لا يصح السكوت عليها .

وليس أدل على لزوم الغضب المقدس من أن موسى الذى لم يكر يوجد له مثل في حلمه ووداعته ، الذى قال عنه الوحي الإلهي « وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عدد ١٢ : ٣) ، موسى هذا قال عنه الكتاب أيضا انه لما أبصر العجل الذهبى الذى صنعه بنو إسرائيل وسجدوا له « همى غضب موسى ، وطرح اللوحين من يديه وكسرها في أسفل الجبل . ثم أخذ المعدن الذى صنعوه وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار

ناعما وفراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل » (حر ٣٢ : ١٩ ، ٢٠) .
 وويخ هرون اخاه الاكبر حتى تظل هرون قائلا « لا يحم غضب سيسى .
 انت تعرف الشعب انه في شر ... » (خر ٣٢ : ٢٢) .

واليهو بن برخئيل ، الرجل الهادئ الذى جلس فى ادب صامتا طول مدة حديث ايوب واصحابه الثلاثة ، مبررا ذلك بقوله لهم « انا صغير الايام وانتم شيوخ ، لذلك خفت وخشيت ان ابدى لكم رأى . قلت الايام تتكلم وكثرة السنين تظهر حكمة » (اى ٣٢ : ٦ ، ٧) . اليهو هذا — « لما كف الرجال الثلاثة عن مجاوبة ايوب لكونه بارا فى عينى نفسه » — يقول عنه الكتاب اخيرا « فحمى غضب اليهو بن برخئيل . . على ايوب حمى غضبه ، لانه حسب نفسه امر من الله . وعلى اصحابه الثلاثة حمى غضبه لانهم لم يجدوا جوابا واستذنبوا ايوب » (اى ٣٢ : ١ — ٣) . وكان غضب اليهو مقدسا بدليل انه هو الوحيد بين اصحاب ايوب الذى لم يوجه له الله لوما (اى ٣٢ : ٧ ، ٩) ، وكان معتبرا فى حديثه ممثلا لكلام الله . . .

ونحميا ، لما وجد اليهود — اثناء بناء السور — يقرضون اخوتهم بالربا ويستذلونهم ، ولما سمع صراخ الشعب باذنيه ، يقول « فغضبت جدا حين سمعت صراخهم وهذا الكلام » . وهكذا وبخ العظماء والولاة على الربا واضطروهم ان يكونوا عنه ويرحموا الشعب (نح ٥ : ٦ ، ٧ ، ١٠) .

وبولس الرسول الذى دعانا كثيرا الى السلوك بوداعة (اف ٤ : ٢) ، لما كان سائرا فى اثينا يقول عنه الكتاب انه « احدثت روحه فيه اذ رأى المدينة مملوءة اصناما » (اع ١٧ : ١٦) . وكلم الناس حتى استهزأ به البعض قائلا « ترى ماذا يريد هذا المهذار ان يقول ! » .

ولماذا تضرب امثلة من الناس والسيد المسيح نفسه غضب على اليهود مرارا . ومن امثلة ذلك انهم لما راقبوه ليروا هل يشفى صاحب اليد اليابسة فى يوم السبت ، يقول الكتاب ، « فنظر حوله اليهم بغضب حزينا على غلاظة قلوبهم » (مر ٣ : ٥) . ولما دخل الهيكل ووجد فيه الساعة « تلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام ولم يدع احدا يجتاز الهيكل بمتاع » (مر ١١ : ١٥ ، ١٦) . وويخهم بقوله « مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوف » .

كل هذه انواع وصور من الغضب المقدس الخالى من الغرض الشخصى ، وامثالها فى الكتاب المقدس كثيرة .

من جهة سببه

✽ قد يكون الدافع الى الغضب هو في حد ذاته خطية . وحوادث الكتاب المقدس تثبت ذلك ، ونعطينا امثلة لهذا النوع من الغضب الشرير .

✽ قد يغضب البعض عن حسد . ومثال ذلك غضب اليهود على السيد المسيح عندما سمعوا الاطفال يهتفون له في الهيكل . اذ يقول الكتاب « فلما رأى رؤساء الكهنة والكهنة العجائب التي صنع والاولاد يصرخون له في الهيكل ويقولون اوصنا لابن داود ، غضبوا وقالوا له اسمع ما يقول » (متى ٢١: ١٥) . ولم يكن غضبهم طمعا عن غيرة مقدسة لسماع صوت صراح الاطفال في الهيكل ، لانهم في نفس الوقت تناقضوا عن ضجيج الباعة في الهيكل ، وتركوا الناس يشتررون ويبيعون فيه ، كما تركوا فيه موائد الصيارغة واقفاص الحمام دون ان تحرك غيرتهم على كرامة بيت الله ، وانما كان الامر مجرد حسد .

✽ وقد يكون من امثلة هذه الغيرة او الحسد ، ما فعله الابن الاكبر (في مثل الابن الضال) من انه « غضب ولم يرد ان يدخل » لما رأى وسمع الاحتفاء بمجيء اخيه الضال . ويظهر الحسد في قوله لاسه « ... وجديا لم تعطيني قط لانرح مع اصدقائي . ولكن لما جاء انك هذا الذي اكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن » (لو ١٥ : ٢٥ - ٣٠) .

✽ وقد تكون المنافسة هي الدافع الى الغضب في حالة نجاح المنافس الآخر ، ومن امثلة ذلك غضب عيسو على يعقوب اخيه الذي تمقبه مرتين واخذ منه البكورية .

✽ وقد يكون سبب الغضب هو خوف على ضياع ربح مادي ، حتى لو كان سبب ضياعه هو منفعة روحية . ومن امثله غضب ديمتريوس الصائغ وسائر الصنائع على بولس الرسول خوفا من ان تؤدي محاربته لعبادة الاصنام الى ضياع رزقهم من تلك الصناعة . فانهم « لما سمعوا امتلأوا غضبا ، وطفقوا يصرخون قائلين عظيمة هي اراطاميس الالهة » (اع ١٩ : ٢١) . ولم تكن تدفعهم غيرة دينية على عبادتهم الوثنية ، وانما قول ديمتريوس لهم « ايها الرجال ، انتم تعلمون ان سمعنا هي من هذه الصناعة ... » .

✽ وقد يغضب احدهم على آخر لانه لم ينفذ له رغبة شريرة . ومثال ذلك غضب بالاق على بلعام لانه لم يتنبأ له بالسوء على سنى اسرائيل ولم يشأ ان يلعنهم له . وفي ذلك يقول الكتاب « فاشتعل غضب بالاق على بلعام وصفق ببديه . وقال بالاق لبلعام : لتشتتم أعدائي دعوتك ، وهو ذا انت تهد باركتهم الآن ثلاث دفعات ... » (عدد ٢٤ : ١٠) .

✽ وقد يفضب البعض بسبب عدم احتماله ان ييكنه آخر على خطياه ،

مثل غضب اليهود على السيد المسيح عندما ذكرهم بأشخاص أميين فاتوهم في الصلاة بالله . فلما قال لهم ان « أرامل كثيرات كن في اسرائيل في أيام ايليا . » ولم يرسل ايليا الى واحدة منهم الا الى امرأة أرملة الى صرفة صيداء . وبرص كثيرين كانوا في اسرائيل في زمان اليشع النبي ولم يظهر واحد منهم الا نعمان السرياني » ، « أمثلا غضبا جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا » (لو ٢٤ : ٢٥ - ٢٨) .

٤ الغضب الحامى

من جهة طريقته ونتائجه

قد يفضب انسان فيفقد ابيه ، او يفقد وداعته ، او يفقد اعصابه ...

وقد يفضب انسان فتتحرك يده او ينساب لسانه في غير ما ضابط . قد يفضب انسان فيروعك منظره ، عينان تتدحان شررا ، حاجبان معتودان ، شفتان مزمومتان او صوت متهدج عال . وقد تنظر اليه فتجده ينتفض او يرتعش وقد غلى الدم في عروقه . ومثل هذا اللون من الغضب كثيرا ما تنتج عنه امراض جسدية متعددة ..

كل هذه مظاهر لغضب غير سليم فقد فيه الانسان السيطرة على اعصابه . واما في الداخل فقد يكون ما هو اثر من هذا : تساوة ، مرارة ، غيظ ، حقد ، رغبة في الانتقام ، كراهية ، شر ... وقد بطنح بعض هذا على اللسان فتخرج منه ادانة للآخرين وشتمية وتشهير - مع تبرير للذات .. وقد يتطور الى العراك والى القتل او الى الرغبة في ذلك . او ينتهى الغضب بخصومة او عداوة او قطيعة ، او يؤدي الى عقدة نفسية تتركز في اعماق الانسان بحيث لا يكون مستعدا في المستقبل للتفاهم مع الشخص الذى كان السبب في غضبه . وقد يكون من مظاهر هذه العقدة سوء الظن في تصرفات هذا الشخص جميعها حتى البرىء النافع ، وعدم احتمال النفس لسماع مديح عنه في أى أمر مما كان في موضعه ... !

هذه كلها دلائل على ان هذا الغضب « لم يصنع بر الله » تعارضه مع

فضائل أساسية . ولهذا نصحنا سولس ارسلول بقوله « ليرمع بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتحديف مع كل خُبث . وكونوا لطفاء لبعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين » (١ أف ٣١ ، ٣٢) . واعتبر ان اللطف والوداعة وطول الأناة والسلام من ثمار الروح القدس (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . ودعانا الى هذه الفضائل بقوله « فالتسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين

أحشاء رافات ولطفا وتواضعا ووداعة وطول أناة ، محتلين بعضهم بعضا
ومسامحين بعضهم بعضا » (كو ٣ : ١٢ ، ١٣) .

ومن أمثلة الغضب الشرير ما فعله اليهود مع الرب لما بكثهم على خطاياهم ، اد يقول الكتاب « ماملا غضبا جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا . فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به الى حامة الجبل الذي كانت مدينهم مبنية عليه حتى يطرحوه الى أسفل » (لو ٤ : ٢٨ ، ٢٩) . ومن أمثلته ما فعله شمعون ولاوى اللذان تال عنهما أبوهما يعقوب « في مجلسهما لا تدخل نفسي . . لانهما في غضبهما قتلنا انسانا » . ولذلك لعن غضبهما بقوله « ملعون غضبهما مانه شديد وسخطهما فانه قاس » (تك ٤٩ : ٦ ، ٧) . وهذه النسوة في الغضب هي التي عصفت بعبسوا حتى عزم على قتل أخيه (تك ٢٧ : ١٤) .

٥ وجوب الإبطاء في الغضب

كثيرا ما يكون الغضب وليد التسرع والانفعال . بينما لو ثروى الانسان وفكر جيدا قبل أن يثور ثورته ، لاسطاع أن يصرف الامر بحكمة أو يوجد له تغيلا ، أو على الأقل يهدي نفسه ويضبط أعصابه ويغضب في هدوء دون أن يخطئ .

ولذلك نصحنا يعقوب الرسول بقوله « ليكن كل انسان مبطنا في التكلم **مبطنا في الغضب** » (يع ١ : ١٩) . وقال سليمان الحكيم « عقل الانسان ببطيء غضبه » (أم ١٩ : ١١) . وقال أيضا « بطيء الغضب كثير الفهم ، وتصير الروح معلى الحق » (أم ١٤ : ٢٩) . والله تبارك اسمه وصف هو أيضا بأنه بطيء الغضب (خر ٣٤ : ٦ ويوثيل ٢ : ١٣) .

لذلك اهرب من غضبك . وفكر كثيرا قبل أن تغضب . ضع نفسك في موقف المفضوب عليه محاولا أن تعرف بما يجب وبماذا يعتذر . . .

٦ معاملة الغضوبين

قال سليمان الحكيم « لا تستصحب غضوبا ، ومع رجل ساخط لا تجيء » (أم ٢٢ : ٢٤) . وغير ذلك في موضع آخر بقوله « الرجل الغضوب يهيج الخصام ، والرجل السخوط كثير المعاصي » (أم ٢٩ : ٢٢) لذلك لا تعرض نفسك لتحربة لا تحتملها . أبعد عن مصابة الغضوبين وعن الاختلاط بهم **تلا تفقد سلامك الداخلي ،** أو لتلا تفقد سلامك معهم . وإن الفت بك الظروف الى شخص غض ، ، محاول أن تنفلت منه بسرعة ، أو تغير موضوع

الحديث الذى سبب غضبه . ان تحدثت مع انسان فى موضوع ما وثار ، فلا تكمل معه هذا الموضوع ولا تحاول ان تخرج فيه بنتيجة . اعرف ان محدثك غير مستعد له فى ذلك الحين ، فانركه الى فرصة اخرى يكون هادئا فيها واكثر استعدادا .

لا تقف فى وجه الغضوب عند ثورة غضبه . وانما اذكر حكمة رغبة التى عندما رأت غضب عيسو على اخيه يعقوب قالت ليعقوب « اهرب الى اخي لابان الى حاران . واتم عنده اياما قليلة حتى يبرد سخط اخيك عنك وينسى ما صنعت به » (تك ٢٧ : ٤٥) . واذكر قول الوحي الالهى فى سفر اشعيا « هلم يا شعبى ادخل الى مخادعك واغلق ابوابك خلفك . اختبئ لحيلة حتى يعبر الغضب » (اش ٢٦ : ٢٠) . اما اذا لم تستطع الهروب فاقمل الآتى :

*** فكر فى ان هذا الشخص النائر قد تكون له ظروف داخلية متعبة من نواح صحية او اجتماعية او مالية او علمية ...** وان هذه الظروف ضغطت عليه واوجدت ضيقا فى نفسيته . ومن واجبك الا تزيد احواله ثقلا ، وانما عليك ان تحتمله وتعزیه وتخفف عنه . ربما يكون هذا الشخص فى حاجة الى علاج والى خدمة روحية منك . وربما يكون الله هو الذى دفعه الى طريقك وكشف لك غضبه ، لتهتم به بطول روحك وسعة صدرك ووفرة محبتك .

*** تذكر ان هذا الغاضب هو أخ لك . لا تحسبه عدوا ،** وانما احسبه فريسة لعدو مشترك لكليكما .

*** فكر فى نفسك وراجعها .** ربما تكون انت هو المخطئ وقد اثرته بأقوالك او بتصرفاتك او بماض لك معه لم يسترح له . فان وجدت شيئا من هذا — وقد تجد — حينئذ توجه باللوم الى نفسك ، واعتذر له وطيب خاطره .

*** تذكر قول القيسين ان « النار لا تطفئها النار ، وانما يطفئها الماء . وكذلك الغضب لا يطفئه الغضب وانما المحبة وطول الروح » .** واذكر قول سليمان الحكيم « الجواب اللين يصرّف الغضب ... » (ام ١٥ : ١) وقوله « اللسان اللين يكسر العظم » (ام ٢٥ : ١٥) . ولا تنتقم مطلقا لنفسك ، فقد قال بولس الرسول « لا تنتقموا لانفسكم ايها الاحياء ... بل اعطوا مكانا للغضب » (ر ١٢ : ١٩) . تكلم برفق وهدوء وطيبة قلب مع العضوبين ، وليكن وجهك مائلا ليس فيه اثر للفظ . بل ان سليمان الحكيم يرتفع بنسب درجة اعلى فيقول « الهدية فى الخفاء تغنى العضب » (ام ٢١ : ١٤) .

*** لا تحسب للغضوب تصرفاته اثناء غضبه او ما يتفوه به وقتذاك من الفاظ ،** ولا تدع شيئا من ذلك يرك اثرا فى نفسك . فانه فى حالة غير طبيعية . تاكد انه سيندم — من تلقاء ذاته — على تصرفاته عندما يهدأ . وفى حديثك معه اثناء غضبه تجاهل اخطائه ، كأنها لم تصدر اطلاقا ...

٧. بعض نصائح لمن يغضبون

❖ ليس مصدر الغضب دائما هو افعال الآخرين الخاطئة واناراتهم ، بل نقطة ضعف فينا فقد لا تكون افعال الآخرين أو تصرفاتهم تدعو الى الغضب ومع ذلك يغضب . ان نقطة المداد (الحبر) تلون الماء في غنجان صغير ، لكنها لا تفعل نحو ذلك في مسطح كبير من الماء . وهكذا التصرف الذي يثير شخصا غضوبا ، قد لا يسبب اثارة أو انفعالا لانسان وديع . فحينئذ تغضب يا اخانا لا تلتمس العذر لذاتك ، وتأتى باللائمة على الآخرين ، بل لم نفسك واتبها ، وجاهد ضد خطية الغضب . . .

نقد ذكر عن أب راهب كان ساكنا في دير ، مداوما على الصمت ، لكنه كان يعصب في بعض الاحيان اثناء صلاته ببعض الاخوة . فقال في نفسه « امسى واسكن وحدى في قلاية ، وحيث انه لن يكون هناك أحد ساكنا معى فسوف اهدأ ويخف عنى وجع الغضب » . فخرج وسكن وحده في مغارة . وفي احد الايام ملا (القلة) ماء ووضعها على الارض ، ولوقتها تدرجت واسكب ما فيها . فأخذها وملاها مرة ثانية ووضعها ، فانسكبت كذلك ، وهكذا مرة ثالثة . فغضب وأمسكها وضربها على الارض فتحطمت . فلما هدأ رجع الى داته وعلم ان الشياطين قد سخروا منه . فقال لنفسه « هو ذا قد انغلبت وانا في الوحدة كذلك . فلأذهب الى — الدير لانه في كل موضع يحتاج الانسان الى جهاد وصبر ومعونة من الله » .

■ هناك نصيحة وقائية نذكرها أولا وهى : تعود اللطف وطول الاناة والوداعة والهدوء والاحتفال والمحبة ، ودرب نفسك كثيرا لاكتساب هذه الفضائل التى تبعد الغضب . ردد كثيرا الصلاة التى علمنا الكنيسة تلاوتها كل صباح وهى قول بولس الرسول « اطلب اليكم انا الاسير في الرب ان تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم اليها بكل تواضع القلب والوداعة وطول الاناة، محبتين بعضكم بعضا بالمحبة، مسرعين الى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل . . » (أف ٤ : ١ — ٤) . وبالاخص ردها في فكرك في الاوقات التى تتعرض فيها لمواقف الغضب .

ادرس الاسباب التى تثير غضبك ، وحاول ان تعالجها ، او ان تبعد عنها وتتجنبها . وكذلك اعرف مع من الناس تكون اكثر استعدادا للغضب ، وحاول ان تصفى قلبك من جهة هؤلاء وتصلح علاقتك بهم ، او على الاقل كن اكثر حذرا في ملاقاتهم ومعاملتهم متجنباً ما يثيرك أو يثيرهم .

■ ان كان سبب غضبك هو ارهاق أعصابك أو تعبك او اى سبب جسدى آخر ، فاعمل على معالجة نفسك ، او حاول عدم تعريض نفسك لمثيرات في اوقات تعبك وارهاقك وضيقك ، والا فما ذنب الآخرين والسبب هو فيك من داخل ؟!

■ لا تفرض للناس مثلا عليا ربما تكون اعلى من مستوياتهم وتعاملهم بحسبها ، فان اخطاوا غضبت وثرث ، ولا تعمل على ان تفسر كل الامور حسب هواك وتفكيرك ووفق مبادئ الخاصة . فالحال ان يختلفون في نفسياتهم وعقلياتهم وروحياتهم ونظرتهم للامور . لذلك لا تحزن ان يخالفك أحد في الرأي وتحمس لنقطة تراها أنت خاطئة ، او اذا تصرف تصرفا لا يعجبك . ليس الجميع يا أخى صورة منك ، ولن يمكنك ان تجعلهم جميعا على واد وان تصورت ذلك ممكنا ، فهو لن يكون ممكنا بغضبك وثورتك .

■ وان كانت أخطاء الناس هي سبب غضبك ، فحذر من أن تقيس نفسك رفيا على اعمال الناس ، ودرب نفسك على عدم التدخل في ما لا يعينك لانك لو تعقبت أخطاء كل من يصادفك من الناس وصهبت جام غضبك عليها ، لفقدت اعصابك وسلامك قبل أن تصلح أحدا . ولتخلصت في كل ناحية ما يؤذيك وما يثيرك . وانما اهتم بما يدخل في نطاقك وحيك وما تكون أنت المسئول عنه امام الله والناس . وهذا ايضا اصلحه « بداعة الحكمة » كما يقول الرسول (يع ٣ : ١٣) وذلك لان « الحكمة التي يتفوق هي اولا طاهرة ثم مسالة بمنفعة مذنة مملوءة رحمة ... » (يع ٣ : ١٧)

■ ان غضبت فلا تترك غضبك يستمر طويلا ، وانما حاول ان تصرفه وتهديء نفسك بسرعة . تذكر قول الرسول « لا تغري الشيطان على غيبتكم » (اف ٤ : ٢٦) .

■ أرصد أو تذكر أخطائك التي تقع فيها أثناء غضبك ، ودرب نفسك على تركها . اشكر الله على أن هذا الغضب قد كشف لك ناقصا مختلفة داخلك ، وابدا بمعالجتها ، مستفيدا من كل مرة نحتد فيها وتغضب .

■ اعترف لله في كل صلاة أنك غضوب ، واسأله ان يرفع عنك هذا المرض ويعطيك روح وداعة . اطلب هذا بلجاجة ، وتأكد أنك يستناله ، لان الله نفسه يريد لك .



أدب الحديث « والصمت »

« بكلامك تتبرر ، وبكلامك
تدان » (متى ١٢ : ٣٧)

■ الكلام الجيد والردىء

■ بعض ارشادات وآداب للحديث

■ بعض آداب المناقشة

■ الصمت

اللسان وفطوره

موهبة النطق

عرف الفلاسفة الاقدمون الانسان بأنه « حيوان ناطق » ، وذلك لان النطق هو من اهم السمات التي تميز الانسان « تاح الخليفة » . وعلى هذا ، فاننا ننظر الى النطق على انه موهبة عظيمة خص الله الانسان بها ، كتقول القديس غريغوريوس النبلوغوس في قداسه القائل المجيب « اعطيني موهبة النطق » .

حقا ما اسمى هذه الموهبة التي وهبنا الله اياها ! فهي وسيلة التفاهم والتعاون بين البشر . وهي وسيلة الصلاة والترنيل والتسبيح . هي وسيلة التعليم والوعظ والارشاد ، وهي وسيلة التقويم والتهديب . هي وسيلة تعزية المتألمين والمتصليين ، وهي وسيلة الدفاع عن الحق (١ بط ٣ : ١٥) ، والحماية عن المساكين والمظلومين (ام ٣١ : ٨ ، ٩) . هي وسيلة التسلية والمزاء بين الاحياء . بل هي وسيلة الربط وتمكين الحب . ورسالتها تتعدى هذه الحياة الدنيا ، الى الحياة العتيدة ، حينما نشارك غير المرئيين تسبيحهم ، وتخلط اصواتنا باصواتهم نبارك الحائس على العرش الحى الى ابد الابد .

العضو الصغير

واللسان هو عضو الجسم الصغير ، الذي خلقه الله ليؤدي وظيفته حيوية . ويتعاون مع باقي الاعضاء على النشاط واداء وظائف الحياة . وله وظيفتان : تذوق الطعام ، والتعاون مع الشعيتين وبقية أعضاء الصوت على التعبير الكلامي . ونحن نتكلم عن خطايا اللسان نقصد الكلام الذي يصدر من الانسان . ويعتبر خطيئة

واخطاء اللسان ليست خاصة به ، بل هي اخطاء عقله وطبيعته الداخلية . وما اللسان الا الآلة التي يوقع عليها الانسان انكاره ومشاعره ، مثلها يوقع الموسيقى انكاره من الله . اللسان اذن آلة توقيع او تعبير . ولكنها اهم بكثير من اليد والرجل . فليس يستعملان كذلك للتعبير عما لدى الانسان من افكار .

وتنسب اخطاء اللسان اليه من قبيل نسبة الشيء الى فاعله ، وان كانت

في الواثق اخطاء القتل أو القتل . غلو كان المرء طاهرا ، نطق لسانه بكلمات طاهرة ، وحين يكون القلب فاسدا ينطق اللسان بالفساد .

العضو الخطير :

(١) سلاح ذو حدين :

اللسان عضو صغير ، لكنه نار تحرق!! انه سلاح ذو حدين . فكما رأينا وسيلة مقدسة نافعة ، فهو يمكن ان يكون ايضا وسيلة لارتكاب خطايا ورذائل شنيعة ، بسببها يأتي غضب الله على أبناء المصيبة . قال القديس يوحنا الدرجي « سكوت المسيح تعجب منه بيسلاطس ، وكلمة قالها بطرس بكى لأجلها بكاء مرا » .

وتبدو خطورة هذا العضو المختفى في أفواهنا ، اذا عرفنا انه سلاح ذو حدين ، يستخدمه الناس في الخير والشر ، « به نبارك الله الآب ، وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله . من النعم الواحد تخرج بركة ولعنة » (يع ٣ : ٩ ، ١٠) . وقد أفاض الحكماء في ذكر هذه الحقيقة . محذرين البشر منها . قال سليمان الحكيم « الموت والحياة في يد اللسان » (ام ١٨ : ٧١) . وقال ايضا « هدوء اللسان شجرة حياة . وأمواجه سحق الروح » (١٥١ : ٤) . وقال الحكيم يشوع بن سيراخ « الشرف والهوان كلاهما في الكلام ، ولسان الإنسان سقوط له » (سي ٥ : ١٣) . وقال ايضا « ان نفخت في الشرارة تضرم ، وان بصقت عليها تطفأ . وكلاهما يفرجان من فمك ! » (سي ٢٨ : ١٢) .

الم تكن الكلمات القليلة التي صلى بها العشار الخاطيء سببا في تبوله ورجوعه الى بيته مبررا ، بعكس الفريسي الذي بكلماته التي انطوت على الكبرياء رذل ورفض (لو ١٨ : ١٠ — ١٤) . والم تكن كلمات العبد الشرير التي قالها لسيده « كنت أخاف منك اذ انت انسان صارم تأخذ ما لم تضع وتحصد ما لم تزرع » ، سببا في اداقته ، فكان جواب سيده « من فمك ادينك أيها العبد الشرير » (لو ١٩ : ٢١ ، ٢٢) ؟ والم تكن كلمات المرأة الكنعانية الوثنية سببا في تحن السيد الرب وشغاف ابنتها ، حتى بعد الكلمات التي فاه بها أولا (مت ١٥ : ٢٢ — ٢٨) ؟ وأخيرا ألم تكن كلمات قليلة قالها اللص النمين وهو معلق على الصليب سببا في خلاصه الابدي بعكس زميله الذي كان مصلوبا معه وكان يجدف ؟ !

وفي تاريخ بني اسرائيل ، نقرأ ان رجال جلعاد حاربوا رجال افرايم وهزموهم وسدوا عليهم مداخل الاردن . فكان اذا اراد أحد العبور ، يسأله رجال جلعاد ، هل هو افرايمي أم لا . فان أجاب بالنفي ، كانوا يطلبون اليه

ان ينطق كلمة « شبولت » فان نطقها « سبولت » ، كانوا يكتشفون أنه افرامى ، فيذبحونه على مخاوض الأردن . وهكذا سقط اثنان واربعون الفا (قس ١ : ٤ - ٦) . فاذا كان حرب واحد سببا في هلاك ذلك العدد الضخم ، افلا يجدر بما أن نضبط السنننا ، ونتحفظ على انواها ؟ ان كلمة واحدة يقولها الانسان ، ربما كانت علة نكته وشقاقه وموته . كم من مرة اجتمع اليهود على السيد المسيح « ليصطادوه بكلمة » (مت ٢٢ : ١٥ ، مر ١٢ : ١٣) ! ونحن ايضا كثيرا ما تجتمع علينا الشياطين ليصطادونا من السنننا وكلماتنا ، نعلينا أن نضبط شفاهنا ونتحفظ عليها .

(٢) منذ القديم هو خطر :

وحينما نستعرض حياة الانسان منذ خلقه ، نجده سقط من لسانه ، واسباء استخدامه . فالحية كلمت حواء واغوتها ، وهذه بدورها اغوت رجلها (تك ٣ : ١ - ٦) . وحينما كلم الرب آدم في الجنة عن مخالفته ، كان رده ملتويا للتخلص من وزره . وقاين كذب على الرب بعد أن قتل اخاه هابيل لاختفاء جريمته (تك ٤ : ٩) .

كان البشر حتى انتهاء الطوفان يتكلمون لغة واحدة ، لكنهم في اصرارهم على الشر اتفقوا على بناء برج عال « رأسه بالسماء » حتى لا يفنيهم طوفان آخر . فكانت النتيجة أن الرب بلبل لسانهم الواحد ، فصاروا يتكلمون لهجات مختلفة (تك ١١ : ١ - ٩) . وهكذا نرى أن اخطارا كثيرة تاتينا عن طريق اخطاء اللسان ، وليس ادل على ذلك من قول الرب نفسه « لانك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » (مت ١٢ : ٣٧) .

٣ — وصف يعقوب الرسول وآخرين لخطورته :

قد يستهين البعض بما يصدر عن اللسان من اخطاء . لكن لنستمع جيدا الى كلمات يعقوب الرسول وهو يصف اللسان « هكذا اللسان أيضا هو عضو صغير ويمتحر بمعظمها . هوذا نار قليلة اى وتود تحرق . فاللسان نار . عالم الاتم هكذا جعل في اعضائنا اللسان الذى ينفس الجسم كله » ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم ، لان كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يذل ، وقد تذل للطبع البشرى . واما اللسان فلا يستطيع احد من الناس أن يظله . هو شر لا يضبط مملوء سمما مميتا » (يع ٣ : ٥ - ٨) . بل أكثر من هذا أن الرسول يبين بطلان عبادتنا بدون ضبط اللسان فيقول « ان كان احد نيك يظن أنه دين ، وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه ، فديانة هذا باطلة » (يع ١ : ٢٦) . ثم يتوج هذا الرسول اقواله السابقة بقول يبين فيه أن ضبط اللسان مقياس للكمال في حياة الانسان « في أشياء كثيرة نعر جبيعنا . ان كان احد لا يعثر في الكلام ، فذاك رجل كامل . قادر أن يلجم كل الجسد » (يع ١ : ١٣ ، ٢) .

قال يشوع بن سيراخ « جرح السوط يخدش الجسد اما جرح اللسان يبدق العظام . كثيرون سقطوا من فم السيف ، ولكن ليس كالمقتولين باللسان » (سى ٢٨ : ١٧ ، ١٨) . وقال ايضا « زلقة على البلاط خير من زلقة اللسان . هكذا سقوط الاشرار سريعا » (سى ٢٠ : ١٨) . وقال القديس يوحنا الدرجى فى نفس المعنى « اخير للانسان ان يسقط من مكان عال على الارض ، ولا يسقط من لسانه » . وقال أحد الشعراء :

احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغفك انه ثعبان
كم فى المتابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

٤ — كشفه لسرائر القلب :

وتأتى اهمية ذلك العضو الصغير وخطورته ، من ان ما يخرج من عبارات وكلمات تصلح حكما على امور داخلية فى حياة الانسان ، كصلاحه او فساده ، حكمته او حماقته ، علمه او جهله ... ولا عجب فى ذلك فهو ترجمان صادق الى حد بعيد ، عن طوية الانسان وسريته ، كما علمنا الرب « من فضلة القلب يتكلم الفم . الانسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات . والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور » (مت ١٢ : ٣٤) . ان المعادن — نوعها وجودتها وثقاوتها — تعرف من صوترنينها ان طرقتا عليها ، هكذا الكلام يدل على حقيقة نفوسنا . ان الكلمات هى ثمر الشفاء كما يدعوها الرسول (عب ١٣ : ١٥) . والشجرة تعرف من ثمارها « من ثمارهم تعرفونهم » (مت ٧ : ١٦) . هكذا تكشف كلماتنا عن شخصياتنا وخصالنا . وحينما انكر بطرس التلبيذ صلته بيسوع معلمه ، فى دار قيافا ليلة الآم المخلص قالوا له وهو يحاول انكار هذه الصلة « حقا انت ايضا منهم ، فان لعنك تظهرك » (مت ٢٦ : ٧٣) . قال القديس يوحنا الدرجى « اغلق باب المخدع على الجسد ، وباب الفم على اللسان ، وباب القلب دون الشهوات والامكار الكثيرة » .



الكلام الجيد والردى

الاستخدام الصالح للسان :

الله الذى خلق الانسان على صورته كشبهه ، لم يخلق فيه اللسان للاستعمالات الشريرة ، وهو الذى « رأى كل ما عمله فاذا هو حسن جدا » . لابد وأن يكون قد أوجد فيه عضو الكلام لاستخدامه فى كل ما هو صالح . وهو لا شك يكون مصدر خير وبركة كبيرة لنا ، ان نحن استخدمناه استخداما صالحا . يقول الحكيم « ثم الصديق ينبوع حياة » (ام ١٠ : ١١) . ما أجمل هذا التعبير « ينبوع حياة » . لقد خلق الله اللسان فينا ليكون « ينبوع حياة » ، لكن ما هى هذه الحياة التى تكلم عنها الحكيم ، وقال انها تنبع من اللسان ؟ ليست هى الكلمات الصالحة التى تخرج منه ، والاستخدامات المقدسة له ؟ ألم يقل الرب يسوع « الكلام الذى اكلكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) ؟ وحينما تتكلم بكلمات الله التى هى « روح وحياة » ألا تكون خارجة من الفم الذى هو « ينبوع حياة » ؟ وعلى عكس ذلك « فم الجبال ينبع حماتة » (ام ١٥ : ٢) . انه على أى حال « ينبوع » ، أما أن ينبع حياة أو ينبع حماتة .

فلنا ان اللسان سيف ذو حدين ، وعلينا أن نحترس جيدا ونحن نستعمله لئلا يكون وسيلة لفسادنا وهلاكنا . من أجل ذلك تحفظ القديسون على السنتهم وضبطوها بتدريبات صارمة ، تدعو الى كثير من الدهشة والاعجاب ، متممين قول داود النبى « قلت انحسار لسبيلي من الخطا بلسانى » (مز ١٠٣٩) . ونظروا الى اللسان نظرة ملؤها التقديس والاعتبار ، حتى أن داود النبى قال « يارب من يسكن فى مسكنك ، أو من يحل فى جبل قدسك إلا السالك بلا عيب الفاعل البر ، المتكلم بالحق فى قلبه ، الذى لا يفشى بلسانه » (مز ١٠١٥ : ١-٣) .

/ انه أمر يدعو الى كثير من الدهشة ، ان نرى انسانا يصلى ويمبارك الله ويسبحه بفمه ، وبهذا الفم عينه يلعن الناس ويسبهم وينطق بكل ما هو قبيح بذيء ! والرسول يعقوب نفسه يتعجب من ذلك متسائلا « ألع ينبوعا ينبع من نفس عيب واحدة العذب والمر ! هل تقدر ما اخوتى تينة أن تصنع زيتونا أو كرمه تينا ؟ ولا كذلك ينبوع يصنع ماء مالحا وعذبا » (يع ٣ : ١١ ، ١٢) . ورب المجد نفسه يقول « اجعلوا الشجرة جدة وثمرها جيذا ، أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها رديا . لان من الثمر تعرف الشجرة . يا أولاد الانعام

كيف تقدر أن تتكلموا بالمصالحات وأنتم أشرار ؟! » (مت ١٢ : ٢٣ - ٢٤) .
 وفضلا عن ذلك ، فإن الله يؤيد ذلك بما قاله المرتل « وللشهير قال الله ، ملك
 تحدث بفرائضى ، وتحمل مهدي على عنك » (مز ٥٠ : ١٦) .

إن المسيح باعتباره نورا للعالم ، وقوة للآخرين ، عليه أن يكون نموذجا
 للاستخدام الصالح للسان . قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس « كن قدوة
 للمؤمنين في الكلام » (١تى ١٢ : ٤) ، وقال « ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحا
 بملح ، لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد » (كو ٤ : ٦) . كما قال أيضا
 « لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم ، بل كل ما كان صالحا للبنيان » (اف ٤ : ٢٩) .

إن نساخ اليهود الذين كانوا ينسخون الاسفار المقدسة ، كانوا يخصصون
 تلمبا خاصا لاسم الجلالة « الله » ، لا يكتبون به أية كلمة أخرى . أفلا يليق بكل
 مؤمن يصلى بلسانه ، وبه يقرأ الكتب المقدسة ، بل ويأكل جسد الرب ودمه
 أن يخصصه لله ؟! ما أحرانا جميعا أن نقسبه بمعلمنا الصالح الذى لما كان
 يتكلم ويسمعه الناس « كانوا يتمجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه »
 (لو ٤ : ٢٢) .

الكلام الجيد

الكلام الجيد هو الكلام الذى يأتى عن طريق الله . آمن القديسون بهذه
 الفكرة ، ولذا قال داود النبی « يارب افتح شفتى فيخبر فمى بتسبيحك »
 (مز ٥١ : ١٥) . كانوا لا يفتحون أفواههم من تلقاء أنفسهم ، وإنما كانوا
 ينطقون عندما يحسون بيد الله تفتح شفاههم ليقولوا شيئا نافعا ، وبأنها قد
 وضعت كلاما في أفواههم (انظر ار ٢٣ : ٢٨ ، مز ٦٨ : ١١ ، يو ١٧ : ٨) .

لكن ما هو الكلام الجيد ؟

لا نقصد بالكلام الجيد ، الكلام من الالهيات والروحيات عامة ، وإن كان
 هذا النوع يأتى ولا شك — فى المرتبة الاولى بالنسبة للكلام الجيد . لكنه
 يشمل أيضا كل أنواع الكلام النافع المفيد ، الذى يبنى الروح أو الفكر أو يؤدى
 رسالة فى حياتنا الجسدية .

والكلام الجيد بصفة عامة يؤدى رسالة بنائية فى الحياة . فهو يكسب
 مساهمه فوائد كثيرة ، تزداد به معارفه ، وتقوى ملكاته الفكرية ، ويضيف الى
 حصيلته الفكرية جديدا كل يوم .

اما من الناحية الروحية ، فله رسالته السامية سواء في حياتنا الخاصة أو العامة . يقول الحكيم « الانسان يُشبع خيرا من ثمر فمه » (ام ١٢ : ١٤) . ويقول الرسول « فلنقدم به في كل حين لله فبيحة التسبيح ، أى ثمرة شفاهم ممتلئة باسمه » (عب ١٣ : ١٥) . ان للفم ثمرا طيبة نجنيها في حينها ، وهى ليست سوى ثمار الكلام الجيد .

١ — **من جهة علاقتنا بالله** ، نعبر بالكلام عن مشاعر حبنا القلبي له : نسبحه ونحمده ونطلب معونته ، ونصرخ اليه في الشدائد والضيقات ، نسمع لنا ويستجيب لطلباتنا . ان الذى يعرف كيف يكلم الله حسنا ، ينال كل طلباته

٢ — **من جهة علاقتنا الاجتماعية بعضنا ببعض** ، يعمل على تقوية الرابطة بين الناس ، ويؤلف بين قلوبهم ، سواء باظهار مشاعر الحب عن طريق الكلام ، أو بازالة الكراهية التى قد تحدث ، ومحو آثارها ، عن طريق الاعتراف بأخطائنا والاعتذار عنها لمن أخطأنا اليهم . وبالكلام الجيد نمنع اخوتنا ونبنى حياتهم عن طريق وعظهم وتعليمهم وارشادهم وهدايتهم «شفنا الصديق تهديان كثيرين» (ام ١٠ : ٢١) . وبه نعبر عن الحق وندافع عنه . قال المرتل « فم الصديق يلهج بالحكمة ، ولسانه ينطق بالحق » (مز ٣٧ : ٣٠) . وبه نحامي عن المظلومين « افتح فمك لأجل الآخرين في دعوى كل يتيم . افتح فمك . اقتض بالعدل . وحام عن الفقير والمسكين » (ام ٣١ : ٨ ، ٩) .

٣ — **وهو يحل المنازعات ويهدئ الخصومات** ، ويطفىء نار الغضب . ومن خير الامثلة على ذلك ابيجايل امرأة نبال الذى أساء الى داود النبی والملك على الرغم من احسانه اليه . فلما عزم داود على ابادته هو وكل بيته . خرجت اليه ابيجايل ، وكان لكلامها اثر طيب فمى تهدئة غضبه ، حتى ان داود قال لها « مبارك الرب اله اسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم لاستقبالي ، ومبارك عقلك ، ومباركة انت لأنك منعتنى اليوم من اتيان الدماء وانتقام يدي لنفسى » (١ صم ٢٥ : ٢ - ٣٥) .

ومن امثلة ذلك أيضا كلام يعقوب الهادئ الذى كلم به اخاه عيسو ، فرجع عن حمو غضبه ، بعد أن كان خارجا للانتقام منه (تك ٣٣) . قال الحكيم « الجواب اللين يصرف الغضب ، والكلام الموجه يهيج المسخط » (ام ١٥ : ١) .

٤ — **واذا كان كلامنا الهيا فمن شانه انه يلهب قلوبنا كما حدث مع تلميذى سمواس اللذين ظهر لهما الرب وكان يكلمهما . فلما اختفى عنهما قال بعضهما لبعض « ألم يكن قلبنا ملتهبا فبنا اذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب » (لو ٢٤ : ٣٢) . وهو أيضا يقدر انكارنا وينقى نفوسنا كما قال الرب ذاته « انتم الآن اتقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به » (يو ١٥ : ٣) .**

وبسبب الكلام الالهى ايضا ، يبارك الرب اجتماعنا ويحضرها حسبما قال
« حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك آكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) .
 ومن امثلة ذلك تلميذا عبواس ايضا اللذان اظهر لهما ذاته بينما كانا يتكلمان فى
 أمور الحياة الروحية (لو ٢٤ : ١٣-٣١) ، وايضا الرسل اللذين — فيما هم
 يتكلمون عن الرب يسوع — اظهر لهم ذاته واعطاهم سلامه (لو ٢٤ : ٣٦) .

• — **وهو ينفعنا فى حياتنا بوجه عام . ويسببه يصينا خير عميم .** قال
 داود النبى « من هو الانسان الذى يهوى الحياة ، ويحب أن يرى اياما سالحة ،
 صن لسانك عن الشر ، وشفتيك عن النطق بالفسح » (مز ٢٤ : ١ ، ١٣) .
 وقال القديس بطرس « لان من اراد أن يحب الحياة ويرى اياما سالحة ،
 فليكشف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلما بالكر » (١ بط ٣ : ١٠) .

الكلام الردى

ان كنا قد رايناكم هى عظمة ثمار الكلام الجيد ، فعلى عكس ذلك نجد
 الكلام الردى . **فالكلام الردى من شأنه أن يبرد حرارة القلب .** ان حياتنا
 الروحية كالشمع الذى يلين بالحرارة ويتجمد بالبرودة . قال الرب « **لكثرة
 الاثم تبرد** محبة الكثيرين » (مت ٢٤ : ١٢) . أما الكلام فى الالهيات
 والروحيات فمن شأنه أنه يولد فى القلب حرارة واشواقا مقدسة . وحينما تلين
 قلوبنا نصبح مستعدين لاقتبال صورة الله فينا كما تنطبع صورة الملك على
 الشمع اللين ، وبذا نصبح « **مشابهين صورة ابنه** » (رو ٨ : ٢٩) .

والكلام الردى ينفس اجسادنا ، ويسىء مباشرة الى الله الحال فيها ،
 الذى اتخذها هيكل له « **أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس**
 الذى فيكم الذى لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم » (١ كو ٦ : ١٩) .
 ويقول ايضا « **أم لستم تعلمون أن اجسادكم هى أعضاء المسيح** » (١ كو ٦ : ١٥) .
 وعلى هذا فلا يلىق بنا أن نجعل أعضاء الله أعضاء خطية كقول الرسول
 « **ولا تقدموا أعضاءكم آلات اثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كاحياء من
 الاموات ، وأعضاءكم آلات بر لله** » (رو ٦ : ١٣) .

اضف الى هذا أن الكلام الردى « ينجس الاسماع الجيدة » كما يقول
الآباء القديسون . فكم من شهوات تتحرك فى الانسان بسبب الكلام ، كما نلمس
 ذلك فى الامور الجنسية وحالات الغضب مثلا . وكمن عثرات يعثر بها
 الانسان ، يكون منشأها كلمات يسمعا . وسوف نتكلم عن ذلك بأسهاب
 حينما نعرض لبعض خطايا اللسان .

من أجل ذلك تحفظ القديسون جيدا على أفواههم . قال القديس الانبا
 انطونيوس « قال ربنا يسوع المسيح ادخلوا من الباب الضيق . فما هو ذلك
 الباب الضيق الا حفظ اللسان من الخطا . اذا لتجاهد ونضع حافظا قويا على
 أفواهنا حتى لا ننطق بنطق شرير » . ما احرانا ان نتشبه بأبيوب الصديق الذي
 قال « ما دامت نسميتي في ، لا تتكلم شفقتاي اثما » (اى ٢٧ : ٤) .

بعض ارشادات وآداب الحديث

وقت الكلام

قال سليمان الحكيم « لكل شيء زمان ، ولكل امر تحت السماء وقت . .
 للسكوت وقت وللتنكلم وقت » (جا ٣ : ١ ، ٧) . فكثيرا ما نخطئ في تخير
 الوقت المناسب للكلام . ربما كانت نفس الكلمات التى نقولها في مناسبة ما
 وفي وقت ما ، تاتى بنتيجة افضل لو قلناها في وقت آخر ، تكون فيه الظروف
 مواتية ، والنفوس مستعدة للسمع مثلا . قال الحكيم « للانسان فرح بجواب
 فمه ، والكلمة في وقتها ما احسبها » (ام ١٥ : ٢٣) . كما قال ايضا « تفاح
 من ذهب في مصوع من فضة ، كلمة مفولة في محلها » (ام ٢٥ : ١١) .

قال داود النبي « اجعل اللهم حافظا لفسى ، وبابا حصينا لشفتى »
 (مز ١٤١ : ٣) . ونحن نلاحظ ان النبي هنا لم يطلب من الله ان يقلق فمه
 كلية ، بل طلب ان يجعل له بابا ليفتحه ويفلقه وقت الحاجة !

الفرض من الكلام

فكر جيدا قبل ان تتكلم ، واسأل نفسك « هل هناك داع لان اتكلم »
 ان فعلت ذلك فستجد ان هناك كلاما كثيرا يمكن الاستغناء عنه .

■ اسأل نفسك ايضا قبل ان تجيب على السؤال الذى يوجه اليك ؟
 بماذا كان السيد المسيح يجيب لو كان في موقفك ؟ ان فعلت ذلك فلن تخطئ
 في الكلام .

■ لا يكن كل همك مجرد الكلام ، فان هذه عادة مذمومة يبغضها الناس ،
 وتقلل من محبتهم وتقديرهم لك . قال الحكيم ابن سيراخ « ان كان لك هم

فجواب قريبك ، والا فلتكن يدك على فمك » (سـ ٥ : ١٢) . ففكر جيدا قبل ان تتكلم . فلقد خلق الله للانسان اذنين وفما واحدا ليسمع اكثر مما يتكلم « ليكن كل انسان مسرعا في الاستماع ببطنا في التكلم » (يع ١ : ١٩) . وقد وضع اللسان داخل بابين — الاسنان والشفقتين — لتفكر قبل ان تفتح هذه الابواب لتتكلم ! قال ابن سيراخ « في فم الجهال قلوبهم . وفي قلب المعتلاء فهم » (سـ ٢١ : ٢٦) . ومعنى هذا ان الجهال يخضعون قلوبهم لالسننهم . اما الحكماء فعلى عكس ذلك يخضعون السننهم لقلوبهم . ان كان يجب على الانسان ان يبضع الطعام جيدا قبل ارساله الى معدته . هكذا يجب عليه التفكير جيدا قبل ان يخرج كلاما من فمه ..

طريقة الكلام

■ **تكلم بقر واثزان** ، فخير لك ان تتكلم كلمة واحدة في اثزان وفي موضعها امضل من شرثرة كثيرة لا معنى لها . قال الحكيم « كثرة الكلام لا تخلو من معصية ، واما الضابط شفثيه فعائل » (ام ١٠ : ١٩) . لا تسرع في الاجابة على سؤال يوجه اليك قبل ان تستوعبه جيدا « من يجب عن امر قل ان يسمعه فله حياقة وعار » (ام ١٨ : ١٣) .

ان الكلام بعد ما يخرج من افواهنا لا يمكن ان نسترجعه . قال سمس الحكيم « ذو المعرفة يبقى كلامه . وذو الفهم وقور الروح . بل الاحق اذا سكت بحسب حكيم ، ومن ضم شفثيه فهبيا » (ام ١٧ : ٢٧ . ٢٨) .

■ **تكلم بصوت منخفض بقدر ما يسمعك سامعك** . لان الكلام بصوت عال اكثر مما يجب امر لا يتفق مع الاحتشام . لقد كان الصوت المنخفض الخفيف في قصة ايليا النبي هو صوت الله (١ مل ١٩ : ١٢) ، وقيل عزرب انه لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته » (مت ١٢ : ١٩) .

■ **لا تعتمد التكلف في كلامك** ، ولا تقلد آخر في كلامه او في طريقة التخاطب .

■ **اذا تكلمت لا تطل بدون حاجة** . واذا وجه اليك سؤال ، فالرد الذي يحتاج الى كلمة واحدة لا ترده بكلمتين .

■ **احذر اللف والدوران في الكلام** ، لان ذلك يدل على المكر والخبث • بل كن واضحا ومريحا في حديثك .

آداب التخاطب

■ لا تقاطع غيرك في كلامه ، لان ذلك فضلا عن انه ضد الآداب المرمية فهو يضاد الاتضاع المسيحي ، ويسىء الانسان بذلك الى محدثه كأنه محتقر كلامه « لا تجاوب كلمة قبل أن تسمع ولا تقاطع كلام غيرك » (سى ٨: ١١) .

■ لا ترد على سؤال يوجه الى غيرك لئلا تكن متطفلا او متكبيرا .

■ اذا كنت في مجلس ووجه سؤال الى الجميع ، فلا تكن الباديء بالاجابة . قال القديس الانبا باخوميوس « اذا كنت تعرف كل الحكمة فاجعل كلامك آخر الكل » . لا تكن اول المتكلمين ، بل اجعل الآخرين يشعرون بالحاجة الى حديثك ومعرفة رأيك ، ويطلبون اليك أن تتكلم ، وحينئذ ستلقى اذنا صاغية ، وتشعر ان كلامك لازم وأنه يقوم برسالة ، ويؤدي نفعا للآخرين .

■ متى تكلمت لا تظهر حركة غير مناسبة باعضائك ، لا بعينيك ، ولا بيديك ، ولا بشفتيك أو بغيرها ...

■ اذا كنت فردا وسط مجموعة تناقش أمرا ، فليكن لك رايك الخاص ولا تتقلب مع كل رأى . قال ابن سيراخ « لا تتقلب مع كل ربح ، ولا تسلك في كل سبيل ، لان هكذا يكون الخاطئ ذو اللسانين » (سى ٩ : ٥) .

■ يجب ان تراعى مقام الشخص أو الأشخاص الذين تكلمهم ، ومركزهم وسنهم . فكلام الشاب مع صديقه الشاب يجب أن يختلف حينما يكلم الشيوخ أو المعلمين أو الكهنة . راع وصية الحكيم « لا تتكلم كثيرا في مجلس الشيوخ » (سى ٧ : ١٤) .

■ لا تكن محبا لكثرة الكلام « ثناراً » ، فانك بذلك تقضى الحكمة وحب الآخرين . قال ابن سيراخ « الذى يزيد الكلام يرفل » (سى ٢٠ : ٨) . وقال القديس مار افرام « يا اخى تفكر بأن ربوات الاقوال نهايتها السكوت ، من يكثر اقواله ، يكثر لنفسه الخصومات والبغضة . ومن يحفظ فيه يجب » . وقال القديس يوحنا الدرجى « الذى عرف مرارة سقطات اللسان يحذر من الكلام ، اما كثير الكلام فلم يعرف بعد نفسه كما ينبغي » . وقال مار اسحق « كل من هو كثير الكلام ، هو فارغ من الداخل ، حتى لو كان عالما بأمور كثيرة » ان الثروة فضلا عن انها امر غير مستحب لدى الناس ، فهي مضیعة للوقت الذى هو جزء من عمرك — حتى لو لم يكن فيها كلام ردىء . ان كل دقيقة من دقائق حياتك مطلوب منك أن تقدم عنها حسابا ، وأن تكون لك فيها رسالة ناقمة .

بعض آداب المناقشة

موضوع المناقشة

■ لا تتدخل في كل مناقشة ، فانك لست على علم بكل شيء . واذا نوقش امامك امر . فلا تصرع باداء رأيك فيه ، او باداء حكمك عليه . وانما انصت كثيرا قبل ان تنكلم حتى يستوعب — على قدر الامكان — الموضوع الذى امامك . وليس عيبا — بل هو امر فاضل — ان تقول اذا سئلت عما لا تعرفه او عما لا تتقنه « آسف » انى لست على علم بهذا الامر » او « ليست لى خبرة بهذا الموضوع » ، او « انى لم اكون بعد فكرة فى هذا الصدد » ، او « اى احتاج اولا الى دراسة او فحص لهذا الامر حتى اتفهمة جيدا » . . . الخ .

■ لا تناقش في التوافه التى لا تجلب نفعا ولا ضرا . واستعد عن الموضوعات الشائكة المعثرة ، وعن « المناقشات الغبية » العديمة النتيجة . .

■ ناقش الناس فيما يهمهم حتى يقبلوا على سماعك . وان ناقشتهم و مالا يشعرون بأهميته ، فابدا اولا بتشويقهم الى موضوع حديثك ، واشعرهم بقيمته ، حتى لا ينصتوا اليك فى برود او قنوط . .

غرض النقاش وطريقته

■ اعلم ان الفرض من المناقشة ليس هو ان تهزم مناقشك ، وانما ان تريحه في جانب الحق . كذلك ليكن هدفك في النقاش هو ان ينتصر الحق ، وليس ان ينتصر رأيك الا اذا كنت محقا فيه ، عن عدل لا عن تشيع لنفسك وحفظا لكريائك . لذلك عليك بالنزاهة في الراى ، كما يجب ان نحرص على شعور مناقشك فلا تجرحه .

■ كن نزيها في مناقشتك . لا تغالط ، ولا تخدع مناقشك بأراء يجهلها . ولا تذكر له محاسن امر متجاهلا مساوئه ومعنيدا في ذلك على جهل محدثك بها .

■ اذا ثبت لك ان في رأيك ناحية ضعف ، فلا تكابر ، ولا تصع بالحق في سبيل كبريائك . سلم بالنقط التى تثبت في صالح الطرف الآخر ، ولا تشعره بأنك سلب الراى لا تتنازل عن فكرك ولا تقبل سوى خصومه لك ان حق او باطلا .

■ لا تدع العلم بجميع الأمور . وإن سألك محدثك عن نقطة تحيلها ، ملا تخجل من التصريح بذلك . ولا تخجل من أن تطلب إلى محدثك أن يشرح لك ما يعرفه عنها . وأقبل من شرحه — في اصصاع وشكر — ما يتفق مع الحق والعدل .

■ لا تبدأ نقاشك بأصدار احكام . وإنما يستحسن أن تبدأ بطريقة الاسئلة . فالاسئلة تصلح أحيانا كوسيلة مهيأة نير الطريق أمامك . إصدار الحكم يشبه عمل الماضي الذي نت في الأمر وانتهى إلى قرار . والاسئلة تشبه عمل المحقق الذي ما يزال يستوضح نقاط الموضوع ليكشف حوافيه . ولا شك أن التحقق من الأمر لازم قبل إصدار الحكم عليه .

■ احترس من بديهياتك ولا تفرضها على غيرك . مالدعيات تكون أحيانا أموراً بديهية . ما هو بديهي بالنسبة اليك ، قد لا يكون كذلك بالنسبة إلى غيرك ، والعكس صحيح .

■ احترس من خطأ التعميم . فهناك حالات خاصة لا تنطبق عليها الاحكام أو الفواعد العامة . وهذه الحالات تعتبر أحيانا من استثناءات القاعدة العامة ، وتحتاج إلى مزيد من الفحص والعناية .

■ لا تناقش في حدة أو بصوت مرتفع . وراقب حركانك واشساراتك وملاحظات جيداً أثناء النقاش ، وبالأخص أثناء تحدثك ، مع من هو أكبر منك ، وكن وديعاً وهادئاً في نقاشك .

الوقت

■ راع وقت محدثك . اختر الوقت المناسب للنقاش . ولا تطل النقاش مع شخص لا يتسع وقته لك .

■ أن كان وقت محدثك ضيقاً ولا يتسع لكلام كثير ، فقل رأيك باختصار على قدر ما يحتل الوقت .

وإن شعرت أن سامعك قد أظف ميعاده ، فاختم النقاش واعتذر له أن كنت قد ضيعت وقته . لا تنتظر إلى أن ينظر سامعك مراراً إلى ساعته ويتميل إلى مقعده ، وإنما كن أنت — من ذاتك — حساساً لهذه الناحية ذكياً ، سريع الملاحظة . وإن كنت تتكلم مع أحد واعتذر لك بارجاء الموضوع إلى وقت آخر لمشغولته ، ملا تسيء الظن به وتغضب ، ولا تشعر بأن في ذلك أهانة لك .

بل تقبل الامر في بساطة ومحبة وثقة ، واطلق محدثك بسلام . واحترس من أن تضغط عليه مستهينا بوقته ومشغوليته ، وتطلب اليه من فرط حماسك للنقاش — أن يتغاضى ويبد المناقشة بعض الوقت ، غير مكترث بمسئوليته الأخرى .

■ وحتى ان لم يعتذر محدثك بضيق وقته ، ليكن هذا الامر في اعتبارك واهتمامك مقدرا من داتك ظروف الشخص الذي تتحدث اليه ، معطيا اياه حرصا أثناء النقاش بأن يختمه في أى وقت ويمضى . ولكن اياك — حرصا على وقته — ان تختم المناقشة فجأة بشكل ظاهر ، وتدعوه الى الانصراف مقدرا وقته ومشغوليته ، لئلا تجرحه بهذه الوسيلة الخشنة وتكون كمن يطرده !

■ أما ان كان وقتك أنت ضيقا وأردت الانسحاب ، فانسحب بهدوء وادب ومحبة ، دون جرح للشعور . وانتبه لذلك الفرصة المناسبة بحيث لا يساء فهم انصرافك .

■ وعلى أية الحالات ، حتى ان كان في وقتك ووقت محدثك ما يسمح باطالة الحديث ، كن حكيما واعط لكل مناقشة الوقت الذي تستحقه . ولا تضيع الوقت الطويل في التفاهات ، لأنك مزعم أن نعطي حسابا أمام الله وضميرك عن وقتك كيف نصره . والفروض أنك تكن مثمرا فيه الثمر الصالح .

■ ومن الناحية الأخرى ، اعلم جيدا أن مبادئك الأساسية في الحياة وافكارك الثابتة بوجه عام ، ليست هي نبت يومها ، وانما ربما تكون ثمرة سنوات طويلة من الخبرة والدراسة ، كما إنها ثمرة ظروف كثيرة ونفسية من نوع معين . فلا تتطلب من مناقشتك أن يصل — في جلسة واحدة معك — الى ما وصلت اليه في مدى طويل من حياتك . لا تفترض أنه لا بد أن يخرج مؤمنا بكل آرائك مهما كان كلامك مقنعا . وانما من حقه عليك أن نعطيه فرصة للاحتضان ما وصل اليه من افكار جديدة عليه أو معارضة له ، فرصة للتفكير والتروى والتأمل والفحص والتشبع بالفكرة واخبارها في ضوء الحياة العملية . لذلك لا تتأثر داخليا وتحزن اذا بذلت في نقاشك جهدا كبيرا للاقناع . ولم تحصل على النتيجة الكاملة . بل اعتر انك مجرد رارع حكيم القى بذرة حبة وعليه أن ينتظر حتى تنمو وتثمر .

المقاطعة

اسمع أكثر مما تتكلم . ولا تقاطع من يحادثك ، وانما اعطه فرصة ليقول ما عنده ، فالمقاطعة ليست من آداب الحديث . الشخص الذي تقاطعه قد يستاء من نصرفك هذا . كما أنه عمليا ربما لا ينصت اليك لأنه قد يكون

ما يزال منشغل الفكر عنك ببقية حديثه الذى لم يكمله . كما ان المقاطعة كثيرا ما تدل على تسرعك ، او على أنك تحتاج الى شيء من طول الاتاة والصبر وسعة الصدر . . الم تسمع ذات مرة من تقاطعه فى الحديث يتوسل اليك قائلا « ارجوك ، اصبر على قليلا حتى اتم كلامى . اسمح لى ان اكمل حديثى وستفهمنى » ، « . . نعم ، كانت لى اجابة على هذا الاعتراض سترد فى كلامى ، لو انك اعطينى فرصة لاقول كل ما عندى . . » ! ومقاطعتك أيضا قد تتعب محدثك وتشقت افكاره وتربك ترتيب كلامه ، فيعود الى البدء من جديد — بعد الاجابة على مقاطعتك — حتى يسترجع بذلك تسلسل افكاره والمقاطعة كثيرا ما تكون سببا فى اطالة النقاش وفى حدته .

■ وربما نقول « ولكن مقاطعاتى ليست اعتراضات واحتجاجات ، وانما هى اسئلة ، استيضاحية احاول بها أن استكمل ما نقص من معلومات فى كلام محدثى . فى الواقع ان هذا النوع هو اخف انواع المقاطعات ، وقد يستساغ احيانا اذا صدر بلهجة رقيقة هادئة ، وفهم على أنه مجرد استيضاح ، ولم يكن سببا فى تشتيت افكار المتكلم . ويحسن أن يختار له المستوضح الفرصة المناسبة ، كأن يكون حديث المتكلم مثلا عبارة عن اقسام شبه مستقلة ، فيقدم المستمع اسئلته عن كل نقطة عقب انتهاء المتكلم منها ، وقبل ان يبدأ نقطة أخرى ، فيقول له فى ادب « اسمح لى — قبل البدء فى هذه النقطة — ان استفهم من اشياء معينة فى حديثك السابق » .

■ أما اذا كنت انت المتكلم ومقاطعك سامعك ، فأولا ، انصت اليه حتى يكمل ما قاطعك به وتفهم مراده جيدا . وبعد ذلك امامك طريقان : اما أن تجيبه عن كلامه حتى لا ينشغل عن سماعك باعترضاته ، واما أن تعده بأن الاجابة على اعتراضه قادمة فى حديثك ، وتطمئنه بانك سوف لا تغفل كلامه هذا ، راجيا اياه فى ادب أن يسمح لك بتأجيل الاجابة قليلا .

مراعاة شعور مناقسك

■ اعرف ان لمحدثك شعورا ينبغي ألا تجرحه ، حتى أن جرح هوشمورك ، وإن له آزاره الخاصة وافكاره التى ليس لك أن تحقرها وانما أن تتفاهم فيها معه . لا تسئ الظن بعقلية او امانة محدثك بل حاول أن تفهم وجهة نظره .

■ لا تنظر الى النواحي الخاطئة فقط فى رأى مناقشك ، وانما ايضا الى النواحي الحسنة ، طوبه عليها . من الجميل أن تستعمل عبارات « هذا حسن . هذا معقول . على رايك . . » اجعل مناقشك يشعر انه امام صديق يحترمه ، وليس امام خصم يتصيد له الخطأ .

■ لا تنهكم على محدثك ، ولا تحاول أن تظهره بمظهر العاجز أو المهزوم .
■ لا تسأله أسئلة محرجة ، وإذا حاول أن يسحب رأيه فلا تخلجه في انسحابه .

■ إذا كسبت نقطة أثناء النقاش فلا تنتفخ في افتخار ، وإنما انتقل الى غيرها في هدوء دون أن تشعر محدثك أو سامعك بأنك قد انتصرت .

■ لا تلجأ الى الطرق العالمية ، كان تقول رأيا ثم تضحك في انتصار كأن كلامك ليس له رد ، وتضحك من حولك على محدثك ، وتختتم المناقشة دون أن تسمع رأيه ، تاركاً إياه شبه مهزوم .

■ تجنب الألفاظ القاسية التي تؤلم محدثك بطريق مباشر أو غير مباشر .
فلا تقل مثلاً « ان الذين يؤمنون بهذا الرأي أغبياء أو ضعاف الشخصية » ، في حين يكون واضحاً أنه ممن يؤمنون بهذا . قل في بساطة مثلاً « ان الإنجيل ، أو قوانين الكنيسة ، أو أقوال الآباء ، تقول بعكس هذا » .. أو عند هذا الرأي دون أن نشتم المتضمين إليه .

■ ان كان في مناقشتك عيب خاص ، كصوته ، أو طريقته في الكلام ، أو لعنيتة ، أو ثأناته ، أو منظره ، فلا تجعله يشعر بأنك لاحظت ذلك . تجاهل هذه الأمور التي غالباً لا يكون له ذنب فيها .

■ لا تقف من مناقشتك موقف المعلم وإنما موقف المتفاهم . وان اردت ان تفهمه شيئاً جديداً ، فلا تشعره بهذا . أشعره ان الجديد الذي أثبت به هو رأيه لا رأيك .

■ إذا وافقت مناقشتك على نقطة ، فلا تكرر الكلام في إثباتها لئلا تصايقه .

■ لا تكثر الحديث عن نفسك أثناء النقاش . اكسب المناقشة بآرائك لا بشخصك .

■ إذا كان مناقشتك مختصاً في ناحية معينة من نواحي العلم تطرق إليها موضوع النقاش ، فلا تتجاهل مثل هذا الاختصاص ، كما لا تتجاهل مواهب محدثك الأخرى .

■ حاول أن ينتهي النقاش — مهما كان الرايين متباعدين — بحصة وصدقة وتقارب بين القلوب .



الصمت

لماذا تُرعى الصمت ؟

تكلم القديسون عن الصمت كتفضيلة هامة ، دربوا أنفسهم عليها وعاشوا فيها واختبروها ودونوا لنا اختباراتهم عنها . ورب سائل يقول : اذا كان الكلام نافعا ومفيدا على المحو الذى ذكرناه ، فلماذا يعتبر الصمت من الفضائل الهامة ، ولماذا احبه القديسون وعاشوا فيه ؟

والجواب على ذلك هين ويسر ، وهو ان التعرض لاحطاء اللسان الكثيره سهل وميسور ، ومن ثم كان لا بد من لجام قوى للسان ، والصمت من اقوى هذه الالحمه واسمعا . اصف الى هذا ان القديسين وجدوا ان الانسان يتقن الكلام بالصمت بعكس العلوم والمعارف الاخرى التى يتقنها بكثرة ممارستها . وفى ذلك يقول القديس باسيليوس الكبير « ان حسن التكلم لا يكتسب الا بالصمت وممارسته المتصلة » . ويقول القديس ايرونييموس « لنتعلم نحن ايضا الصمت قبل كل شيء ، لكى نستطيع ان نتكلم فيها بعد حسنا » .

ولا يظن احد ان ضبط اللسان يقود الى كبت المشاعر ، وتعقيد النفس ، الامر الذى يتولد من الكبت الذى يصفه علم النفس . ان هناك فرقا كبيرا بين ضبط اللسان والكبت . فالكبت هو ان تكون شهوة فى النفس لا يصبر شها بسبب الخوف ، بينما يمتنى الانسان ان يؤديها .

اما الضبط فهو ان يضبط الانسان نفسه او لسانه ، الذى هو اداة التعبير عن المشاعر . فالكبت ضغط وحرمان وحزن ، اما الضبط فهو جهاد وتنقية موفرح بالجهاد والانتصار .

واليك بعض ما قاله بعض الآباء فى الصمت :

قال القديس غريغوريوس النيقولوغوس « ليت للكلام منفعه كممنفعة السكوت ! » وقال ايضا « حينما غصبت على الكلام وحدت الا اتكلم الا عن الصمت ، حتى اتقود الناس الى الصمت بالصمت والكلام . هذا هو رابى فى السكوت ، وهذه فلسفتى فى الكلام » .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « السكوت نمو عظيم للإنسان لأنه يعطى القلب عزلة دائمة ، ويجلب الدعة ويبعد الغضب . وهو قرين النسيك ، ويولد المعرفة ويجرس المحبة . السكوت هو كمال الفلسفة . من يمارس السكوت يقدر أن يتمسك بجميع الحسنات الأخرى » . وقال القديس الأنبا أنطونيوس فى نصيحة له لأولاده الرهبان « الزموا السكوت لأن السكوت مقامه عند الله فى زمرة الملائكة » .

■ لكن ليس كل صمت أو سكوت أمرا يمدح . فهناك أوقات ينبغى فيها الكلام ، بل ويعتبر عدم الكلام نقصا ، وأمرا يستوجب اللوم . سئل القديس الأنبا بيمين ذات مرة « أيهما أصلح ، الكلام أم الصمت ؟ » فأجاب « ان الصمت من أجل الله جيد ، كما ان الكلام من أجل الله جيد كذلك » .

■ والصمت الحقيقى هو صمت الأفكار والقلب . فقد يوجد انسان يمارس الصمت ظاهريا ، لكن عقله يوح بأفكار كثيرة خاطئة باطلة ، يفسد بوجد آخر يتكلم طول يومه ومع ذلك فهو ملازم للصمت . قال القديس الأنبا بيمين فى هذا المعنى « قد تجد انسانا يظن أنه صامت لكن فكره يبدى آخرى . من كانت هذه صفته فهو دائما يتكلم . وقد تجد آخرى يتكلم من أول اليوم الى آخره ، ومع ذلك يلزم الصمت ، أغنى أنه لا يتكلم كلمة بلا سمعه » .

بعض بركات الصمت

١ — بالصمت نرى أنفسنا على حقيقتها كما فى مرآة . نرى عيوبنا وأخطائنا . قال مار اسحق « اذا انقطع الإنسان عن كثرة الحديث مع الناس فهو يرجع الى ذاته ويقوم تدبير سيرته حسنا أمام الله » .

٢ — وهو فرصة لانطلاق النفس فى عبادتها وعلاقتها بالله . بالصمت ينجع العقل الى ذاته بينما يتشتت من كثرة الكلام . ولقد اعترفه القديس ارسانتيوس العامل الاول فى تطهير عقل الانسان . وقال الانبا اسعيا الاسقبطى « أحب السكوت أكثر من الكلام ، لأن السكوت يجمع والكلام يبدد » .

٣ — وحينما يصمت الفم تهدأ النفس ، فنستطيع اذن الانسان الداخلية أن تسمع صوت الحبيب الذى يقرع على باب القلب . فتفتح له لدخول (رؤ ٣ : ٢٠) . وعلى العكس من ذلك ، فان كثرة الكلام تسبب اضطرابا للنفس فلا يتمكن من أن تسمع صوت الله . ولذا قال القديس يوحنا الدرسى « أذن الساكت تسمع من الله العجائب » .

٤ - وبصفة عامة ، فإن الحياة الروحية في مجموعها تزدهر وتنمو بالصمت . فالإناء الموضوع على النار يغلي بسرعة إذا كان غطاؤه محكما . قال الاب الشيخ الروحاني « أن كان لسانك متعودا كثرة الكلام ، فقلبك منطفيء من حركات الروح النيرة . أما إذا كان فمك ساكنا بهدوء ، فقلبك يشتعل دواها من حرارة الروح » . ومن عباراته الشهيرة « سكت لسانك يتكلم قلبك ، وسكت قلبك ليتكلم الله » . وقد علم الآباء النساك أن الصمت يبيت الإفكار في القلب . قال الانبا بيمين « من يضبط فمه فإن أفكاره تموت ، كالجرة التي يوجد فيها حيل وعقارب وتسد فوهتها غاتها تموت » .

٥ - والصمت يعطى الإنسان فرصة للتفكير في هدوء فيأتي أفكارا ناضجة ، ولذا قال الجامعة « الحلم يأتي من كثرة الشغل ، وقول الجهل من كثرة الكلام » (جا ٥ : ٣) .

٦ - والصمت ، وإن كان يفيدنا في اكتساب حسن التكلم مع الناس فهو أيضا يعلمنا الكلام مع الله - وبعبارة أخرى هو معلم من معلمى الصلاة . قال القديس يوحنا الدرجى « مع الرجل الصامت تتف القواى السماوية لتشارك معه فى التسبيح والعبادة ، بل وتتوق أن تراققه على الدوام » .

(٧) - وهو يقودنا الى الاتضاع . قال مار اسحق « الفرق بين حكمة الروح وحكمة العقل ، أن الاولى تقودك الى الصمت ، والثانية تدفعك الى التبجح والملاجة . والصمت الحكيم يقودك الى الاتضاع . أما التبجح والعناد فيقودك الى الصلف والكبرياء » .

٨ - وبالجيلة فإن الصمت لجام قوى للجسد كله . ولذا قال يعقوب الرسول « هو ذا الخيل نضع اللحم فى أمواها لى تطاوعنا ، فندير جسمها كله . هو ذا السفن أيضا وهى عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة ، نديرها دفة صغيرة جدا الى حيثما شاء قصد المدير . هكذا اللسان أيضا » (يع ٣ : ٣ - ٥) . أرايت يا أخى كيف أن الرسول يعقد مقارنة بين اللجام ودفة السفينة من ناحية ، واللسان من ناحية أخرى ؟ ووجه الشبه أن الإنسان ملى كل ، يستطيع أن يتحكم فى الخيل أو السفينة أو الجسد . ويكمل الرسول هذه الفكرة بقوله « أن كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضا » (يع ٣ : ٢) .

ومن ناحية أخرى فإن الصمت قد يصلح دليلا على مقدرة الإنسان فى ضبط حركات جسده وشهواته . قال مار اسحق « إذا أردت أن تعرف رجل الله ، فاستدل عليه من دوام سكوته » . قال الحكيم « مدينة منهزمة بلا

سور ، الرجل الذي ليس له سلطان على روحه » (ام ٢٥ : ٢٨) . وقد ملق القديس ايرونييموس على هذه الآية بقوله « كما ان المدينة التي لا سور لها معرضة لأن تؤخذ وتنهب من الاعداء ، هكذا من لا يكون مصاننا بمسور الصمت ، يستهدف دائما لحروب الشيطان ، وفي خطر من أن يغلب » .

أُسلة لرجال الصمت

سار جميع الآباء النساك دون استثناء في تدريب الصمت حتى اتقنوه . لكن التاريخ يحتفظ لنا باسماء بعض الآباء الذين ضربوا بسهم وانر فيه . ومن امثلة هؤلاء :

■ **القديس الانبا ارسانيوس** معلم اولاد الملوك ، الذي عشق الهدوء والصمت واتخذ له شعارا ، عبارته المشهورة « كثيرا ما تكلمت فندمت ، اما عن سكوتي فما ندمت قط » . وصاغ شاعر كلماته هذه في قالب شعري فقال :
ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

■ **والقديس الانبا اغاثون** الذي لما اراد ان يدرب ذاته على الصمت ، وضع في فيه حجرا لمدة ثلاث سنين حتى اتقن الصمت ! .

■ **والقديس العظيم يوحنا الاسيوطي (القباسي)** الذي ظل حافظا للصمت لمدة ثلاثين سنة لم يطق خلالها بكلمة واحدة . فقد قيل عنه انه اقام ثلاثين سنة في مغارة لا يتناول احدا ، وكانوا يعطونه حاجته من طاعة . والذين كانوا يأتون اليه كان ينفاهم معهم عن طريق الكتابة . وحدث مرة ان اربعة لصوص لما نظروا كثرة الجموع التي تأتي اليه بسبب موهبة الشفاء التي انعم بها الرب عليه ، ظنوا انه يحتفظ بأموال في مغارته . فتصدوا مغارته ليلا لينقبوا فيها مضربوا بالعمى ويقوا واقفين خارج المعارة الى الصباح . ولما اتى لباس امسكهم وارادوا ان يسلموهم للوالي . فتكلم معهم القديس قائلا :
« ان لم تتركوا هؤلاء الناس فنعمة الشفاء تذهب عني ، فتركوهم . وقيل ان عبارته هذه هي الوحيدة التي نطق بها خلال مدة الثلاثين يوما .

■ **والقديس الانبا بھو** بعد ان ترك العالم وسكن لريه . قصد احد انشيوخ القديسين وصب منه نصيحة بعينه في حياته الجديدة . فتح الشيخ فاه بما قاله داود النبي « قلت احفظ لسبيلي من الخطأ بلساني » (مز ٢٩ : ١) . فلما سمع القديس بھو هذه الآية قال له « يكفي ايها المعلم ، لا تعطيني شيئا آخر الى ان احفظ هذه » . رجع الى قلايته ولم بعد للشيخ . فلما قاله

الشيخ بعد ذلك بمدة ، سألته عن سبب عدم توجهه اليه ليأخذ درسا آخر ،
 أجابه القديس بموا « صدقني يا أمي انني لم اتعلم الدرس الاول جيدا » :
 وبعد سنين كثيرة ، سألته أحد أصدقائه ان كان قد انتهى من درس داود
 الاول (يقصد المزمور السابق ذكره) ، فأجاب قائلا « ان لي خمسا وأربعين
 سنة اهد (اردد) في هذه الآية التي سمعتها ، وبالجهد أمكنني ان أمارسها
 بالعمل قليلا . وقد قال القديس ذلك في انضاع ، لأن بلاديوس يذكر عنه ،
 انه كان قد اتقن الصمت جيدا ، حتى انه اذا سئل عن شيء ، لا يجيب قبل
 ان يرفع قلبه أولا الى الله ويستشير به فيما يقوله . وقد أعانه الله في السير
 لحفظ هذه الفضيلة ، حتى قيل عنه انه لم يبكته ضميره ، ساعة انتقله على
 كلمة قالها وندم عليها .



بعض خطايا اللسان

« كثرة الكلام لا تحلو من معصية . أما الضابط
شفتيه فعاقل » (أم ١٠ : ١٩) .

+ الكذب

+ الحلف (القسم)

+ النميمة والافتيات والذم

+ شهادة الزور

+ الشتمية

+ كلام الهزل

+ التملق

+ التدمير

خطايا اللسان كثيرة ، ولا يمكننا بطبيعة الحال ان نأتى عليها جميعا .
او ان نؤنبها حقها ، لان كلا منها يحتاج الى بحث مستقل ، لكننا نحاول ان نلم
بها المسامة سريعة .

الكذب

- وهو ان يتكلم الانسان بخلاف الواقع مع العلم به .

لماذا يكذب الناس ؟

(أ) يستغل الكذب عادة لاختفاء الذنوب والخطايا الاخرى ، فبعد ان
يرتكب الانسان اثما ، يلجأ الى الكذب ليخفى به اثمه ونعله الشائن .

(ب) وقد يلجأ اليه من اجل نفع شخصي ، كدفع ضرر وجلب خير او قضاء
مصلحة ... الخ .

(ج) وقد يدفع الانسان الى الكذب الرغبة في المزاح ، كما يحدث فيما
يسمونه « كذبة ابريل » أو الرغبة في التهمك على الآخرين ، خصوصا من كانوا
اضعف منه ، أو أقل ثقافة ومركزا ، بقصد المسرة الذاتية .

(د) وقد يكذب الانسان بسبب حالة نفسية يعاني منها نتيجة تربيته
الاولى المسكرة ، مما يجعله هيبا مترددا ، يشعر بالخوف يطارده في كل عمل
يعمله . ويقول العلماء ان الكذب من المشكلات التي تتصل اتصالا وثيقا
بالخوف . ويرى بعض الباحثين ان الكذب الحقيقي عند الاطفال لا ينشأ الا
عن الخوف ، والفرص الاساسي منه حماية النفس . وقد يحدث ان يكبر
الانسان عد أن تكون هذه الحالة قد استحالت فيه الى عقدة نفسية تلازمه .

(هـ) وقد يكون الدافع للكذب عوامل نفسية اخرى كالشعور بالنقص
أو الخجل . كالشباب الذي يجالس مجموعة من الشباب المستهترين الذين
يفاضلون بمغامراتهم الشريرة ، فينتحل هو الآخر قصصا ومغامرات مجازاة
لهم . والشباب الذي ينشأ في عائلة فقيرة ويندمج في اوساط ارقى من مستواه
الاجتماعي ، فيكذب خجلا وهو يتحدث عن نسبه وعائلته .

(و) وبخلاف الاسباب التي ذكرنا . قد يكون الدافع للكذب عوامل
لا شعورية خارجة عن الإرادة لا محل لذكرها .

على آية الحالات ، فإيا كان الدافع للكذب فهو شر وخطيئة ، لأنه يتناق
مع شريعة الكمال والمحبة التي لا تطلب ما لنفسها ولا تفرح بالاثم . ويكفى أن
الرب يسوع سر أن يدعو ذاته « الحق » . وبسبب الكذب يدخل النفس في
المعاملات ، وتهدم عائلات . وهو يجر إلى الحلف الباطل والتزاع والخصام
وانواع كثيرة من الرذائل .

خطورة الكذب :

١ — **ترجع خطورة الكذب إلى أنه يستر خطايا أخرى .** إن شيطان
الكذب يتعاون تعاوناً وثيقاً مع بائى الخطايا ، بل وشجعها ويساعد عليها ،
فحينما يفعل الإنسان فعلاً تسحاً شائناً ، ويملح في إخفائه بالكذب ، فإن ذلك
يشجعه على التماهى فيه . ومن عادة الشياطين أنهم بعد أن يوتغوا الإنسان
في خطيئة ما ، يبركوه لشيطان الكذب يدر معه الخطط التي تلى ذلك .

٢ — **وثمة علاقة كبيرة بينه وبين بعض الخطايا الأخرى كالسرقة**
والفحش . فقد وجد الباحثون في جرائم الأحداث بنوع خاص ، أن من اتصف
بالكذب ينصف عادة بالسرقة والفحش أو العكس . ولا غرابة في ذلك إذا علمنا
أن هذه الحصال الثلاث . تشترك في صفة واحدة . هي عدم الأمانة . فعلى
حين أن الكذب هو عدم الأمانة في وصف الحقائق ، نجد أن السرقة هي عدم
الأمانة نحو ممتلكات الآخرين ، وأن الفحش هو عدم الأمانة في القول أو الفعل
بشكل عام .

٣ — **أن من يكذب يرتكب خطية ضد الله باعتباره « الحق » (يو ١٤: ٦) ،**
وضد من يكذب عليه ، وضد ذاته المخلوقة على صورة الله ومثاله . وقد نهى
الرب عن الكذب منذ القديم ، فقال لشعبه : « لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا
تفدروا أحدكم بصاحبه » (لا ١٩ : ١١) .

٤ — **وهو يتناق مع الحياة الجديدة التي لنا في المسيح .** يقول الرسول
« لا تكذبوا بعضكم على بعض ، إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ، ولبستم
الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالته » (كو ٣ : ٩) . وحينما
نصح هذا الرسول مؤمنى كنيسة أفسس أن لا يشاركوا إثم في سلوكهم
وأوصاهم أن يخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد
ويلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق ، أردف
بعد ذلك ناصحاً « لذلك اطرحدوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد
مع قريبه لأننا بعضنا أعضاء البعض » (أف ٤ : ٢٢ — ٢٥) . ونلاحظ هنا
أن نصيحة الرسول بخصوص الكذب تأتي في مقدمة نصائحه التي تلت ذلك
عن الغضب والغبط والسرقة والسخط والتجديف والحنث (أنظر أف ٤) .

٢٥ — ٣٢) ، مما يدل على أن الكذب مصدر كثير من الرذائل الأخرى . وأولى المؤمنين أن يتخلص من رذيلة الكذب قبل أية رذيلة أخرى .

٥ — **ويكفى لظهور خطورة الكذب وبشاعته ، أن الكذاب ينسب للشيطان ، بل يعتبر ابناً له .** وقد أعلن لنا الرب ذلك بقوله عن الشيطان « لانه كذاب وأبو الكذاب » (يو ٨ : ٤٤) . وأعلن الحكيم مقدار مقت الله للكذب بقوله « كراهة الرب شفتا كذب ، أما العاملون بالصدق فمراضه » (أم ١٢ : ٢٢) . وعلى العكس من ذلك الصدق الذي هو إحدى صفات الله . قال الرب بلسان اشعيا النبي « أنا الرب متكلم بالصدق ، مخبر بالاستقامة » (اش ٤٥ : ١٩) . وقال عنه الرائي : « الشاهد الأمين الصادق » (رؤ ٣ : ١٤) .

هل من مبرر للكذب ؟

ليس هناك مبرر للكذب . فالكذب شر على الإطلاق ويتناقض مع طبيعة الله الخيرة ، فليس هناك كذب مضموم وآخر مقبول . **ولا تقر المسيحية ألواناً مختلفة للكذب ! فليس هناك كذب أبيض كما يدعى البعض .** فنحن كأنساء الله الذي « شاء فولدنا بكلمة الحق » علينا أن نسلك في الحق .

ليس هناك مبرر للكذب مهما كان الدافع اليه مستقيماً أو مقدساً ، **فالغاية لا تبرر الوسيلة بحال من الأحوال كما يتوهم البعض ،** فلا تحفظ فضيلة على حساب فضيلة أخرى ، ولا تنفذ وصية بكسر وصية أخرى .

رب سائل يقول « إذا كان كذبي ينقذ حياة الإنسان أو مستقبله مثلاً ، ألا يعتبر خيراً في هذه الحالة ؟ » والجواب على ذلك بالنفي . فالكذب خطأ ، والشخص الذي لم يجد وسيلة لاتقاذ حياة الإنسان سوى الكذب هو انسان عمل عميلين في وقت واحد أحدهما خير والآخر شر . فعلى الرغم من أن له عذره وأنه لم يكن كامل الإرادة ، وأنه كان حسن النية ومستقيم الغرض ، إلا أن هذا كله لا يمنع من أن الكذب خطأ ، ولكن هذا كله يخفف المسؤولية عن هذا الخطأ ويشفع في مرتكبه .

والتجربة أظهرت أن كل مشكلة تحل على أساس الكذب ، إنما يكون حلها وقتياً ، لا يلبث أن ينتج عنه أخطاء أخرى فضلاً عن أنه يكون على حساب صالح الآخرين . ولكي نوضح ذلك نسوق المثل الواقعي التالي :

« أم توجهت الى ناظر إحدى المدارس الثانوية بالقاهرة تشكو اليه المفوضى الشديدة بأحد فصول الثانوية العامة التي كان ابنها طالبا فيها ؟ »

مما يسيء الى مصلحة ابنها ولا يتيح له الاستفادة الكاملة بمجهود الاساتذة المدرسين . اسدعى ناظر المدرسة الطالب وواحيه بأتوال أمه وشكواها ، فتوجيء الطالب بذلك ووقع في مرق حرج . لان ناظر المدرسة طالعه بأن يذكر له أسماء الطلبة الذين يحدثون الموسيقى في الفصل . عأسقط في يد الطالب واضطر الى ذكر أسماء ثلاثة من زملائه على كره منه . ولما مثل هؤلاء أمام ناظر المدرسة . سأل احدهم ان كان يدخ السجائر مأنكر . فطلب الى احد مدرسيه — وكان واقفا — ان يعاين أصابعه ويشهها ليتحقق من هذا الامر . . كان الطالب يدخ السجائر بالفعل . ولكن المدرس احدثه الشفقة واجاب ناظر المدرسة بالنفي . شفقته منه على ذلك الطالب . لانه كان مفصولا من مدرسة أخرى بسبب سوء سلوكه . وهكذا انتهى الموضوع ، ربما بنصيحة أو بمقايب تافه . واستمر الطالب المذكور في مسلكه السابق أثناء القاء الدروس . ونحن نرى أن المدرس اساء الى التلميذ ذاته لانه بكفه ، شجعه على الاستمرار في سلوكه . الذي يسبه فصل من مدرسه أخرى . واساء الى بقية تلاميذ الفصل الذين يضيق التلميذ المستهتر وقتهم الثمين . واساء الى نفسه لانه لم يكن صادقا فارتكب خطية . واساء الى الحق ذاته لانه اخفاه . هذا بالإضافة الى آخرين اساء اليهم بطريقة غير مباشرة ، مثل اهل ذلك التلميذ الذين ليس من صالحهم ان يشب اسمهم هكذا فاشلا . واهل بقية تلاميذ الفصل بها عساه ينجم عن تصييع وقتهم وعدم استفادتهم الفائدة المرجوة ، والمجتمع كله يتبعه وحود عصب متحل فيه . وكان الأولى بالمدرس ان يقول الصدق ، ويتحمل الطالب العقوبة فان ذلك انفع له ولغيره . ولا نظن ان المدرس يتصرمه هذا قد حل مشكله ذلك الطالب ومشكلة اربعم طالبا معه بالفصل .

لقد اختبر كل الصادقين ان حبل الكذب قصير وانه لا يوصل الا الى نجاة مؤقتة ان حدثت نجاة . اما الصدق فانه ينجي من العقاب الابدی اولا ، وغالبا ما ينجي ايضا من الشر في هذا العالم او في القليل يخفف العقوبة .

ولا ننكر ان هناك مواقف على جانب كبير من الحرجة تتطلب عدم الصدق الحرجي ، وتحتاج الى كثير من الحكمة واللباقة والكياسة . مثال ذلك طبيب يعالج مريضا حالته الصحية متأخرة . بماذا يجيب لو سأله المريض عن حالته الصحية ؟ قطعاً لا يمكن ان يجيب اجابة صريحة لان ذلك يسيء الى صحة المريض . وواحد الطبيب ان يدخل الطمأنينة الى نفس المريض لان ذلك يساعده على الشفاء . بل تصير الطمأنينة جزءا هاما من العلاج . وعلى الطبيب في هذه الحالة ان يكون حكيماً في احاطته بحيث لا يكذب ولا يحطم نفسية المريض بصدقه . وما أوردناه في هذا المثل يصلح قياسا للنسج على منواله في الحالات المتشابهة .

ما يدخل تحت الكذب :

ويدخل تحت الكذب المبالغة المقصودة في القول ، وتعتمد عدم تحصى الدقة في التعبير . وهذه — وان كانت تدخل تحت موضوع الكذب — فهي أيضا خطية مركبة لان لها هدفا آخر بحسب الغاية التي من اجلها قيلت . ومن امثلة ذلك من يبالغ بفرض الانفخار والمباهاة والكبرياء ، او من يبائع بقصد الحاق الاذى والضرر بالآخرين .

ويدخل ايضا تحت الكذب : الكلام الذي يقصد به قائله ان يكون مبهما او ملتويا بقصد اعطاء معلومات غير سليمة .

وقد يلبس البعض الكذب ثوبا آخر ، حتى لا يبدو سافرا ، وهم يحسبون ذلك من تبيل الحكمة او الحق ... ان هذا التصرف وامثاله لا تخرج عن كونها كذبا .

عقوبة الكذب :

١ — عقاب زماني :

(ا) مهما اتقن الكذاب كذبه ، فلا بد وان يفتضح ، حتى لو نجح في ذلك مرة ومرات . الله نفسه الذي مر « ليس مكتوم لمن يستعلن ، ولا خفي لمن يعرف » (مت ١٠ : ٢٦) ، والذي « ينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب » (١ كو ٤ : ٥) وهو الذي يفصح ويظهر كذبه . واذا كان الكذب من صنع الشيطان ، واذا كان الرب قد قال « كل ما قلتوه في الظلمة يسمع في النور ، وما كلمتم به الاذن في المخادع ينادي به على السطوح » (لو ١٢ : ٣) ، فان الكذاب وكذبه لا يثبتان . قال الحكيم « شفة الصدق تثبت الى الابد ، ولسان الكذب انما هو الى طرفة العين » (ام ١٢ : ١٩) .

(ب) اما النتيجة الطبيعية لافتنصاح الكذاب ان يفقد تقدير الناس واحترامهم وثقتهم به وبكلامه . ان كلماته كلها تقاس بمقياس الشك وتوضع في ميزان الرب قبل تصديقها وقبولها ، حتى لو قال حقا وصدا ذلك نتيجة الفكرة السابقة التي تكونت عنه .

(ج) واذا كان افتنصاح الكذابين وما يترتب عليه من فقدان ثقة الناس واحترامهم لهم ، انما تعتبر عقابا ادبيا ينزلونه هم بانفسهم على انفسهم فانهم ينالون عقابا ماديا ايضا . فبحسب الذي كتب على مطبه اليسع ، انتقل اليه ببرص نعمان السرياني (٢٠٠ - ٢٧) . وحنانيا ومفسرة اللذان كتبنا على الرسل سقطا لوقتهما . تير بعد ان سمع حنانيا ثوبينخ القديس بطر من

« لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس .. أنت لم تكذب على الناس بل على الله » (اع ٥ : ٣ - ١٠) .

٢ - عقاب أبدي :

ولا يقتصر الامر بالنسبة للكذابين على ما يلحقهم من عقاب في هذه الحياة الدنيا . بل يبعدها الى الحياة الابدية ايضا . قال داود النبي « تهلك المكلمين بالكذب » (مز ٥ : ١٦) . وقال الحكيم سليمان « شاهد الرور لا ينفرا والمنظم لا كاذب لا ينحو » (ام ١٩ : ٥) . وبوحنا الرائي انذى دور لنا ما سيكون في العالم العبد . حدثنا عن مصر الكذابين قال « **وجميع الكذبة نصيبهم في البحيرة المنقذة بنار وكبريت** » (رؤ ٢١ : ٨) . وشمة الآفة السابقة تروى الكذابين سيكونون في بحيرة واحدة مع غير المؤمنين والرجسسين والثالثين والزناة والسحرة وعبداء الاوثان !!

علاج الكذب :

■ ذكرنا ونحن نستعرض دوافع الكذب ، اسبابا ودوافع مختلفة له . وفي علاجه يلزم علاجاً خاصاً لكل من هذه الاسباب .

■ يحتاج الامر الى **اقتناع فكري بقيق الكذب** الذي يسببه الانسان الى ذاته . ويحلب لها الاحترار حينما ينكشف الكذب . بل وأكثر من هذا ان احدا لا يصبح مستعداً لتصديق من تكرر كذبه لانه « كذاب » .

■ ويحتاج الامر ايضا الى **اقتناع فكري بعدم جدوى الكذب** . ان كان الانسان يلوذ به طلباً للنجاة . فلقد اختر كل الصادقين ان حبل الكذب قصير وأنه لا يوصل الا الى نكسة مؤقتة . ان حدثت نكسة نكسة . أما الصدق فهو ان لم ينجح حياة كاملة — فهو على الاقل يخفف العقاب الرمنى وينجى كلفة من العقاب الدهري .

■ والكذب الذي يدفع اليه الخوف يلزم لمعالجه شجاعة قلبية نتيجته تمسك الانسان بخالفته . لانه على انكل فانحيه . استره لانه عرف اسمى . معه انا في الشدة انقذه وامحده « امر ١٩١ » . علينا ان نقبل اى ضرر قد ياتى علينا من جراء صدقنا . بصبر مسريح . ولنعلم ان العدو الشرير كثيراً ما لوح بأضرار تقع علينا في حالة قولنا الصدق . ولكننا ما ان تمسكنا بالهنا وبصدقنا . حتى تتدد العدو من أمامنا . وظهر تلويجه خيالا . علينا ان نقف بالفتية الثلاثة ، الذين قالوا في شجاعة نادرة ، حينما هددوهم بالالقاء في النار ادا لم ينكروا الههم « ياتوا وحدثنا » لا يلزمنا ان نحبيك عن هذا الامر . هوذا يوجد الهنا

الذى بعده ، يستطيع ان ينجينا من اتون النار المتقدة ، وأن ينتقنا من يدك ايها الملك . والا فليكن معلوما لك ايها الملك أننا لا نعبد الهتك ، ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته » (دا ٣ : ١٦-١٨) .

■ وبوجه عزم . فان الكذب يحتاج فى علاجه الى توبة صائقة وحياة مقدسة مع الرب . فقد قلنا ان الكذب ياتى كخطوة ثانية بعد الخطية التى يفعلها الانسان ، بقصد اخفائها والتستر عيها . وحينما نحيا مع الله الحياة المرصيه سنجاهد للتخلص من اخطائنا ، فلا نلجأ الى الكذب لاختفائها !

وحينما يحيا الانسان حياة الروح يصبح — ان هو ضعف او سقط فى خطيه — مستعدا للاقرار بها والاعتراف عنها والاعتذار لمن اخطأ واساء اليه . بل يصبح مستعدا — عن طيب خاطر — لتحمل العقوبة التى يستحقها . ومع هذه الحياة المقدسة سيسمو الانسان من البغضة والكراهية ، ويزداد حبه لجميع الناس وعطمه عليهم ، فلا يعود يسر بالحق الاذى بهم .

■ اما الكذب الذى تدفع اليه عوامل نفسية — كما سبق ان ذكرنا — فاننا نرى ان الاعتراف والوجود فى اجواء روحية مقدسة يصلح أن يكون علاجاً لأمثال هذه الحالات سواء بواسطة الأب الروحى — ان كان ذلك فى امكانه — واما بواسطة احصائيين نفسيين عن طريقه ايضا .

واجب المربين :

وهناك واجب هام ملقى على كاهل المربين خاص بموضوع الكذب وخطايا اللسان عامة — سواء اكان هؤلاء المربون والدين ام معلمين ، اخوة او مرشدين — عليهم واجب نحو الصغار . يقول العلماء ان الطفل اذا نشأ فى بيئة بحرم الصدق قولاً وعملاً ، فطبعى جداً ان ينشأ أميناً فى كل اقواله وافعاله . هذا بالاضافة الى توافر العوامل اللازمة لتحقيق حاجاته النفسية الطبيعية من اطمئنان وحرية وتقدير وعطف وشعور بالنجاح واسترشاد بتوجيه صالح . فاذا توافر هذا كله للطفل ، فانه لا يلجأ الى التعويض عن نقص او التغليف ضد القسوة او الانتقام او غير ذلك من الاتجاهات التى تجد فى انواع الكذب صوراً مناسبة للتعبير عن نفسها .



الحلف

الحلف أو القسم ، كما يعرفه اللاهوتيون ، هو استدعاء اسم الله للشهادة ، إما على صدق قول أو توثيق وعد . ويعتبر حلفاً أيضاً ، استخدام أقسام أخرى ، غير اسم الله ، حسبما يقول يعقوب الرسول « ولكن قبل كل شيء يا أخوتي ؛ لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض . ولا بقسم آخر . بل لتكونكم نعم ولاكم لا ، لئلا تقوموا تحت دينونة » (يع ٥ : ١٢) .

أسباب القسم :

- (أ) توكيد المصدق قولهم .
- (ب) اظهار البراءة لهم من خطا او تهمة مسببت اليهم .
- (ج) على سبيل التعمود لاتفه الاسباب ، وربما تغير سبب .

لماذا لا نقسم ؟

(أ) اذا كان الحلف هو استدعاء اسم الله للشهادة . فيعتبر من الاستهانة بالاسم العظيم أن نستدعيه للشهادة سواء حقاً أم كذباً . وقد نهاها الرب يسوع عن الحلف كلية بقوله « لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسي الله ، ولا بالأرض لأنها موطن قدميه . ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم . ولا تحلف برأسك لأنك لا تدري أن يجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء . بل لتكون كلامكم نعم نعم لا لا . وما راد على ذلك فهو من الشرير » مت ٥ : ٣٤-٣٧ .

والسيد المسيح قيل أن يورد الآيات السابقة عن الحلف قال « أيضاً سمعتم أنه قيل للقديس لا تحدث بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة . » (مت ٥ : ٣٣ ، ٣٤) . ومعنى ذلك أن الرب يسوع بعد أن أشار إلى ما كان متبعاً ، أعطى الوصية ناهياً أياباً عن القسم بـ شيء صورة أو شيء . ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم في هذا المعنى « أن قلت وإي ضرر يصيب من أقسم عن ضرورة ، أجبتك وإي ورر اذن على من لا يؤمن . فحسبنا وجد تجاوز الناموس فلا اعتبار حينئذ للضرورة مطلقاً ، إذ الضرورة هي شيء واحد ، وهي أن لا يصير الواحد عدواً لله » .

(ب) لاحظ قول الرب « وما زاد على ذلك فهو من الشرير » (مت ٢٧: ٥)، أى فهو من الشيطان . ويؤكد هذا المعنى يعقوب الرسول بقوله « ولكن قبل كل شيء يا اخوتي لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر . بل لتكن نعمكم نعم ولاكم لا لئلا تقعوا تحت دينونة » (يع ٥ : ١٢) . قال الحكيم ابن سيراخ « لا تعود فمك الحلف ، وتسمية العلى لا تحلف بها » (سى ٢٣ : ٩) .

(ج) ان العلة التى لأجلها لا يجوز لنا أن نحلف ، هى أننا لا نملك الشيء الذى نقسم به . فإنا لا أملك ذاتى حتى أقسم بها ، ولا أملك شعرة واحدة من شعر رأسى ، ولا أملك تغيير لونها ، ولذا لا يجب أن أحلف برأسى . أما الرب فهو وإن كان أقسم بهذاته فى بعض الأحيان فى العهد القديم (تك ٢٢ — ١٦ ، أش ٤٥ : ٢٣) ، فما ذلك إلا لأنه يملك ذاته . ومع أن الله يملك ذاته وله أن يقسم بها ، فإنه لم يرد فى البشائر الأربعة أن السيد المسيح — وهو الله الذى ظهر فى الجسد — أقسم على الإطلاق ، بل كان حينما يريد أن يؤكد شيئاً هاماً كان يقول « الحق الحق أقول لكم » (أى صدقونى ، أو ما أقوله لكم هو الصدق) .

وحينما أعطانا الرب يسوع وصية عدم الحلف ، أعطاهنا وصية مطلقة فى كلمات قاطعة لا تقبل التناويل . وعلى ذلك فلا يجوز الحلف بالله أو بالقدسين والشهداء ولا بأى مكان أو شيء آخر .

(د) وبخشي أن نحن أبخنا استخدام القسم ، أن الانسان قد يقسم فى نوبة غضب أو مجال تناخر . . وعندما يزول السبب الذى لأجله أقسم ، يجد نفسه مقبداً بالقسم ويظل الشيطان يلح عليه ويزعجه لكى يتمه . وهذا ما ساء مع هيرودس الملك ، إذ لما رقصت ابنة هيروديا فى حفل ميلاده وسر بها . وعند بقسم أنه مهما طلبت يعطيها « . فلما طلبت رأس يوحنا المعمدان على طبق . اعتم الملك ، ولكن من أجل الاقسام والمتكئين معه أمر أن تعطى . سل وقطع . س يوحنا فى السجن » (مت ١٤ : ٦ — ١٠) .

الحلف على سبيل العادة :

نلاحظ أن الحلف قد صار عند البعض مجرد عادة كلامية ، ينطقون به دون تفكير ، فيرددون اسم الله ويؤكدون به كلامهم، وهم لا يقصدون توكيداً . ولا شك أن هذه خطية محزنة ، تكيل فيها كل معانى الخطية . فإن النطق باسم الله بطريق العادة ، وعلى سبيل القسم ، يدل على ضمير واسع ، يتسع للتفاضى عن ارتكاب المعاصى ، والضمير السليم لا يقبل التفاضى عن المعاصى .

عاقبة الحلف :

١ — ان الذين يتعودون القسم يسيئون الى ذواتهم دون أن يدروا، لأن كلامهم لا ينال التصديق الذى يناله كلام انسان عرف عنه الصدق دون حلفه . بل ان احترام من لا يحلف لوصية الله المقدسة التى تقتضى بعدم الحلف تعطى الناس فكرة عن مدى تقواه . وتدفعهم الى تصديقه . **قال القديس يوحنا الاسيوطى « الحلف الدائم هو الكذب بالحقيقة . والكلام الخالى من الحلف هو المملوء حقاً » .**

٢ — ولرب الاله نعمة عظيمة على المستهينين باسمه الاتدس وكرامته . قال زكريا النبى « وتمعدت ورفعت عيني ونظرت واذا بدرج طائر ، فقال لى ماذا ترى ؟ فقلت انى ارى درجا طائرا طوله عشرون ذراعا وعرضه عشر اذرع . فقال لى هذه هى اللعنة الخارجة على وجه كل الارض . لان كل سارق يباد من هنا بحسبها . وكل حالف يباد من هناك بحسبها . انى اخرجها يقول رب الجنود فتدخل بيت السارق **وبيت الحالف** باسمى زورا وتبيت فى وسط بيته وتقفى مع خشبه وحجارته » (زك ٥ : ١-٤) . وقال يشوع بن سيراخ **« الرجل الكثير الحلف يمتلئ اثما ، ولا يبتعد عن بيته العذاب »** (س ٢٣ : ١١) . لقد شرب بيلشاصر الملك الخمر فى آنية الرب فانتقم منه الله انتقاما عظيما (دا ٥ : ٢٢-٢٧) ومثل هذا يحل بكل من يجعل اسم الله لقمة سائغة فى فمه مثل بيلشاصر . ولذا قال الرسول « اسم الله يحذف عليه بسببكم » (رو ٢ : ٢٤) .

علاج الحلف :

١ — الذين يحلفون تأكيدا للكذب يرتكبون اثما مصاعفا . وطبعاً لا سبيل لأن يقلعوا عن الحلف الا باتلاعهم عن الكذب الذى يدفعهم الى الحلف .

٢ — واذا كان الدافع للحلف ، هو الرغبة فى ان يصدقنا الآخرون ، فنحن غير ملزمين بذلك . ولمدح الله يقتنعهم بصدق اقوالنا وبراءة ساحتنا ، ولا شك انه سيفعل . على الانسان فى كل مشكلة تعترض حياته وتتطلب كسر وصيه من وصايا الله . ان ينظر الى الله فى ناحية . والى الخطية فى الناحية الاخرى . ويوازن بينهما . واضعاً نصب عينيه القول الالهى « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » .

٣ — واذا كان الدافع الى الحلف هو الرغبة فى ان يصدقنا الآخرون ، نظراً لأن عدم تصديقهم لكلامنا مرجع الى الفكرة السيئة التى تكونت عندهم عنا بسبب حياتنا السابقة المنحرفة ، حتى لو كنا تركنا حياتنا الاولى بها فيها

من كذب — في هذه الحالة أيضا نترك الله يعمل والوقت يظهر حياننا الجديدة .
فلتخمس الذي تكلمه ، ان كلن لا يصدقك مرة ومرتين وثلاث مرات ، ولكنه
في النهاية سيصدقك .

{ — أما الذين تعودوا الحلف لسبب تافه او لغرض سبب اصلا ، هؤلاء
يلزمهم اقتناع فكري بجسامة هذه الخطية ، مع السلوك في تدريب يومى الى
ان يقلعوا عن ذلك ، ولا شك في انهم سيمثلون بالتدريج . ويشير القديس
يوحنا ذهبى الفم بتدريب صارم على الذين تعودوا الحلف فيقول « متى
شاهدت نفسك او احد غلمانك واولادك يقسم بحلف مؤكد دائما ، فمره ان
لا يطعم طعاما بالكلية ، وانعل هذا مع ذاك ان كنت متعودا الحلف ، لانه
متى تادب اللسان الجريء ، لا يعود يجسر بعدها على الحلف ، لان تضور
الجوع يجعله يتعفف عن ذلك » . ويقول ايضا « ادب يا هذا امتداعك واهل
منزلك . لان اللسان متى هذب يفر من القسم فراره من الماراة » .

وعليهم ايضا ان يصلوا في كل صلاة طالبين نعمة الرب للاقلال عن هذه
العادة . وليدرب هؤلاء انفسهم ايضا على استعمال الفاظ مثل « صلاتي »
بدل لفظ القسم .



النِمة والإغتياب والزم

وهذه ثلاث خطايا يجمع بينها شبه كثير ، وتهدف الى عاية تكاد تكون واحدة . فالنِمة هي اظهار الكلام بقصد الوشاية ، ورنعه على وجه الاشاعة والامسار . والاغتياب هو ذكر شخص بما فيه من السوء في غيبته . والدم هو ضد المدح . اما عايتها فهي التعريض بالناس وتشويه سمعتهم امام الآخرين وهدم حياتهم ادبيا — ان مرتكبي هذه الخطايا ينطبق عليهم وصف الحكيم « الرجل اللئيم ينبش الشر ، وعلى شفقيه كالنار المتقدة » (ام ١٦ : ٢٧) .

اسبابها :

وهذه الخطايا كما اوضحناها تعرض عليها افكار الاداسه او الحسد ' الحسد ، وهذه بدورها تصدر عن الكبرياء وقلة المحبة .

خطورتها :

١ — ان الله يمقت هذه الخطايا ويبغض مرتكبيها ، لان خلفها تستتر خطايا اخرى كالكبرياء والبغضة والحقد والحسد . . وقد نهى الرب عنهما قديما بقوله « لا تسع في الوشاية بين شعبك . لا تتف على دم فريستك . انا الرب » (لا ١٩ : ١٦) . وحينما اخذ يعدد رجاسات اورشليم على لسان حزقيال النبي قال « كان فيك اناس » شاة لسفك الدم » (خر ٢٢ : ١٩) . وقال داود النبي عن النِمة « الذي لا يشي - سانه » ، ولا يصنع سرا بصاحبه . ولا يحمل تعبيرا على قريبه . . الذي يصنع هذا لا يترعرع الى الابد » (مز ١٥ : ١ - ٥) . وقال عن الاغتياب « لم اضع امام عيني امرا يخالف الناموس . . الشرير لا اعرفه . الذي يفتاب صاحبه سرا هذا اقطعه . مستكبر العين ومنفتح القلب لا احتله » (مز ١٠١ : ٣ - ٥) . واما عن الذم فيقول يعقوب الرسول « لا يذم بعضكم بعضا ايها الاخوة . انذى يذم اخاه ويدين اخاه ، يذم الناموس ويدين الناموس » (يع ٤ : ١١) .

وعلى الرغم من ان المشائر الاربعة لم تمدنا الا باليسير جدا من تعاليم يوحنا المعمدان « سابق الرب واعظم مواليد النساء » ، لكن هذا اليسير تضمن تعاليمنا بخصوص هذه الخطايا ، وذلك مما يدل على اهميتها . قال لحندين ردا على سؤال لهما عما يفعلونه « لا نظلموا احدا ، ولا تشوا باحد » (لو ٣ : ١٤) . قال الحكيم ابن سيراخ « لا تكن نماما ولا تؤاخذ بلسانك فخرى .

لأن على السارق الخزي والندامة له . والذم الخبيث لذى اللسكين »
(س ٥ : ١٤) .

وليس ادل على مدى مقت الله لهذه الخطايا ، من أنه يفضحها ، ولن يتوانى عن اظهار براءة عبده المقترب عليهم . حيث نية كل الرب يسوع يخرج شيطانا من رجل اخرس ، ان بعض اليهود قالوا انه « ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » . ولكن للحال « رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما »
(لو ١١ : ١٥ ، ٢٧) .

٢ — ومن جهة الناس هم يفضون هذه الخطايا ، لأنها تهدم الاشخاص والبيوت وتزرع البغضة والخصومة بين الاصقاء وتوقع بينهم ، ولذا قال الحكيم « رجل الاكاذيب يطلق الخصومة والنمام يفرق الاصقاء » (ام ١٦ : ٢٨) وقال أيضا « بعدم الحطب تهدا النار ، وحيث لا نمام يهدا الخصام » (ام ٢٦ : ٢) . بل ان الناس يعدونها اشد تبعا من السرقة ، فالسارق يسرق الاشياء المادية التى يمكن تعويضها ، أما النمام فيسلب صيت الناس وأعراضهم ، وهما شيئان لا يقومان بمال حسبما يقول الحكيم « الصيت أفضل من الفنى » (ام ٢٢ : ١) .

٣ — ويزيد من خطورتها أنها لا تتمشى مع الحياة الجديدة التى يحياها الانسان بعد أن تمس النعمة الالهية قلبه . وليس ادل على ذلك من قول زكا رئيس العشارين للرب يسوع « ها انا يارب أعطى نصف اموالى للمساكين ، وأن كنت قد وثقت بأحد ارد اربعة اضعاف » . فكان جواب الرب على مشاعر زكا التى صيغت فى هذه الكلمات « اليوم حصل خلاص لهذا البيت »
(لو ١٩ : ٨ ، ٩) .

٤ — والملتصق بهذه الخطايا يسىء الى نفسه أكثر مما يسىء الى غيره . فإساءاته الى الأبرياء سيكشفها الله ، ويرد كيده الى نحره ، ويظل هو الوحيد ذا السمعة الرديئة . قال داود النبى « رجل لسان لا يثبت فى الأرض » (مز ١٤٠ : ١١) . انه كمن ينظف فتيلة الشمعة أو شريط مصباح الفازمان ضوءها يزداد قوة وهاء بينما تلتوث أصابعه . ولا يلبث أن ينفر منه الناس ويحترسون منه لأنهم يخشون أن يتناولهم بلسانه مظلما يتناول غيرهم .

القديسون وهذه الخطايا :

ومن أجل تبخ هذه الخطايا وخطورتها ، اوصانا الله الا نتصل بأصحابها ولا نخالطهم كما يقول الحكيم « الساعى بالوشاية يفشى السر » فلا تخالط المفتاح شفتيه » (ام ٢٠ : ١٩) . وأكد هذا المعنى الآباء القديسون فى نصائحهم . قال أحد الآباء ينصح تلاميذه « لسان الثعبان أخف من لسان

الشیطان . . من أجل أنه يهيج اضطرابا وحروبا كثيرة بين الاخوة ، ويقيم فتنا وشرورا وسط اهل السلامة ، ويفرق مجامع كثيرة . لسان النمام لا يفترق عن لسان الحية . مالاصلح ان تسكن مع الحية والعقرب من ان تسكن مع دى لسان نمام . والآن انا اوصيكم ان تهربوا من النمام هروبا عظيما . وحس ان كان متوحد او سائح او مجاهد نماما ، فاهربوا منه . وان كان ابوك او اخوك نماما فاطرح عنه خارجا فالاصلح ان تقيم مع اسد وليؤة من ان تقيم مع نمام . فلا تستح ان تهرب منه بعيدا لئلا يقتلك بسفه الذى للخطية » .

وقد اوصانا الاء القديسون ايضا انه اذا جمعنا مكان واحد مع اساس وبدا يكلم بالشر على آخرين فلا نجاريه ولا نستحي منه ، بل فلنحول الحديث الى امر آخر نافع ، او نظهر عدم استعدادنا لسماع مثل هذا الكلام . قال القديس مقاريوس الكبير « احفظوا اسماعكم من كلام النميمة لتسكون قلوبكم نقية » .



شهادة الزور

وهذه خطية مركبة لأنها تنطوي على كذب وحلف باطل . وربما كانت ضد المحبة حينما تستهدف الإساءة إلى أحد الطرفين المتنازعين . وذلك باخفاء الحقائق وكتمانها عن القضاة أو الحكيمين ليقضوا بغير الصواب والعدل . فتضيع حقوق أحد الطرفين ، وربما امتهنت كرامته وثلثم صيته .

الله وشاهد الزور :

وقد أفرد الرب لشهادة الزور وصية خاصة ، هي الوصية التاسعة من الوصايا العشر ، قال « لا تشهد على قريبك شهادة زور » (خر ٢٠ : ١٦) . أن الله « حق » و « محبة » والذين يشهدون بالزور يتأولمون الحق ويشوهونه ويعملون ضد ناموس المحبة ، ويساعدون على نشر الظلم وتوسيع نطاق الفس . ولذا لا نعجب إذا رأينا الوحي الإلهي يحذرنا من السقوط في هذه الخطية تحذيرا رهيبا بقوله « لا تصنع يدك مع منافق لتكون شهادك ظلم » (خر ٢٣ : ١) . كما أمر قديما أن يعاتب شاهد الزور بأن يفعل به ما كان ينوي أن يفعله بأخيه (تث ١٩ : ١٦-١٩) . قال الحكيم « شاهد الزور لا يتبرا والمتكلم بالأكاذيب لا ينجو » (أم ١٩ : ٥) .

واجبنا إزاء الشهادة :

تتجانب الإنسان المطلوب للشهادة مشاعر عاطفية كثيرة خصوصا إذا كانت تبرئة المذنب تتوقف على شهادته ، وكان لا يترتب على هذه التبرئة ضرر يلحق بالإنسان آخر — أو هكذا يعتقد هو . لكن ليعلم شاهد الزور أنه بخيلته يرتكب عدة خطايا :

(أولا) في حق نفسه لأنه يرتكب عملا ممقوتا لدى الرب كما يقول الحكيم « مبريء المذنب ، ومذنب البريء كلاهما مكرهة الرب » (أم ١٧ : ١٥) .

(ثانيا) في حق من شهد زورا لصالحه إذ ربما العقاب الذي سيناله في هذه الحياة الدنيا يكون سببا في نجاته من العقاب الأبدي .

(ثالثا) في حق الله معطى هذه الوصية . ومفروض فينا أن نقدم دليل حينا لله كأبناء خاضعين له بحفظ وصاياه بغض النظر عن أى اعتبار آخر ، « أن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » (يو ١٤ : ١٥) .

■ **حينما يستدعى انسان للشهادة فى امر ما او فى قضية من القضايا ، عليه ان يشهد بالحق ويجرد ذاته من كل الدوافع والمواطف الخيرة ، غاضا الطرف عن كل الاعتبارات . ان الرحمة والمحبة وصيتان الهيئتان ، كما ان الشهادة بالحق وصية الهية كذلك . فكيف نتم وصية بالتغاضى عن وصية اخرى . وكيف نحفظ الاولى بكسر الثانية ؟ !**

■ **ربما كانت الشهادة المطلوبة لحسم نزاع بين شخصين ، وربما كانت بين شخصية حقيقية واخرى معنوية (كمصلحة حكومية او هيئة عامة او شركة مثلا) . وربما شجع الانسان على شهادة الزور فى الحالة الثانية شعوره بانّه لا يلحق ضررا بانسان آخر . لكننا نعود ونؤكد ان الوصية هي الوصية ، وحفظنا لها هو دليل حبنا لالهنا .**

■ **ربما طلب من الانسان تادية الشهادة فى قضية ، وعليها يتوقف مستقبل انسان يعرفه ، كالفصل من وظيفته او الحكم عليه بالسجن او الحاق ضرر جسيم به . لا يجب علينا أن نفكر فى النتيجة ، لان الغاية لا تبرر الوسيلة بل يجب أن تكون الغاية جيدة ومقدسة والوسيلة جيدة ومقدسة كذلك ، بل علينا أن نكون أمناء فى أداء الشهادة . اما مشاعر الحب والعاطفة والرحمة ، فאלله اكثر منا حبا لذلك الانسان واكثر عطفا عليه . وهب اننا كنا متاكدين من براءة هذا الانسان فلنؤد الشهادة كما يليق بالحق والصدق .**

■ **حينما تتحرك فيك الرغبة لشهادة الزور — حتى لو كانت بدافع خير — فعليك أن تتذكر الشاهدين اللذين شهدا زورا على الرب يسوع امام قيانا رئيس الكهنة ، وبموجب شهادتهما حكم عليه بأنه مستوجب الموت (مت ٢٦ : ٦٠ ، ٦١) .**



الشتيمة

الشتيمة عبارة عن كلام ذم يقال لانسان في مواجهته ، وغالبا ما تصدر عن غضب يحركه حقد او حسد او بغضة او غيرة دينية منحرفة . وقد تستخدم أحيانا في مجاز الهزل والفكاهة .

موقفنا من الشتيمة :

يتساءل البعض عن موقفنا حينما نشتم ، ويقولون « الا يجوز الشتم — ولو على سبيل التخويف أو التأديب ؟ الا يجوز ان يستعمله الوالدون مع ابنائهم ، والمربون مع تلاميذهم ، والرؤساء مع مرؤوسيهـم ، والمخدومون مع خدـمهم ؟ » .

١ — كمستفهمين :

ليس انفع لبنيان حياتنا الروحية من النظر الدائم الى رئيس ايماننا ومكملـه الرب يسوع المسيح (عب ١٢ : ٢) الذي قال عنه القديس بطرس « الذي (المسيح) اذ شتم لم يكن يشتم عوضا ، واذا تألم لم يكن يهدد ، بل كان يسلم لمن يقضى بعـد » ١١ بط ٢ : ٢٣ . فليس لنا حينما نشتم ان نجواب شاتمينا بهتل كلامهم . فالرب قد علـمنا ان نبارك لاعيننا ونصلى لأجل الذين يسيئون اليـنا (مت ٥ : ٤٤ ، ٤٥) . وقال القديس بولس « باركوا ولا تلعنوا » (رو ١٢ : ١٤) . وقال القديس بطرس « غير مجازين عن شر بشر ولا عن شتيمة ، بل بالحرى مباركين . عالـمين انكم لهذا دعيتـم لكي تـرثوا بركة » (١ بط ٣ : ٩) .

حدث قديما ان شمعى بن جيرا شتم داود النبي وهو ملك على اسرائيل ، ورشقه بالحجارة .. اراد أحد اتباع داود ان يقتل ذلك الرجل الشاتم . لكن داود — وهو ملك — قال في وداعة كاملة « دعوه يسب ، لأن الرب قال له سب داود . ومن يقول لماذا تفعل هكذا .. لعل الرب ينظر الى مذلتى ويكافئني الرب خيرا عوض مسبته » (٢ صم ١٦ : ٥ — ١٢) .. حدثنا سبتان الراهبان عن أح مجاهد عفيف ، شتمه انسان سمعته غير جيدة . فما كان من الاخ العفيف الا ان اجابه قائلا « كنت قادرا على ان اجيبك بما يوافق كلامك هذا ، ولكن ناموس الـهى يفلق فـى » .

واحتمال الشتم وعدم مقابلتها بالمثل تولد في النفس انضاعا ،
يستأهل الانسان بسببه نعمة جزية . ولذا قال الرسول بولس « لذلك أسر
بالضعفات والشتائم . . لاجل المسيح ، لانه حينما انا ضعيف فحينئذ انا
قوى » (٢ كو ١٢ : ١٠) .

٢ - كشائمين :

اذا كنا مطالبين بالا تخرج كلمة رديئة من افواهنا (اف ٤ : ٢٩) ،
فكيف يشتم الانسان اخاه الذي على صورة الله ؟ ! ان ذلك الذي تشتمه سواء
كان رؤوسا او خادما ، فهو انسان مثلك مخلوق على صورة الله . ان اللسان
الذي به نصلى ونبارك الله الاب لا يليق به ان يستخدم في لعن الناس
وشتيمهم . وفي ذلك يقول يعقوب الرسول « لا يصلح يا اخوتي ان تكون هذه
الامور هكذا . العل ينموعا ينبع من نفس عين واحدة العنف والمر »
(يع ٣ : ١٠ ، ١١) .

هذا هو موقفنا كمسيحيين مدعويين لحياة القداسة ، وللميراث الذي
لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل المحفوظ في السموات . اننا لم نقرأ عن السيد
المسيح — الذي وهو في الجسد تعرض واحتمل صنوف الاهانات — انه شتم
او اخرج من فمه الطاهر كلمة نابية « ظلم اما هو فقتل ولم يفتح فاه »
(اش ٥٣ : ٧) .

اذن ليس هناك مبرر للشتيمة ، ولو كانت على سبيل التخويف او
التأديب . فالانسان اذا كان صالحا ، لا يمكن ان تصدر عنه شتمة — لا
مصطنعة ولا متعمدة — لان « من فضلة القلب يتكلم الفم » (مت ١٢ : ٣٤) .
ثم ان الشتم ليس هو وسيلة التخويف او التأديب . هذا مضلا عن ان امثال
هؤلاء الشائمين مسئولون امام الله عن اعطاء نماذج صالحة لابنائهم او
لرؤوسهم او لخدمهم . لكن ليس معنى كلامنا هذا الامتناع عن استعمال
عبارات التوبيخ والتوبيخ . بل الرسول بولس لتطهده تموتوا « وبخ ،
انتهر » ٢ ، ٤ : ٢ . من هذه بخل كل الاختلاف عن الشتم .

قد يظن البعض من يشعرون وظائف معية ان بعض الرؤوسين لا
ينتجون الا بالشتائم والتخويف ولذا مهم مضطرون الى ذلك . لكن هذا يناق
الواقع لان الشتم ليس من مقومات قوة الشخصية . فضلا عن ان هناك
وسائل وطرق اخرى لتقويم الرؤوس المستهترين . ومن توجيه الصالح
واظهار العطف كملل باخخال المرحين والفتاوس وادبهم .

علاج الشتمية :

تحتاج الشتمية في علاجها الى اقتناع فكري بخطاها وتبجحها واثرها السيئ ، والى حياة روحية عامة يحياها الانسان .

فالشتمية كثيرا ما تصدر عن انفعال غضبي ، ومقابلتها بشتمية مماثلة ، يزيد هوة الخلاف وحدة البغضة بين المشتمين . انها كالنار التي تزداد اشتعالا وترتفع السنتها كلما القى اليها وقود جديد . فحينما تواجه بالشتمية قائلها بالوداعة والهدوء ، فهما كالماء التي تطفىء النيران المتأججة . تشبه بمعلبك ، فتطفىء « جميع سهام الشرير الملتهبة » (اف ٦ : ١٦) . ونحن نعم من كلمات الحكيم ان « **الجواب اللين يصرف الغضب ، والكلام الموجع يهيج السخط** » (ام ١٥ : ١) . والرسول يعلمنا الا نقاوم الشر بالشر ، بل نغلبه بالخير (رو ١٢ : ٢١) . واذا استطعت ان تضبط ذاتك في موقف اهانة او شتمية وجهت اليك ، فلا تصغر نفسك في عينيك ولا تعتبر ذلك ضعفا ومذلة ، بل عن قوة ونصرة ، فالحكيم يقول « **البطىء الغضب خير من الجبار ، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة** » (ام ١٦ : ٣٢) .

وكمعالج الشتمية يتطلب الامر حياة روحية عامة كما ذكرنا ، لان الشتمية ليست خطية قائمة بذاتها ، والا لهان الامر ، ولامكن الجهاد ضدها ، لكنها تعبير عن خطايا اخرى كالغضب الذى هو بدوره مظهر لاوجاع اخرى كامنة فى الانسان كالحقد والحسد والبغضة . الخ ، وهذه الاخرى صادرة عن قلة الحب . ولذا علينا ان نعالج الداء من اساسه .

اما اذا كانت الشتمية من النوع الذى نعود عليه اللسان واصبحت نرد في سياق الحديث المألوف ، فالامر يتطلب تدقيقا ومحاسبة النفس مساء كل يوم ، كنوع من التدريب على ضبط اللسان ضد هذه الخطية . هذا اذا كان الانسان يجاهد من اجل حياة روحية مقدسة .

الشتمية كعبادة :

نلاحظ على بعض الناس ان الشتمية تجرى على سنتهم كالماء . والخطر من ذلك ان النسائم قد لا يقصد ما تحمله شتميته من معنى . بل وصل الامر بال بعض ان يقصد بشتميته المازحة مديحا ، في حين يقصد البعض الآخر بها في مجرى الحديث العادى نوعا من الاستحسان !! وما سبق ان قلناه في الحلف الذى ينطق به البعض على سبيل العادة تكرر ههنا ايضا ونقول ، ان الانسان الذى تجرى الشتمية على لسانه دون تفكير ، انسان قد أعمس ضميره ، وعليه ان يوظف ضميره في طريق التدقيق والحساسية .

وكامور تساعد على الإقلاع عن هذه الخطية ، الصلاة الى الله والطلبية من أجل هذا الامر ، لكى يعطى الرب المعونة اللازمة . وعلى الانسان المهزوم من هذه الفاحية أن يدرس الظروف التى يرتكب فيها مثل هذه الخطية ، حتى اذا ما اقتربت هذه الظروف انتبه الى الاحتراس من هذه الخطايا . كان يلاحظ مثلا أنه يشم حين يمزح مع أخوانه ، أو حين يمزحون معه مستعملين الشتيمة ، فينزلق الى استعمالها . وحينئذ يبدى اهتماما خاصا بهذه المواقف . ولا شك أنه عن طريق محاسبة نفسه وتدريبها سيصل فى النهاية — بنعمة الله — الى الإقلاع عنها ، واحلال الكلمات الحيدة محلها .

عاقبة الشتامين :

لا تستهن يا أخانا بالشتيمة كأنها امر تافه لا يؤيه له ، لا يدانى بقية الخطية التى تبدو فى نظرنا جسيمة . لذلك حذرنا الرسول بولس من محالطة الشتامين بقوله لمؤمنى كنيسة كورنثوس « ان كان أحد مدعوا زانيا أو طماعا أو عابد وثن أو شتاما أو سكرانا أو خاطفا أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا » (١ كو ٥ : ١١) .

ويرسم لنا الكتاب المقدس صورة مروعة لعاقبة الشتامين فى الحياة العتيدة . فيقول معلمنا بولس « لا تضلوا . لا زناة ولا عبدة اوثان ولا غاسقون ولا مابونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله » (١ كو ٦ : ٩ ، ١٠) فلننظر الآن باسمان الى عاقبة الشتيمة المرة ، حتى لا تستخف بها . ان مرتكبها محصون مع الزناة وعبدة الاوثان ومرتكبى الخطايا القبيحة الشائنة .. !! وجيهم ليس لهم نصيب فى ملك المسيح الأبدى .



كَلَامُ الْهَزْلِ

■ في سبيل القسلية الباطلة والمزاح ، ينجس الانسان نفسه بالعبارات القبيحة وانفكات الذئبة ، وسرد النوادر والتقصص المعثرة ، والتفنى بالاغاثى الخبيثة .

■ يتوهم المارحون ان المزاح وما يبخله من كلام هزلى لا يليق ، ما هو الا وسيلة لقطع الوقت والتسلية . لكن ليس هذا هو طريق 'ولاد الله الذين يحبون بالروح وللروح ، ويتهللون بالروح ايضا ، ان طريقنا هو طريق النعمة والخلاص . وتسليتنا ونحن نقطعهما الشركة مع الحبيب ومع احبائه كما يقول الرسول « ان كانت تسلية ما للمحبة » (في ٢ : ١) .

■ ان كلام الهزل يدخل تحت الكلام الردىء الذى يتنافى مع حياتنا كأولاد لله . لقد علمنا الرب اننا سوف نعطى حسابا يوم الدين عن كل كلمة بطالة تخرج من افواهنا (مت ١٢ : ٣٦) . وهكذا اوصانا الرسول بقوله « واما الآن ما طرحوا عنكم انتم ايضا الكل : الغضب ، السفط ، الخبث ، التجديف ، الكلام القبيح من افواهكم » (كو ٣ : ٨) .

■ ولا يقتصر الامر على عدم التكلم بكلام الهزل القبيح ، بل يجب ايضا عدم محالسة المستهزئين . وقد طوب المرثى في فائحة مزاميره من لا يجلس في مجلس المستهزئين (مز ١ : ١) . وأكد نفس هذا المعنى ارميا النبى بقوله « وحد كلامك فاكلته ، فكان كلامك لى للفرح ولبهجة قلبى . لانى دعيت باسمك يا رب اله الجنود . لم اجلس في محفل المازحين مبتهجا » (ار ١٥ : ١٦ ، ١٧) .

■ يرعوه المازحون انهم وحدهم السعداء بهزلهم ومراحهم ، ويرمون غيرهم ، ممن لا يشاركونهم هزلهم وخلاعتهم ، بالجمود والرجمية . واحيانا يصعب بعض صغار الشمام حينما يرمون بهذه الصفات وامثالها ، فيجاريون زملاءهم في سلوكهم . . لكن ليسمع هؤلاء واولئك كلمات الرب نفسه « ويل لكم ايها الضاحكون الآن لانكم ستحزنون وتبكون » (لو ٦ : ٢١ ، ٢٥) . ولبسموا ايضا كلمات القديس بولس « فلا يسم بينكم كما يليق بقديسين . . القناعة ، ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق » (اف ٥ : ٣ ، ٤) ، ان فرح اولاد الله فرح قلبى عميق ، وصفه الرسول بأنه « لا ينطق به وبجيد » (١ بط ١ : ٨)

■ يظن مدين المزاح وكلام الهزل أنه بقدر ما يتجاوب معه بعض الناس في الضحك ، بقدر ما يكون (خفيف الدم) محبوا لديهم . لكن ليعلم المسكين ان الناس حينما يخلون الى انفسهم ينعتونه (بخفة العقل) !

■ من شأن كثرة المزاح وكلام الهزل انها يطفئان حرارة الروح ،

حتى لو كان المزاج بريئا والكلمات المتبادلة فيه بريئة كل البراءة . انه يفعل بحرارة الروح ، ودفع القلب ، ما يفعله الماء بالنار المشتعلة . يقول القديس يوحنا الدرجي « المزاج مبطل التخشع ، مبدد العقل ، مفسد التحفظ ، مبدد الحرارة ، مشوش الصلاة » .

■ ونريد أن نلفت نظر بعض الخدام الذين يلجأون الى استخدام طريقة مثيرة للضحك في أثناء تعليمهم ووعظهم ليكسبوا حب المخدمين ، ظنا منهم أن ذلك الحب يهدد لكلماتهم في قلوبهم ، أو بحجة التمشي مع روح العصر حتى لا ينفر المخدمون من الوعظ والتعليم . لكن ليعلم هؤلاء الخدام أن وعظنا وخدمتنا تستهدف توبة سامعينا . ولم تكن التوبة في يوم من الأيام وليدة الضحك ، بل الندم على خطايانا وفتور محبتنا للرب . هذا فضلا عما يترتب على هذه الطريقة من امتحان لبيوت الله وتقسية كلامه ، وتمويد المؤمنين الاستهانة بها أيضا .

■ ليس معنى كلامنا هذا أن الانسان يكون كنييا حزينا بينه وبين نفسه . ثقل الظل في معاملاته مع الآخرين . بل لقد أوصانا القديس بولس أن نفرح في الرب كل حين (في ٤ : ٤) ، وأن نلبس « أحشاء رأفات ولطفا وتواضعا ووداعة » (كو ٣ : ١٢) .

■ ويدخل تحت كلام الهزل ، عبارات التهكم التي يتندر بها البعض على الآخرين بقصد التسلية — لا تسلية هؤلاء الذين يتهكمون عليهم ، بل أنفسهم ! فيتهكمون مثلا على انسان ضعيف أو فقير أو عاجز أو أعمى أو أخرس أو مجنون أو دميم الخلقة . . وقدسيا حذر الرب شعبه من مثل هذه الخطية فقال « لا تشتم الأصم ، وقدام الأعمى لا تجعل معثرة ، بل أخش الهك . أنا الرب » (لا ١٩ : ١٤) . ربما خلق بعض هؤلاء بتلك الصورة التي تتهكم أنت عليها . الا يعتبر تهكمك في هذه الحالة تعييرا للرب ؟ ! قال الحكيم « المستهزئ بالفقير يعير خالقه » (ام ١٧ : ٥) . وقال اشعيا النبي « فالآن لا تكونوا متهكمين لئلا تشدد ربطكم » (اش ٢٨ : ٢٢) .

■ ان في التهكم جرحا لشعور اخوتنا الضعفاء والفقراء والمقعدين . . وهذا يتناق مع ناموس المحبة التي تعينا « أننا بعضنا أعضاء البعض » (اف ٤ : ٢٥) ، والتي تطالب الاتوياء أن يحتلوا ضعف الضعفاء ولا يرضوا أنفسهم (رو ١٥ : ١) . وهو يتناق أيضا مع روح الاتضاع المسيحي الذي ينعني من امتحان الآخرين وازدراؤهم بل حتى من مجرد التعالي عليهم .

■ وأخيرا نريد أن ننبه الى نقطة هامة . وهي أننا محتاجون الى التدقيق في كلماتنا ومعاملاتنا . غثمة أشخاص اعتادوا استخدام بعض العبارات — التي لا تتفق مع الكمال المسيحي — على سبيل المزاح ، وهم لا يشعرون بخطاها . وأمثال هؤلاء محتاجون الى مراجعة ما اعتادوا أن يقولوه من الفاظ وعبارات .

التملق

■ وهذا خطأ آخر من أخطاء اللسان يستخدمه بعض الوصوليين لبلوغ مآربهم . وهم في سبيل تحقيق ذلك ، يتملقون الاغنياء والعظماء ونوى السلطان ويطنون في مدحهم حتى لو كان ذلك على خلاف ما يعتقدون به في تلويهم وضمائرهم .

■ والتملق خطية ، لأنه ضد الصراحة والحق . والسيد المسيح لم يتملق احدا . وهكذا كان سابقه يوحنا المعمدان الذي كان لا يفتأ عن توبيخ هيرودس لما اغتصب امرأة أخيه لتكون زوجة له ، وفضل أن يموت شهيدا عن أن يكتم الحق ولا يعلنه . وقد حفرنا الرسول من هذه الخطية بقوله « وانما أقوله هذا لنلا يخدمكم أحد بكلام ملق » (كو ٢ : ٤) .

■ ويقود التملق الى الرياء ، وهو الذي لاجله كال السيد المسيح الويلات للكنيسة والفريسيين (انظر مت ٢٣) . والمرائي يتشبه بيهوذا الذي لما جاء ليسلم سيده لاعدائه ، تظاهر له بالحب المفشوش حتى أنه قبله وهو يقول له « السلام يا سيدى » (مت ٢٦ : ٤٩) .

■ والرب الذي هو — الحق ذاته — يرفض هذه الخطية لانها فضلا عن كونها ضد الصدق والحق ، فانها تتضمن كذبا ، لانها لا تعبر عن الواقع . قال داود النبي « يتكلمون بالكذب كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقه (تملق) » بقلب مختلف يستاصل الرب جميع الشفاه الملقه واللسان المتكلم بالعظائم (مز ١٢ : ٢ ، ٣) .

■ ويعتبر تملقا ، مجازاة الآخرين في آرائهم الخاطئة واخطائهم اللفظية (كنم الآخرين مثلا) ، حرصا على صداقتهم او خشية اغضابهم ، مع علمنا أن ذلك خطأ ، ويضاد ما نعتقد به . ان الحق هو الحق ، والحق هو المسيح نفسه . ضع هذه الحقيقة نصب عينيك حتى لا تجمال انسانا وتحرص على صداقته ، بينما تغضب الرب .

■ ليس معنى تحاشي التملق ، أن نتماد الجفاف والخشونة في معاملتنا واحاديثنا مع الرؤساء ونوى المراكز ، فتأتى خالية من روح اللطف والمجاملة بل لنكن لطفاء مع الجميع ، معطين الكرامة إن تحق له الكرامة ، منكربين ذاتنا ، ولكن في الوقت نفسه نكون متمسكين بالحق الذي يرضى الله وترضى عنه ضمائرنا .

التَذْمِيرُ

التذمر يصدر عن نفس غير سليمة :

وكلام السخط يعبر عما في القلب من الضيق وعدم الرضا . وهنا نقسمال : هل يتكلم الانسان بسخط نتيجة لاشمئزازه من شيء فاسد حوله ، فيعبر عن نفس مريرة لأنها مريضة في ذاتها ، تستخدم الامر الذي يبدو فاسدا في العالم المحيط بها وعاء تصب فيه قىء المرارة الساكنة فيها ؟ !

لو كانت النفس سليمة ، وقبلها شيء فاسد لحدث شيئان :

الاول أن تحاول أن تتكشف ما في هذا الشيء من نواح صحيحة ، كأن ترى في انسان يسبب لها تعباً ، نواحى سليمة ، فتبدأ في التعاون معه على أساسها ، مثلاً يقول الكتاب « سراج الجسد هو العين . فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً . وان كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً » (مت ٦ : ١٢) . وقوله « كل شيء طاهر للطاهرين ، وأما للنجسين وغير المؤمنين ، فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنبهم أيضاً وضميرهم » (مت ١ : ١٥) .

والثاني أن تحنو على الضعيف وتلتبس له عذراً ، ولا يدغمها ضعفه الى الاشمئزاز منه ، بل الى العطف عليه ومد يد المساعدة اليه . ولعل هذا ما يعبر عنه الشاعر بقوله :

وعين الرضى عن كل عيب كلبلة كما ان عين السخط تبدى المساونا

فلو أن رجلاً في بيته نظر الى النقص في تنظيم البيت ، بعين بسيطة ، لتقدم لمساعدة العاملين في البيت حتى يتلاقى النقص . ولو انه نظر الى النقص بروح النقد والسخط ، لكبر النقص أمام عينيه ولرأى كل شيء آخر مصيباً ، ولصار لغة تعنيف وتأنيب . اما عين أبناء الله فهي عين المحبة والعطف ، ترى النواحي الطيبة في الناس ، وتحنو عليهم في أخطائهم وتساعدهم في هدوء ومحبة ، كقول الكتاب « ايها الاخوة ان انسبى انسان فآخذ في زلة ما فاصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ... احتملوا بعضكم انقال بعض وهكذا تموا ناموس المسيح » (غل ٦ : ١) .

والنفس السليمة المحبة ، تعبر عن نقدها للأمور بالفاظ مشبعة بالعطف والتشجيع على تصحيح الخطأ . هي لا تتكلم بسخط أو بتذمر متبذلة برب المجد . والسخط في أغلب الاحيان تعبير عما في النفس من مرارة نتيجة متاعبها الخاصة ويعبر عن التذمر بالفاظ شديدة ، ونقد لاذع ، وكلام فاسد .

لقد حدث ان انتقد أهل كورنثوس الرسول بولس ، وقالوا فيه كلاماً غير صحيح ، وبنبرموا به . ولقد تعب الرسول كثيراً في اصلاح ما في نفوسهم من

شر ، حتى نجح . وفي سياق وصف حالهم قال مرة « فمنّا مفتوح اليكم ايها الكورنثيون . قلبنا متسع ، لستم متضيقين فينا ، بل متضيقين في احشائكم ، فجزاء لذلك اقول كما لاولادى كونوا انتم ايضا متسعين » (٢ كو ٦ : ١١ ، ١٢) . وهذا القول يبين ان تذرهم لم يكن لمعيب خارج عن نفوسهم .

التنذر يجر الى خطايا اخرى :

على ان التذمر يدفع المذنب الى كراهية غيره ، والتلفظ عليه بالفاظ الذم والافتراء مما يمسد جو التفاهم ويقيم جوا من التشويش . كما ان التذمر يسمح لمشاعر الكبرياء والحسد والتحزب ان تتمكن منه . وفي هذا يقول الرسول لاهل كورنثوس ايضا « انى اخاف اذا جئت انا لا اجذكم كما اريد ، واوجد منكم كما لا تريدون . ان توجد خصومات ومحاسدات وسخطات وتحزبات ومذمات ونميمات وتكبرات وتشويشات » (٢ كو ١٢ : ٢٠) .

والتنذر يجر الانسان الى التجديف على الله . فالتنذر يرى بركات الله بمنظار اسود ، فلا يشكر بل يجدف . وهو حينما لا يدرك حكمة الله في امر من الامور ، لا يفعل مثلما فعل القديس بولس حينما هتف قائلا « يا لمحق غنى الله وحكمته وعلمه . ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لان من عرف فكر الرب او من صار له مشيرا » (رو ١١ : ٣٣ ، ٣٤) ، بل يجدف على الرب مثلما فعل بنو اسرائيل الذين بعد ما خرجوا من مصر ، ووصلوا الى حدود كتعان وارسلوا الحواسب فدرسوها وعادوا محملين بعينات من بركات نادرة ، لم يشكروا الرب الذى اعانهم وتمم مواعيده لهم ولا بانهم ، بل نسوا كل شيء . نسوا مساعدات الله لهم على الشعوب القوية التى قاومتهم وشاعت بينهم مخمة الرب ، وقرروا ان الرجوع الى ارض العبودية وعبادة الاوثان افضل من التقدم نحو ارض الحرية وعبادة الاله القدوس . فكان ان غضب الله عليهم ، وقرر الا يدخل احدا منهم ارض الموعد ، بل ان يموتوا جميعا في البرية ، ويقيم من بعدهم جيلا جديدا ، يولد في البرية ، لم يملوث عقله بعبادة الاوثان (سفر العدد ١٣ ، ١٤) .

وفي التحفظ من هذه الروح يقول الرسول « ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث » (اف ٤ : ٣١) . وواضح من هذه الآية انها تفصل بدقة مختلف القضايا التى يعبر عنها اللسان نتيجة المرارة التى فى القلب ، كالغضب والصياح والتجديف . كما يقول نفس هذا الرسول فى رسالته الى كولوسى « واما الآن فاطرحوا عنكم ايضا الكل : الغضب ، السخط ، الخبث ، التجديف ، الكلام القبيح من افواهكم » (كو ٣ : ٨) .



الإدانة

« الشياطين تحثنا على أن نخطيء ، فإن لم
نطعها ، حثتنا على أن ندين من يخطيء »
(القديس بوحنا الدرجي)

- + مطورة خطية الإدانة
 - + أسباب الإدانة
 - + لماذا يجب ألا ندين ؟
 - + علقبة الإدانة
 - + كيف نتخلص من الإدانة ؟
-

ما هي مشاعرك تجاه بعض الناس ؟

هل تنقد أعمالهم وتصرفاتهم ، وتستقيح أعمالهم كما تراها ظاهرة ؟ وهل تحتفظ بهذه المشاعر والأفكار في أعماقك ، أم تعلنها بالكلام باسم الفيرة على الفضيلة والحق ؟ ! سواء هذا أم ذلك ، فاعلم أن هذه هي خطيئة الإدانة التي حفرنا منها السيد المسيح بقوله « لا تدينوا لكي لا تدانوا » ، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم » (مت ٧ : ١) .

خطورة خطيئة الإدانة

لعل خطورة هذه الخطيئة تنشأ عن :

١ - عدم احساس الكثيرين بها ، ومن ثم لا يبذلون كثير جهد في مقاومتها والتخلص منها . فالشباب يحزن جدا لسقطات الشهوة ، ويحتفظ جدا من اسبابها ، ويعتبرها مقياسا لفضيلته ، بينما لا يابه لتفتية ذاته من خطيئة الإدانة ، التي قد تكون حرب الشهوة تاديبا له عنها ، كما سنرى .

٢ - ارتباط هذه الخطيئة بآثار حسية يراها الانسان او يسمعها . فالحواس الجسدية هي التي توظف في مبدأ الامر ، وجها لوجه أمام هذه الخطيئة . والخطورة هنا في كمية تخلص الانسان من واقعية ما وقف عليه بحواسه ، واقناع ذاته بغير ما رأى او سمع .

٣ - اغتصاب الانسان حقا من حقوق الله ، التي لم يعطها لاحد من البشر أو الملائكة والمرء يعجب كيف أن الناس يتهاونون في أمر هذه الخطيئة ، التي - في الضغط - منها ضمان للميراث الابدي . ان كانت غاية جهلنا الروحي هي لا ندان مع العالم في اليوم الأخير ، بمعنى أننا لا نوجد مدفين أمام الله ، فإن التحفظ من هذه الخطيئة يقدم لنا طريقا سهلة لبلوغ تلك كتول الرب « لا تدينوا فلا تدانوا » . لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم . اغدوا بفقر لكم » (لو ٦ : ٣٧) .

قصة :

وقد أورد كتاب بستان الرهبان قصة شيعة تأكيداً لهذا المعنى ، رواها القديس أنسليمانيوس السيفثاني قال : كان أخ من الرهبان ، يسير بتوان كثير ، يسكن في دير . ولما حقت حاجة لتفتية شؤنه غير جزع من

الموت ، بل كانت نفسه فى حالة فرح كامل وسرور شامل . وكان الآباء وقتئذ جلوسا حوله كما هو المتبع فى الاديرة فى امثال هذا الظرف . فقال احد الآباء الشيوخ للآخ الذى فى النزاع الاخير « يا اخانا نحن نعلم أنك اجزت عمرك بكل توان وتفريط . فمن اين لك هذا الفرح والسرور وعدم الهم فى هذه الساعة ؟ اننا بالحقيقة لا نعلم السر ، ولكن بقوة الله ربنا ، تقوى واجلس واخبرنا عن امرك العجيب هذا ، ليعرف كل منا عظائم الله » . ولوقت تقوى ذلك الآخ وجلس وقال « نعم يا آبائى المكرمين ، لقد جزت عمري كله بالتوانى والنوم . الا انه حدث الآن فى هذه الساعة ، ان احضر لى الملائكة كتاب اعمالى التى عملتها منذ ان ترهبت وقالوا لى « اتعرف هذا ؟ » قلت « نعم هذا هو عملى ، وانا اعرفه . ولكن من وقت ان صرت راهبا ، ما كنت احدا من الناس قط ، ولا تهمت قط ولا رفعت ولمى قلبى حثد على احد ، ولا غضب البتة . وانا ارجو ان يكمل فى قول الرب يسوع المسيح القائل « لا تدينوا لئى لا تدانوا . اتركوا يترك لكم » فلما قلت هذا القول تمزق للوقت كتاب خطاياى بسبب اتمام هذه الوصية الصغيرة » . واذا فرغ من هذا الكلام اسلم الروح ، فانتفع الاخوة بذلك وسبحوا الله .

ونود ان نلفت النظر الى لفظ « التهاون » الذى ورد اكثر من مرة فى هذه القصة . ليس المقصود به حياة الخطيئة او البعد عن الله ، والا لما أمكن ان تكون خاتمة القصة على النحو الذى رايناه . بل المقصود ان ذلك الراهب لم تكن له فضائل بارزة ، كما عرف عن الآباء النساك فى ذلك الوقت .

ارابت يا اخانا كيف ان حفظ هذه الوصية « لا تدينوا » تادر ان ينجيك من الدينونة الابدية برحمة الهنا ؟! فانتفع قلبك الآن اذن ، لتقف على اسبابها وطرق علاجها .



أسباب الإدانة

١ - كبرياء النفس :

الإدانة بنت أمانة من بنات الكبرياء ، ترضعها وتغنيها وتنميتها ، وهي بدورها تدعم الكبرياء وتقويها . فمحبة الذات ، والرأى المتعالى ، يولدان فينا روح الإدانة . وفي كل مرة ندين الآخرين ، نخطو كبريالونا خطوة الى الامام ، بما يصاحبها من شعور بالاهمية الشخصية والرضا عن الذات . فلولا شعورى انى افضل ممن ادينه ، وانه لا يصدر عنى مثل هذا الفعل الذى اتاه لما ادينته ، وهذه هي الكبرياء عينها ، اما المتضع فلا يفتح عينيه ليقف على خطايا الآخرين ، بل ينظر الى زلاته هو فقط ، فيجد امورا كثيرة تشغله . قال القديس باخوميوس اب الشركة « لا تحتقر احدا من الناس ، ولا تدنه ، ولو رأيت ساقطا في الخطية لان الإدانة تأتي من تعظيم القلب . اما المتضع فانه يعتبر كل الناس افضل منه » .

٢ - شر القلب :

يقول الاباء ان الانسان الذى يدين اخاه على فعل شرير ، لا بد ان يكون بداخله جذر ، ولو بسيط لنفس الخطية ، تدفعه تلقائيا الى الحكم على الآخرين . قال رب المجد « الانسان الشرير من الكفر الشرير يخرج الشرور » (مت ١٢ : ٣٥) . فالمعين النقية التى بلا شهوة . تنظر في غير شر الى افعال الآخرين « عينك اطهر من ان تنظرا الشر » (حب ٢ : ١٣) . وقال السيد المسيح « سراج الجسد هو العين . فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا . وان كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما » (مت ٦ : ٢٢ ، ٢٣) .

وعلى ذلك فان افكار الإدانة ، ليس مصدرها افعال الآخرين الخاطئة فقط ، بل ايضا شر القلب ذاته . فاشعة الشمس الناصعة تنفذ من الزجاج ، وتتشكل بعد نفاذها بلونه . فاذا سقطت على لوح زجاجى لونه احمر ، نفذت من الوجه الآخر زرقاء اللون وهكذا . . . وليس العيب هنا هو عيب الشمس ولا ضوءها ، لكنها ظهرت من الناحية الاخرى بلون الزجاج الذى اخترقته . هكذا الانسان في خطية الإدانة ، فلو ان قلبه كان شافيا نقيما لما راي افعال الآخرين بصورة خاطئة . وعلى نفس القياس يبدو القضييب

المستقيم في الماء منكسرا ، وهذا هو ما يعرف في علم الطبيعة باسم « ظاهرة الانكسار » . وواضح ان القضيب مستقيم ، لكنه بدا هكذا . وعلى هذا النحو أيضا المريض الذي يقدم له طعام جيد شهى ، فيتذوقه رديئا مرا . والعيب هنا ليس عيب الطعام أو نوعه ، بل عيب المريض بما يعتقيه من مرض .

٢ - قلة المحبة :

قال معلمنا بولس عن المحبة انها « لا تقبح .. ولا تظن السوء .. وتحب كل شيء » (١ كو ١٣ : ٥ ، ٧) ، وقال الحكيم عنها أيضا انها « تستر كل الذنوب » (ام ١٠ : ١٢) . بهذه المحبة الغامرة الساترة على الذنوب والعيوب ، احبنا الله ، وانتقدنا المشرق من العلاء ، وتفاضى عن أزمنة جهلنا . وما زالت عين محبته هي التي تلاحظنا وترعانا وتستر علينا . ومن ثم نهتف في صلاة الشكر كلما صلينا « فلنشكر صانع الخيرات ... لانه سترنا » . ان المحبة هي المنظار الذي يظهر الامور على حقيقتها ممها كانت بعيدة او دقيقة . لكن ان قلت محبتنا لبعض الناس ، فحينئذ تطل الادانة برأسها ، كما تظهر الصخور والجنادل التي تعترض مجرى النهر في زمن التحاريق وتهدد سفينة حياتنا .. ان منطق البغضة والكراهية يلزمنا ويقنعني اني لا اريد ان ارى اذى الا في اسوأ حال ، وبواسطة منظار البغضة الذي اضعه على عيني ، اراه مشوها ومهلهلا . لكن المحبة ان لم تسطع ان تحب كل شيء فهي تهون من الخطأ ، وتلتبس المعاذير .

٤ - قلة المعرفة :

ما اقل ما يعرفه الانسان ، وما اكثر ما تجهله ! ما اقل ما يعرفه من الظواهر والمرئيات . وما اكثر ما تجهله من الاسرار وعبر المرئيات ، بل من المرئيات ذاتها ! ومع كل ذلك فهو يكسر ويدعى المعرفة في اشياء كثيرة . ومن الامور التي يدعى معرفتها خفايا القلوب والافكار والنفوس ! واذا كان الرسول نفسه يسأل قائلا « لان من من الناس يعرف امزج الناس الا روح الانسان الذي فيه » (١ كو ١١ : ١١) ، فكيف بعد هذا ، يحرق انسان ويدين اخاه . لا عن فعل امه . بل عن مكر داخلي ظن انه اكتسبه وارتآه ؟ !

كثيرا ما يتسرع الانسان ويصدر حكما في امر معين — ولو في فكره — بحسب ظاهره ، دون ان يستقصيه أو يسير اغواره ، فتأتي هذه الاحكام منافية للحقيقة ، بعيدة عن الصواب . ولقد حزننا السيد المسيح من مثل هذا الخطأ بقوله « لا تحكموا حسب الظاهر ، بل احكموا حكما عادلا » (يو ٧ : ٢٤) . وهكذا حينما نتسرع ونصدر احكامنا على هذه الصورة ، يتم فيما نول سقوب الرسول « تصرون قضاة افكار شريرة » (يع ٢ : ٤) .

واذا كان الانسان — في بعض الاحيان — يقف حائرا بينه وبين نفسه ، لا يعرف الدوافع التي دفعته الى فعل معين ، أو الملامسات ، التي صاحبتة ، فكيف بهذا الانسان يحكم على تصرفات انسان آخر في سهولة ويسر ، لجرد النظر أو السمع ، ودون أن يسأله ! وإذا كان الرسول وهو يتكلم عن يوم الدينونة العام يقول « في اليوم الذي يدين فيه الله سرائر الناس حسب انجيلي ببسوع المسيح » (رو ٢ : ١٦) ، هذه السرائر التي لا يعرفها أحد غير الله (تث ٢٩ : ٢٩) ، فكيف بى انطاوول واصسدر احكاما خاطئة على الآخرين ؟ !

٥ — نسياننا لخطايانا :

من الاسباب التي تسهل لنا المضي في طريق الادانة ، نسياننا لخطايانا سواء الماضية أو الحاضرة ، وعدم ادراكنا لحقيقة ضعفنا . فالنظر الى خطايا الذات من شأنه ان يولد فينا انضاعاً ، وخجلاً مقدساً ، وينمى في النفس مخافة الله . فالانسان الشاعر بضعفاته ، المتذكر خطاياها ، التي ينسحق قلبه حينما يتذكرها ، والتي من أجلها يصلى ويبكى وهو يقول « خطيتى امامى في كل حين » . مثل هذا الانسان لا ينتشفل بخطايا الآخرين عن خطاياها الخاصة ، حتى التي قدم عنها توبة وندماً . انه كما يقول أحد الآباء « من ذا الذي يترك ميتة ، ويبكى على ميت جاره » ؟ ، وخطية الانسان هي موت نفسه . ولقد افاض الآباء النساك في الحديث عن علاج الادانة من طريق هذا التدريب . . .

قال الانبا اشعيا « اذا انشغلت عن خطاياك ، وقعت في خطايا اخيك » . وسأل احدهم راهبا شيخا قائلاً « ما السبب في انى ادين الاخوة دائماً ؟ » فاجابه الشيخ « لانك ما عرفت ذاتك بعد . لان من عرف ذاته ، لا ينظر عيوب اخوته » : احذر يا اخى من النظر الى نقائص الآخرين ، لئلا يقال لك ما قيل للمرائى « لماذا تنظر القذى الذي في عين اخيك ، واما الخشبة التي في عينك فلا تفتن لها » (مت ٧ : ٣) . . . لاننا فيما ندين اخوتنا ، نحكم على قواتنا ، لان نفس عيوبهم موجودة فينا . قال معلمنا بولس « لانك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك . لانك انت الذي تدين تفعل تلك الامور بعينها . ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه . فننظرون هذا ايها الانسان ، الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه ، وانت تفعلها ، انك تنجو من دينونة الله » (رو ٢ : ١٣ — ٢) .

ذكر عن القديس موسى الاسود الذي كان قبل توبته قاتلاً ولصاً — انه دعى ذات يوم الى مجلس عقده الآباء الرهبان في الاسقيط لمحاكمة راهب اخطأ قايى وامتنع عن الحضور . فأتاه قس المنطقة وقال له « ان الآباء كلهم في انتظارك » . فقام واخذ كيساً مثقوباً ، وملاء رملاً ، وحمله وراء ظهره ، ومضى

هكذا الى المجلس . فلما رآه الآباء هكذا قالوا له « ما هذا ايها الاب ؟ »
فاجابهم « هذه خطيائي وراء ظهري تجري دون ان ابصرها ، وقد جئت اليوم
لادانة غيري من خطاياي » . فلما سمعوا ذلك غفروا للاخ المخطيء ، ولم
يحزنوه في شيء .

٦ - قلة الحكمة :

الإنسان الحكيم عمله في داخله . أنه مشغول بملكوت الله الذي في
داخله (لو ١٧ : ٢١) . مشغول بالكفر المخفى في قلبه (مت ١٣ : ٤٤) .
مشغول بطريق الغربة الذي يسير فيه لنلا بضله . مشغول بالوصول الى
المدينة المقدسة التي لها الاساسات التي صلتعها وبارئها الله (عب ١١ : ١٠) .
مشغول بمحبة الله ومحبة الآخرين من أجل الله . مشغول بتهدئة قلبه لكي
يقدر أن يتسمع صوت الواقف على بابه خارجا يقرع حتى يفتح له ، مشغول
باعداد العشاء لذاك الذي قال « ادخل واتعشى معي وهي بعي » (رؤ ٣ : ٢٠) .
وهو في كل هذا ، وبعد كل هذا ، ليس له من الوقت أو الجهد ما ينفقه في ادانة
الآخرين وحصر نقائصهم وعيوبهم . فعمله وقلبه مشغولان بما هو ائنف وأهم
وأجدى . أن حكمة الطالب في يوم امتحانه تقتضي ان يكون بكلياته منحصرا
فيما هو مزعم أن يقدم عليه . ومهما صادقه في ذلك الوقت ، لا يلبيه عنه ،
هكذا الإنسان الحكيم في حياته الروحية الذي عول على السير في طريق
الفضيلة . أما الجاهل فعلى عكس ذلك ، لأن جهله يظلم قلبه وفسده . قال
القديس يوحنا الدرجي « الحكيم يتأمل فضائل غيره ليقتنيها لنفسه ، والجاهل
يتأمل زلات غيره ويدينه عليها » .

٧ - خداع الشياطين :

وحينما نتحدث من الاسباب الذاتية ، لا يفوتنا أن نذكر دور عدو الخير
لايقامنا في هذه الخطية ، وما أكثر خداعاته . أنه ينصب شبابه ليوقعنا
فيها . أن كل خليقة الله جيدة . أنه هو الذي يشوه امامك أحاك الذي على
« صورة الله ومثاله » ، وهو الذي يوعز لك بالامكار الخاطئة عنه . أن أعثر
الشيطان في أحد أخوتك ، فلا تحزن من أخيك ، بل صبب جام غضبك على
عدوه ومدوك الذي يكره المحبة ويبغضها ، لأنه حيث المحبة فهناك الله لأنه
هو المحبة ذاتها ... أفسد خططه أذن ، واكشف حيله ، فحينئذ يفر عنك
هاربا حينما لا يجد له نيك موصفا .



لماذا يجب ألا ندين ؟

١ - لآنآ لسفنا كآلآلن :

الآلان آآب أن آكون كآلآ ، وآذا بطبآعة الحال آفر مآوفر فآنا . فآفنا آكون آآى وآافا فآ آطآة مآآنة ، آآآنا وآافا فآ آطآة آآرى . ومع آآآلاف آطآآآى عن آطآآة ، ألا أن كآآها آقآآان إلى الهلاك . فآها كآا آآسب طآالبان فآ فرآة وآآة ، كل فآ مآة آآآلف عن مآة الآآر ، فهآل هناك مآال لأن فآآآر آآآها على الآآر ، آآى لو كآآت مآة رسوبه آسهل وآآل آهآة من مآة رسوب الآآر ؟ ! قال آآ الآباء « لا آآن الفلاسق آآها الضعآف لآلا آصآر مثله مآآلفا للناموس . لأن الذى قال لا آآن ، قال آآضا لا آآن . والرسول بعآآوب آقول « لأن من آفظ كل الناموس ، وآنا عآر فآ وآآة ، فآآ صآر مآآرا فآ الكل . لأن الذى قال لا آآن قال آآضا لا آفظل . فان لم آآن ولكن كآآلت ، فآآ صآر مآآآآا للناموس » (آع ٢ : ١٠ - ١٢) .

وآآى أن كآا لم نآركآ أمآال لك الآطآا أو ما آقآآها ، إلا أنآا آآآا بشر آآآ الآام مآرضآن للآطآة كآولآك الذى نآآآهم . آآى القآآآسون أنفسهم آاضعون لهآا . أن آآآا الذى صآآ إلى المساء آآا ، قال عنه الرسول « كان آآآا أنساآنا آآآ الآام مثآنا » (آع ٥ : ١٧) . نآر عن آآ الآباء ، أنه كان إذا رأى آآا آطآى ، كان آآى وآقول « مآآام آآى آطآا الآوم ، فآآنى ذاك أن الشآآطان نشآط ، وآنا آآاف على نفسى لآلا آطآى عآا » .

وآآآر بالآآر ، أن كمال الآلان فآ السآرة والفضآلة ، آقآآفه آآضا أن آكون كآلآا فآ المآرفة ببواطن الآمور وآسرار الأشآآاء آآى آكون آآمه صآآا . وآذا بطبآعة الحال لا آقآر فآنا كآشر والسبب الذى لآآله فآمنآنا الرسول عن الآآانة ، أن الآمور التى نآكم عآآها هى آالبا آآآ الآآآاب ومآآوبة عآا . ومن ثم لا آآآ آآركها عآر الله ، ومن آآاسر على هآة الفآل فسآصب سلطان الله . وآآآ كآآنا عن ذاك آنفا .

٢ - لآنآا لا نآرف نآاهة مسآآآهم :

لآنآا لا نآرف ما فآآهى إليه أمر هؤلاء الذىن آطآآوا آمآنا وآآناهم : ولا مآقف الله آزاء آطآابآهم . وربها آطآا الشآص الذى آآآته بآفر مآرفة

أو ببساطة ، والله نفسه ، ازاء هذه الدوافع ، يتغاضى عن خطاياهم . وربما
تاب الإنسان عن خطيئته التي أمنتها عليها ، وأموت أنا في خطيئتي .

**هـب أنك كنت حاضرا رجم الشهيد أسطفقوس ، ورايت شاول (القيس
بولس الرسول فيما بعد) يحرس ثياب راجمى الشهيد ، هل علمت انه كان
« راضيا بقتله » (ا ع ٨ : ١) فماذا كان يكون حكمك عليه ؟ الا كنت تتسرع
وتحكم عليه بأنه انسان قاتل ؟ لكن ماذا حدث ؟ لقد حدثت معجزة ، واصبح
شاول بولس العظيم . وتحدث هو نفسه عن ذلك فقال « أنا الذى كنت قبلا
مجدنا ومضطهدا ومفتريا . ولكنى رحمت لانى فعلت بجهل في عدم ايمان »
(١ تي ١ : ١٣) . هل كان يظن احد من الحضور فى المشهد الاول ، انه يتغير
ويبلغ به الحماس للمسيحية انه يسر بالضيقات والقيود والموت من أجل اسم
الرب يسوع ؟ !**

**وهب أنك كنت حاضرا اللحظة التي استل فيها بطرس سيفه وقطع بها
اذن عبد رئيس الكهنة وقطعها (مت ٢٦ : ٥١) ، ماذا كنت تحكم عليه ؟**

الا كنت تتسرع وتحكم عليه بأنه انسان مجرم ، ورجل دماء ؟ وماذا كنت
تحكم عليه وهو في دار رئيس الكهنة ينكر سيده بقسم أمام الخدم ؟ هلا
كنت تتعنه بأقصى النعوت ؟ لا تتسرع في الحكم عليه ، فانه بعد لحظات — بعد
أن صاح الديك — خرج الى خارج وبكى بكاء مرا (مت ٢٦ : ٦٩ ، ٧٥) .
ولقد قبل الرب توبته ، وسلمه رعاية خرافه الناطقة بعد قيامته ، مساويا
اياه بالتلاميذ الذين لم يخطئوا على شاكلته (يو ٢١ : ١٥ — ١٧) . **وهب أنك
كنت في اورشليم في زمن المخلص ، وكنت تسمع عن شخصية اللص
(اليمين) واعماله واجرامه ، هل كنت تتوقع له ذلك المصير العجيب الذى
انتهى اليه ؟ ! لقد كان بين أوائل الذين دخلوا الفردوس بعد غلقه اجيالا
طويلة .**

**من أجل ذلك قال القديس مار افرام السرياني « ان ابصرت انسانا قد
اخطأ وشاهدته في الفرد ، فلا تنظر اليه كخاطئ » ، فانك لا تعرف ان كان في
هجرة غيابك عنه قد عمل شيئا صالحا بعد السقطه ، وتضرع الى الرب
بزمرات وعبرات مرة . واستمطفه ! » . فذكر عن القديس يوحنا القصير انه
كان اذا ابصر انسانا اخطأ ، فانه كان يبكى بكاء شديدا ويقول « ان هذا اخطأ
اليوم ولكنه ربما يتوب . أما أنا فانى اخطىء غدا ، وربما لا اعطى مهلة كي
اتوب » .**

**ان أمر الاداه متروك لله وحده في ذلك اليوم « لا تحكموا في شيء قبل
الوقت » حتى يأنى الرب الذى يبصر خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب ، وحينئذ
يكون المدح لكل واحد من الله » (١ كو ٤ : ٥) .**

٢ - لأن الله أوصانا بالمحبة :

لأن الوصية الاولى والعظمى هي المحبة . وماذا تفعل المحبة ؟

فضلا عن الصفات التي نكلمنا عنها في هذا الموضوع ، فإن المحبة توسع القلب فيصبح أكثر احتمالا ، بعكس البغضة التي تجعله ضيقا . قال القديس بولس « يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء » (رو ١٥ : ١) . وقال « المحبة تحتمل كل شيء » (١ كو ١٣ : ٧) . فهذه هي القوة التي تضاعف احتمالنا وصبرنا . وهي النار التي تحرق كل زرع إبليس ، والماء الذي يروى الغروبى المقدسة وينبها . أن المحبة في حياتنا الروحية كالجهاز الهضمي . فإذا كان قويا هضم بسهولة كل ما يقدم له حتى لو كان عسرا ، بعكس ما إذا كان ضعيفا فإنه لا يحتمل أضعاف الإطعمة . والمحبة هي حاسة اللذوق ، التي تذوق الطعام وتصدر حكمها عليه فإذا كانت هذه الحاسة عقيمة تفوت الإطعمة الجيدة مرة المذاق .

المحبة تمنى وتبذل ، تحتمل وتصبّر ، لا تظن السوء ولا تدبّن ، تحنو على الصغار وتلتئم الأعداء . تجبر الكسير وتضمد الجريح ... المحبة هي الله ذاته الذي قال للمرأة الزانية « ولا أنا أدبئك » (يو ٨ : ١١) .

لقد أراد يعقوب ويوحنا أن تنزل نار من السماء فتفتني قرية للسامريين رغبت قبول السيد المسيح ، فانتهرهما قائلا « لستما تعلمان من أي روح أنتم لان ابن الانسان لم يات ليهلك انفس الناس ، بل ليخلص » (لو ٩ : ٥١ - ٥٨) .

ويطرس التلميذ خان سيده ، وانكره ثلاث مرات ، لكن المسيح ، حينما ظهر له على بحر طبرية بعد قيامته المجيدة ، عوضا عن أن يوبخه أو يلومه على جبنه وانكاره ، سلمه رعاية خرافه الناطقة ثلاث مرات بقدر ما أنكره (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) . فهل جزاء التكلم هو الرعاية ؟! لكنها المحبة التي تستر كثرة من الخطايا .

٤ - وأوصانا بالرحمة :

لأن السيد المسيح دعانا أن نكون رحماء بقوله « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » (مت ٥ : ٧) . وأيضا « فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضا رحيم . ولا تدينوا فلا تدينوا . لا تقتضوا على أحد فلا يقضى عليكم » (لو ٦ : ٣٦ ، ٣٧) . أرايت هذا التسلسل البديع في الآية السابقة « كونوا رحماء لا تدينوا . لا تقتضوا على أحد » . أن هذه كلها مرتبطة ببعضها . نعمم الادانة مرتبطة بالرحمة .

ونحن لا نتكلم هنا عن الرحمة بمعناها الخاص ، ونقصد به الصدقة أو الإحسان ، بل الرحمة بمعناها العام الذي يتطلب قلبا رحيمًا على كل الخليقة ، حتى على الحيوانات ... على حادث قطف التلاميذ للسنابل في يوم السبت ، قال يسوع للمعترضين « فلو علمتم ما هو ، أتى أريد رحمة لا ذبيحة لما حكمتكم على الأبرياء » (مت ١٢ : ٧) . وقال يعقوب الرسول « لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة . والرحمة تفتخر على الحكم » (يع ٢ : ١٣) .

فالقلب الرحيم لا يدين ولا يقصص بل يجبر الكسر ، ويسطر النقص والعطب .

٥ - لأن الادانة خاصة بالله وحده :

راينا ونحن نعرض لخطية الكبرياء كيف ان الله يفضها جدا ويقاوم اصحابها . ولذا لا نعجب ان نحن رايناها يفيض بنتها الوفية (الادانة) ، التي تتفدى عن طريقها ، وتتحصن بها . فالإنسان الذي يدين اخاه يتطاول على الله ، ويسلبه حقًا من خلوقه ، لم يعطه لآخر . ومن هنا كانت خطورة خطية الادانة وتضايق الله الشديد من مرتكبها ، حتى ان يعقوب الرسول قال « الذي يذم اخاه ويدين اخاه ، يذم الناموس ويدين الناموس . وان كنت تدين الناموس ، فلست عاملا بالناموس بل ديانا له . واحد هو واضع الناموس القادر ان يخلص ويهلك . فمن انت يا من تدين غيرك » (يع ٤ : ١١ ، ١٢) . وقال القديس بولس مؤكدا نفس المعنى « من انت الذي تدين عبد غيرك ، هو لمولاه يثبت او يسقط . ولكنه سيثبت لأن الله قادر ان يثبت » (رو ١٤ : ٤) .

فذكر عن القس اسحق القبايسي ، انه دان اخا ذات مرة على فعل اياه ، فلما خرج الى البرية ، اتاه ملاك الرب ، ووقف قدام باب قلايته وقال له « الرب يقول لك اين تأمرنا ان نطرح نفس ذلك الاح المخطيء الذي انت ادنته؟ » فتاب لوقته قائلا « اخطأت فافقر لى » . فقال له الملاك « لقد غفر الله لك ، ولكن عليك ان تحفظ ذاتك من الآن ، والا تدين احدا من الناس قبل ان يدينه الله » .

٦ - لنقتدى بالسيد المسيح نفسه :

ان السيد المسيح - وهو العيان الكامل ، الذي له وحده الدينونة ، ودينونته عادلة (يو ٥ : ٢٢ ، ٣٠) - قدم لنا ذاته مثالا يحتذى في هذه الناحية . فهو لم يدين ... حتى المرأة الزانية التي أمسكوها في ذات الفعل ، وقدموها اليه ليحكم برجمها كشرعية موسى لم يدينها ، بل قال لها في شفقة وحنو « ولا انا ادينك . اذهبى ولا تخطئى ايضا » . وكانت كلماته هذه درسًا مهلبًا أعطاه للمستكين عليها . فقد قال لهم « من منكم بلا خطية فليرميها أولا »

بحجر . و انحنى الى اسفل وكان يكتب على الارض . وقيل انه كان يكتب خطايا كل واحد منهم . فكان كل من بقرا خطيته ينسحب في خجل ، حتى « بقى يسوع وحده ، والمرأة واقفة في الوسط » (يو ٨ : ٣ - ١١) . وقال السيد المسيح للكتبة والفريسيين معتبا على هذا الحادث انتم حسب الجسد تدينون . اما انا فليست ادين احدا . وان كنت انا ادين فدينونتى حق » (يو ٨ : ١٥ ، ١٦) .

٧ - وناخذ عبرة من سير القديسين

نحن نقرا في كتب التاريخ الكنسى والكتب النسكية ان اباينا كانوا متحفظين جدا من الوقوع في خطية الادانة . لقد عاشوا متشبهين بالرب ، واوصوا تلاميذهم بالتحفظ منها . ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل ان الرب نفسه كان — بالرؤى — يعمل على تنقيتهم منها .

ومن ذلك ما اورده كتاب بستان الرهبان عما حدث للقديس يوحنا « السينائى » ، نقل عنه ، قال :

فاذا كان رب الشريعة الكامل ، الذى له وحده دينونة الجميع ، قد فعل هذا ، فكم يجب علينا نحن الخطاة !

في حال جلوسى في البرية الجسوبة ، جاعنى احد الاخوة متفقدا من بالدير . فسألته « كيف حال الاخوة ؟ » فاجابنى « بخير بصلاتك » . فسألته ايضا عن اخ واحد كانت سمعته قبيحة . فاجابنى « صدقنى يا ابنى ، انه لم يتب بعد منذ ذلك الوقت الذى اشييعت عنه فيه تلك الاخبار » . فلما سمعت ذلك قلت « اف » . معند قولى « اف » ، اخذنى سمات ، وكان نفسى قد اخذت . فرأيت ابنى قائم قدام الجلجنة ، والمسيح مصلوبا بين لصين . فتقدمت لاسجد له ، ولكنه امر الملائكة الواقفين قدامه بانمادى خارجا قائلا « ان هذا الانسان قد اغتصب الدينونة منى ، ودان اخاه قبل ان ادينه انا » . فوليت هاربا . فتعلق ثوبى بالباب واعلق عليه ، فتخلّيت عن ثوبى هناك . فلما استيقظت قلت للاخ الذى جاعنى « ما ارادا هذا اليوم على » . فاجابنى « ولم يا ابنى » . فأكبرته بما رايت وقلت « لقد عدت هذا الثوب الذى هو ستره الله لى » . ومنذ ذلك اليوم ، اقام القديس ثابها سبع سنوات في البرارى ، لا يأكل خبزا ولا يأوى تحت سقف ، ولا يبيصر انسانا . واخيرا رأى في منامه ، كان الرب قد امر ان يعطوه ثوبا ، فلما انتبه مرح فرحا عظيما . وبعد ان اخبر بذلك ، بثلاثة ايام ، تنيح .

عاقبة الإدانة

١ - دينونة أبدية :

قال رب المجد «بالدينونة التي بها تدينون تدانون . وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم » (مت ٢٠: ٧) . وقال معلمنا بولس «أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه ، وانت تفعلها ، أنك تنجو من دينونة الله ؟ » (رو ٢ : ١٣) .

٢ - الوقوع في نفس الخطية :

الله يسمح أحيانا بتأديب من يدين ، بنفس خطايا الشخص المدان . قال القديس يوحنا الدرجي « أن الذي تدين به أخاك ، فيه تسقط » . كما قال أيضا « من يتأمل ذنوب قريبه ويتجنبها ، فهو يسقط في خطيته ويسدان جدينته » . وقال القديس ثيودوروس « لا شيء أردنا من الإدانة للإنسان ، لأنه بسببها يتقدم إلى شرور ويسكن في شرور . فمن دان أخاه في قلبه ، تنظلي عنه المعونة الإلهية ، فيسقط نبيا دان أخاه عليه » .

قصة :

وقد أورد الأب يوحنا كسيان القصة التالية التي تبين هذه الناحية ، قال: حدث أن أخا من البارزين في الجهاد ، تآذى من محاربات الشهوة نتيجة كثرة القتال الواقع عليه ، فمضد أحد الشيوخ وكشف له عن أفكاره . وكان الشيخ عديم الخبرة فضجر منه ، وقال « أيها الشقي ، إذ قد توسخت حواسك بهذه الأفكار ، فعلى أي شيء تتكل ؟ » . فلما سمع الأخ قوله حزن جدا وبئس من خلاصه ، وترك تلايته ومضى قاصدا العالم . ولكن حدث بتدبير الله أن التقى به شيخ آخر هو أبا ايلو . واذا رآه مضطربا سألته عن حاله ، أخذ يسكن روحه ويشجعه قائلا « لا يفك هذا الكلام ولا تياس من الخلاص منها لما أنا على الرغم من لغته من هذا السن . وهذه الشبهة ، كثيرا ما أتآذى بمثل هذه الأفكار ، فلا تحزن ، فإنه لا يبلغ جهادنا فيها مقدار ما يأتيينا من رحمة الله ومعونته . لكن هب لي بومك هذا وارجع إلى تلايتك » . فاطاع الأخ كلام الشيخ ورجع معه إلى تلايته . أما الشيخ الحكيم فمضد إلى تلاية الشيخ الآخر الذي دفع ذلك الأخ إلى اليأس ، ووقف خارجا وسأل الله بدموع كثيرة

قتالا « أنا اطلب اليك يا ربي والى ان تصرف هذا القتل من هذا الاخ ، وتسلمه على هذا الشيخ الذى اوقعه فى اليأس ، وذلك ليجرب فى شيخوخته ، ويتعلم فى كبر سنه ، ما لم يتعلمه طوال زمته ، وليشمر بأوجاع المجاهدين المقاتلين فيتوجع لوجعهم ، وبذلك يحصل على منفعة نفسه » . فلما اتم الشيخ صلاته نظر واذا بجيش واقف قرب قلابة الشيخ ، يصوب نحوه سهاما ويجرحه . واذا بالشيخ يقوم لساعته سكرانا ، مخرج من قلابته كالمجنون يندفع هنا وهناك ، ولم يطق الوقوف ، ولا استطاع العودة الى قلابته ، فسلك الطريق الذى كان قد سلكه الشاب ، مريدا العودة الى العالم . فلما ادرك الشيخ الحكيم ما عزم عليه ذلك الشيخ ، تقابل معه وسأله عن وجهته وعزمه . اما الشيخ المسكين فاته من فرط خجله لم يرد جوابا . اما الشيخ الحكيم فقال له « ارجع الى قلابتك ، ومن الآن كن عارفا بضغفك ، واعلم بانك الى هذه الساعة لم تجرب بعد .. وها قد ظهر الآن انك لست اهلا لان تعد من المجاهدين ، لانك لم تقدر ان تصارع يوما واحدا . فما اصابك اليوم ، انما نتيجة تصرفك مع ذلك الشاب الذى اتاك ، وقد آذاه عدونا كلنا ... » . ولما قال هذا صلى الى الله فاتصرف عن ذلك الشيخ ما كان قد نزل به من قتال .

٣ - تخلق النعمة :

لما كانت الادانة تصدر احبانا عن كبرياء النفس ، فالله كثيرا ما يسمح بتأديتنا بالتخلق عنا حتى نقوب ونرجع الى صوابنا .

فكر من راهبين كانا يعيشان عيشة مشتركة ، انهما استحقا ان ينظر كل منهما نعمة الله على اخيه . وحدث ان احدهما خرج فى يوم جمعة ، وراى انسانا ياكل مبكرا فقال له « الى هذا الوقت تاكل يوم الجمعة ؟ » وفى الفد رآه اخوه ولم يبصر عليه النعمة التى كانت ترى عليه . فحزن لذلك ، وسأله عما فعله ، فاجابه « ما عملت شيئا ، ولا لغرت ردينا » . ثم عاد وسأله « ألم تتكلم بشيء ؟ » فذكر له قصة ذلك الاخ الذى دانه على اكله المبكر يوم الجمعة . فعرف خطاهه وقدم عنه توبة جزيلة بشعب ، فظهرت نعمة الله عليه مرة أخرى .

٤ - الوقوع فى خطايا اخرى :

ومع الادانة تأتى المعجرفة والظنون الباطلة والغيب من الآخرين واحتقارهم وسجس الضمير ، والفيرة غير المقدسة ، واشياء أخرى تعلق القلب وتسده .



كيف تتخلص من الإدانة ؟

① اُعْذِرْ غَيْرَكَ

التمس عذرا للآخرين عن أفعالهم التي قد تبدو خاطئة ، بدلا من أن تدينهم . نيوستف الصديق في مصر ، حينما أراد أخوته الاعتذار له قال لهم ، إن الله سمح بذلك لمنفعتهم ومنفعة شعوب كثيرة (تك ٤٥) . فمثلا إذا رأيت إنسانا جالسا أثناء القداس الإلهي في الكنيسة ، فلا تسرع بادانته ، والحكم عليه بأنه قليل الاحترام لبيت الله وللصلاة ، فربما كان ذلك الإنسان مريضا بمرض غير ظاهر ، حتى لو بدا من الخارج قويا صحيحا . وإذا جاوبك صديق بجفاء في مرة من المرات فقل في ذاتك « قد يكون صديقي متعبا أو متضايقا من أمر من الأمور ، وما أكثر ضيقات الحياة » . وإذا تقابلت مع الإنسان لأول مرة وخطبك بصوت مرتفع ، فلا تسرع بادانته والحكم عليه بأنه إنسان متعال ، فقد يكون ارتفاع الصوت راجعا إلى طبيعة حنجرته وهو ما لا دخل له فيه ..

② وتأمل فضائله

حاول أن تجد شيئا طيبا في الإنسان المدان . فلا يوجد إنسان كاملا قديسا في كل دقائق حياته وتصرفاته ، كما لا يوجد إنسان ناقصا شريرا في كل أفعاله ، بل لكل إنسان نواحي حياته الطيبة . فإذا حاربك الشيطان بخطية الإدانة من جهة إنسان معين ، فتذكر بعض فضائله ، فتخف عنك هذه الحرب ، إن لم تقل .

③ وأحسن الظن دائما

أول كل شيء تأويلا حسنا . وهنا توجد ثلاث مراحل :

(١) إذا كان فكر الإدانة ناتجا عن رؤية أو سماع ، فاوله تأويلا حسنا . ومثال ذلك الراهب الذي حينما كان يدخل قلاية راهب آخر ويجدها نظيفة مرتبة ، يقول في نفسه « إن أخي هذا لابد أن قلبه نظيف ومرتب هكذا » .

وإذا دخل قلابة راهب آخر ووجدها غير مرتبة ، قال في نفسه « لابد ان أخى هذا مشغول بالعبادة عن ترتيب ونظافة قلايته » . أو مثل أحد الآباء الذى كان إذا رأى أحدا يرتدى ثيابا فقيرة يغبطه ، وإذا رأى آخر يرتدى ثيابا جيدة يقول في نفسه « ان هذا الإنسان أفضل منى لانه يريد ان يخفى فضيلته ، اذ ربما يلبس المسيح من الداخل ، وهذه الثياب من الخارج حتى يخفى فضيلته » .

(ب) إذا كان فكر الادانة ناتجا عن خطية ظاهرة اتاها أحد الناس ، ولا سبيل لتأويلها أو تبريرها ، فحاول ان تتف على أسبابها — لا لكى تدينه كما توحى اليك افكار الادانة ، بل فى شعور أخوى . فربما كان لذلك الإنسان فضائل ، والله لم يسمح ان يسقط فى المجد الباطل . فسمح ان يسقط فى مثل هذه الخطية حتى يشعر بضعفه فيصير أكثر قبولاً لدى الله ، ويصان ماله من فضائل بواسطة الاتضاع . ولا تنس أن تصلى من أجل هذا الإنسان بشعور كله رحمة وشفقة ، عالماً أنك أيضاً « انسان تحت الآلام » ، « ناظراً الى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً » (غل ٦ : ١) .

(ج) وإذا كانت هذه الخطية الظاهرة ، كبيرة جداً ، ولا تصدر الا عن قلب قاس غير تائب ، فارفع طلبك أيضاً الى الله بالصلاة ، واذكر أن بعضاً ممن وصلوا الى درجات عالية فى الروحانية والقداسة ، بدأوا حياتهم أشراراً جداً . ومن ناحية أخرى فإن بعضاً ممن بدأوا حياتهم حسناً وساروا فى طريق القداسة ، ووصلوا الى درجات سامية فيها ، سقطوا فى منتصف الطريق أو فى أواخره ، ثم تابوا وارتفعوا فى توبتهم الى درجات أعلى ، واطرن هذا الشعور بالحرص لئلا يصيبك أنت أيضاً هكذا ...

② ابعد عن سماع كلام الادانة

✓ لا تفسح صدرك لسماع كلام الادانة من انسان ضد آخر . اذا كان المتكلم بكلام الادانة من مستواك سناً ومركزاً ، فراجعه فى وداعة وأدب ، وقل له ان لك أخطاء كثيرة ، أكثر من التى فكرها ، ولا تريد أن تسمع . وإذا كان المتكلم أكبر منك سناً ومركزاً ، وليس من اللياقة أن توجهه ، فاصمت ، ولا تجاره فى حديثه الادائى ، فربما شعر أنك غير راض عن كلامه فيكف عنه ... على أى حال بعد انتهاء أمثال هذه الجلسات ، نظف أذنك من كلمات الادانة ..

٥ اذكر سر الله لطاياك

حينما تصلى صلاة الشكر ، وتأتى الى العبارة التى تقول فيها « لانه مسترنا » ، انظر الى نفسك وفكر بكم صنع الرب بك ورحمك ومستر عيوك ، ولم يفضح عيوبك امام الآخرين . تذكر قول مار اسحق « استر على الخاطئ » من غير ان تنفر منه ، لكى ما تحملك رحمة الرب . اسفد الضعفاء ، وعز صغيرى النفوس كى ما تسندك اليمين التى تحمل الكل » .

٦ اجزر أخطاء التعميم

احيانا يكون فينا ميل للانفعال او ميل للتعميم . فاذا راينا صفة حسنة فى شخص ما ، نسرع ونحكم عليه بأنه حسن ، وسرعان ما نقول انه حسن جدا ، وربما قلنا بأنه لا يوجد احسن منه . وحينئذ — وهنا الخطر — نعتبر كل تصرفات ذلك الانسان — حتى غير المرتبطة بهذه الصفة الفريدة — انها لابد وأن تكون هى الاخرى سليمة وحسنة بالتبعية (حتى ولو بدت كأنها خاطئة) . والسبب فى ذلك يرجع الى اننا لا نحب ان نتصور ان انسانا اعجبنا باحدى صفاته ، له نقیصة او خطأ من الاخطاء . وعلى العكس من ذلك ، فان راينا صفة رديئة فى شخص ، نسرع ونحكم عليه بأنه رديء ، وسرعان ما نقول رديء جدا ، وحينئذ — وهنا الخطر — لا نريد ان نتصور ان لهذا الانسان تصرفات او صفات اخرى حسنة او سليمة يمكن ان نقرأها او نقبلها .

هذه احكام اشخاص يفقدون الاتزان فى احكامهم ، ويخطئون بادانة الآخرين عن تصرفات ربما كانت جيدة ، ويتعرضون لهزات عاطفية عنيفة ، ومتاعب اجتماعية ، كثيرا ما تقودهم الى العزلة والانطواء ، او الى فقدان كل الاصدقاء ، كما تحرم صاحبها الاستفادة من اخطاء الفضلاء ، ونقصائل الضعفاء . كما تشككه فى نفسه وفى شخصيته ، فلا يعرف اهو صالح ام شرير . اذ يحس فى نفسه بالاخطاء تحيا الى جانب الفضائل . ولا يعلم ان هذه شبة الانسان العادى ، وأن التمييز يجب ان يكون فى تغلب الفضيلة او الشر ، وميل الانسان الى احدهما اكثر من الآخر ، وجهاده المستمر فى سبيل الترقى ، والهدف نحو الكمال ، وليس بلوغ الكمال ذاته . ولهذه الحكمة عينها ، نرى الكتاب المقدس قد سجل اخطاء الانبياء والقديسين .





شرط التلمذة المسيحية هو حمل الصليب ... وهو بالمفهوم الروحي يشير إلى حياة التوبة بكل تضحياتها وجهاداتها ، التي على المؤمن أن يجهاها ... تبدأ بها معرفته بالله ، وتنمو وتندوم بها العشرة معه ... لذا يضيق الكثيرون ذرعاً بالتوبة . . البعض يتهيأ ، والبعض ما أن يبدأ حتى يرتد ، والبعض الآخر يقطع فيها أشواطاً ثم يتوقف . . اما السبب في ذلك فيرجع إما إلى عدم الفهم السليم للحياة مع الله - وبالتالي التوبة ، إما لقلة المحبة - وما يستتبعها من جهاد روحي ، وإما إلى محبة الجسدانيات . . أما أحباء الله فإنهم يحسون دائماً بأن « وصاياهم ليست ثقيلة » ، وتهتف أحشائهم مع المزمع « ومعك لا أريد شيئاً في الأرض » ... « وأما أنا فلا لتصاق بالله خير لي » .

إن موضوع التوبة بكل متعلقاته وتفصيله هو هدف هذا الكتاب ... والكتاب يعالج هذا الموضوع الحيوي الخطير - ليس بالتعبيرات الروحية العالية ، أو الكلمات الرنانة النظرية - بل بالأسلوب العلمي البسيط الذي هو في متناول الجميع ... إنه يحدد الطريق ويصف معالمه وأصول السير فيه ...

والكتاب لا يهدف إلى إضافة معلومات جديد إلى رصيد المعلومات القديم عن الحياة مع الله ، بل اختبار العشرة المقدسة ، حتى ما يسير المؤمن « من قوة إلى قوة » ، وينتقل - في حياة الروح - « من مجد إلى مجد » .

وفضلاً عن ذلك فالكتاب ينفرد بمعالجة موضوع التوبة والفضائل المسيحية على أسس روحانية أرثوذكسية القبطية ... هذه الروحانية التي عاشها آباؤنا القديسون ، وصاروا فيها مثلاً حياً ، وغدوا معلمها في المسكونة كلها .